



Creatures Of The Night

مخلوقات الليل

فجر سليمان

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أنهار



https://t.me/osn_osn



Scan me!

مخلوقات
الليل

فجر سليمان

مكتبة إيلينا
Elena book



Creatures of the night



هذه الرواية مبنية على أحداث خيالية، خيوط غير واقعية مزجت وحبكت مع بعضها بعضاً، لتشكل في النهاية عالماً آخر، عالم مخلوقات الليل.

الفصل (1) :

ياقوت أحمر قان.

في قديم الزمان، وبمكان لا يشبه أي مكان، عاش صياد على حدود الوادي السحيق، منزله لم يكن إلا كوخاً خشبياً صغيراً من جذوع أشجار الترقوف، متزوج ولديه من الأبناء ثلاثة لم يبلغ أكبرهم العشر أعوام بعد. عند نهاية السنة وفي آخر أسبوع للأيام المشرقة، كان يكتف من جولات الصيد التي يقوم بها، فنهاية الأيام المشرقة تعني بداية الليل الطويل، وهي ستة شهور باردة، تغيب بها الشمس حتى تعود بعد انقضاء المدة للشرق ستة أشهر مماثلة، وعند بداية أيام الليل الطويل لا يخرج من كوخه إلا للضرورة القصوى، هكذا اقتضت الأعراف والتقاليد، سار هو على هذا النهج لسنوات، كما فعل والدته وجدته من قبله، لكن شيء ما حدث في تلك السنة أفسد عليه تقليده المعتاد، فقد مرض في الأسبوع الأخير من الأيام المشرقة، ولم يتمكن من القيام بجولة الصيد الأخيرة، لازم فراشه طوال تلك الفترة، واعتنت به زوجته ولم تدخر جهداً في ذلك، ومع هذا لم يتمكن من مغادرة سريره إلا بعد فوات الأوان.

- ما الذي تفعله؟

سألته زوجته بعد أن شاهدته يرتدي جزمته الطويلة ذات الحواف الصوفية، فأجابها:

- علي أن أذهب وأعوض عما فاتنا، فالطعام لن يكفي لإطعام خمسة أفواه جياع.

- لقد قمت بتجفيف الكثير من اللحم والفاكهة، والخضار في المزرعة أكثر من كافية.

ارتدي معطفه الثقيل، وحمل قوسه وسهامه، ثم التفت ناحية باب المؤن ليجيبها قائلاً:

إنها ستة أشهر يا عزيزتي، والمزروعات لن تصمد لمدة طويلة في هذا البرد ومن دون ضوء النهار، ستذبل بالنهاية.

لم تتمكن زوجته من إيقافه، فهي تعلم بأنه على حق، ووسط خيبة أملها غادر الصياد، تجول على طول حدود الغابة السوداء، والتي سميت كذلك بشدة ظلامها حتى في أكثر الأيام إشراقاً، فأشجارها الكثيفة وأغصانها المتشابكة، تجعل من الصعب لأشعة الشمس المرور من بينها، فكيف بضوء القمر الشاحب بأن يفعل ما عجزت هي عن فعله.
فرك الصغير عينيه الناعسة بقبضة يده، وفتح فمه مقاطعاً رواية والدله سائلاً:

- وهل تمكن الصياد من العثور على أية طرائد؟

مسدت الوالدة رأس صغيرها، وقربته إلى حضنها مجيبة إياه:

- بالتأكيد لم يتمكن من العثور على شيء ...

ولا حتى على فار خردل صغير، فكل الحيوانات كانت تفعل الشيء ذاته، تختبئ وتمضي فترة بيات بطول الليل الطويل، ولا تخرج إلا مع أول إشراق للشمس، مرت ساعات طوال

أنهك خلالها الصياد، فلا يزال جسده ضعيفاً، ولم يسترد عافيته بالكامل بعد، خطواته الثقيلة باتت مسموعة بشكل واضح، وكأنه الكائن الحي الوحيد الذي يجوب تلك الأرض، أرعبته هذه الفكرة، لكن ليس بقدر ما أرعبه أمر آخر.

- ما هو؟

سأل الصغير والدته، ولا تزال جفونه الثقيلة تحارب لتبقى مفتوحة، فأجابته:

- مخلوقات الليل.

- أهي نوع من الحيوانات؟

فكرت والدته قليلاً، قبل أن تجيبه قائلة:

- لا أحد يعلم ما هي تحديداً ...

بعضهم قال بأنها حيوانات أسطورية، وبعضهم الآخر وصفها بأنها نوع من الميلاان، بالنهاية كل الروايات اتفقت على شيء واحد، تلك المخلوقات تمتلك زوج أعين بلون الياقوت الأحمر

الثاني، وفي أحلك الليالي ظلمة فإنك ستراها تشع كمصباح زيتي لا ينضب.

أصبح الجو أكثر برودة مع الوقت، وبدأ البخار يتراقص مع أنفاس الصياد المضطربة، وهنا تحديداً شعر بحركة ما خلف مجموعة شجيرات بالقرب منه، التفت غريزيا وصوب قوسه

وسهمه بتلك الناحية دون أي تردد، صوت حفيف الأشجار حوله ازداد تدريجيا وبالتزامن مع دقائق فؤاده الفزع، فشعر وكأن قلبه سيقفز بأي لحظة من بين أضلاعه، لحظات صعبة مرت

عليه قبل أن يلمح شيئاً ما يترنح بالظلمة، وفجأة ارتمى ذلك الشيء عند موطئ قدميه، فقفز للخلف كقط بري، ووثب على إحدى قدميه وقد استيقظت كل حواسه دفعة واحدة، لم يصدق الصياد ما تراه عيناه، أتلک غزالة؟

- غزالة!

بدا الصغير محبطاً بعض الشيء وهو يعيد ما قالت والدته، فابتسمت له مجيبة:

- نعم يا صغيري كانت غزالة كبيرة بحجم ثور رمادي) ...

ارتمى جسد الغزالة على الأرض أمام الصياد، لم تكن ميتة ولم يكن هنالك أي أثر يجرح ظاهر على جسدها، بكل بساطة كانت فاقدة للوعي، فحملها الصياد على كتفيه، وعاد بها

للكوخ، قال لنفسه بأن تلك الغنيمة ستكفي لهذا اليوم على الأقل.

- كيف تمكنت من الإمساك بها من دون القوس والسهام؟

- ظهرت أمامي فجأة، فكرت بأنها قد تكون مريضة أو ما شابة، لكن بعد فحصها تبين بأنها فاقدة للوعي فقط.

- علينا أن نكون شاكرين لهذا.

هذا ما قالته الزوجة قبل أن تساعد زوجها بحمل غنيمة اليوم، ليخرج بعد ذلك الأطفال الثلاثة من أولتهم يجرون حول طاولة الطعام وقد تمكن الممل منهم، بالنهاية لم يسكتهم إلا

رائحة الطعام الشهر الذي حضرته والدتهم تلك الأمسية.

في اليوم التالي، قرر الصياد بأنه سيعيد المحاولة، لعله يكون محظوظاً هذه المرة أيضاً، وهذا تحديداً ما حدث، لكن مع اختلاف بسيط، فهذه المرة حصل على عجل صغير، لم يحيط

الصياد لأن غنيمته كانت صغيرة الحجم، بل فرح لأن لحم العجل سيكون أكثر طراوة من أي حيوان كبير، فعاد به إلى الكوخ مبتهجاً.

بدأ خوف الصياد من الليل الطويل يتلاشى مع كل غنيمة جديدة يحصل عليها، حتى أنه بدأ يتساءل لم كان يختبئ كل تلك السنوات؟ كيف أضع نصف عمره دون سبب منطقي.

وهكذا مرت ستة أيام، حصل معها الصياد على ستة غنائم مختلفة، وفي كل مساء تفننت زوجته بتحضير وليمة جديدة، حتى أن صحته صارت أفضل الآن من أي وقت مضى، ولم يفكر أي من الزوجين بتخزين تلك الغنائم، لم سيفعلان ذلك إن كانت متوافرة يومياً، كل شيء كان يجري على أحسن حال إلى أن حل اليوم السابع،

عاد الصياد إلى البقعة نفسها، واقترب من كتلة الشجيرات نفسها،

انتظر لبعض الوقت وعقله متلهف، ما هي غنيمة اليوم يا ترى؟ بدأ لعبابه يسيل لتلك الفكرة وحدها، وبعد لحظات من الانتظار، سمع الصوت المعتاد، فضيق عينيه وأمعن النظر للجهة المظلمة، دقيقة، اثنتان، ومن ثم ارتمى شيء ما عند موطن قدميه كالعادة، هذه المرة كان شيئاً صغيراً بحجم قبضة يده، فانحنى ومد يده، حمل ذلك الشيء الكروي وقلبه

تحت ضوء القمر الفضي، فميز لونه القاني، كانت تفاحة حمراء، قضم منها قضمه صغيرة وعرف بأن لا يشئ فميز بها، شعر عندها بخيبة أمل، لم حصل اليوم على هذه التفاحة السخيفة؟

ما الذي حدث للطرائد المشحمة؟ فوضع التفاحة في حقيبته واقترب أكثر من الشجيرات متسائلاً، عندما شاهد خيالاً ما يسير مبتعداً عنه، هيئته وطوله وطريقة سيره توحى بأنه بشري آخر،

أيعقل بأن يكون شخص آخر غيره في هذه المنطقة؟

- هاااي، أنت هناك.

صاح الصياد منادياً عدة مرات، فتوقف ذلك الجسد، والتف ببطء مهيب ناحيته، عينان مضيئتان بلون الياقوت الأحمر هي ما تجلى أمام الصياد، وللحظة شعر الأخير بأنه ينظر إلى الموت بعينه، فتصاعدت أنفاسه وعاد الخوف الذي تجرد منه ليسكن جسده من جديد، عندها أطلق ساقيه للريح، وجرى ناحية كوخه الخشبي من دون وعي، دخل بسرعة وأوصد مزلاج الباب، ذهلت زوجته من منظره، فسألته وقد تسرب شيء من خوفه إليها:

- ما الذي جرى؟

- أغلقي كل النوافذ بسرعة.

نفذت ما طلبه منها، وبدأت بإغلاق النوافذ من دون نقاش، عندها خرج أحد الأطفال من الغرفة، فصاح بها زوجها بأن تعيده للداخل وتختبئ هي مع بقية الأولاد.

توقفت الأم عن سرد الرواية، فنظر الصغير إليها راغباً بالمزيد عندما سأل:

- لم توقفت الآن ما الذي حصل للصياد وعائلته؟

- لم يحصل أي شيء مهم بعد ذلك، فقد غادر ذلك المخلوق بعد أن وعده الصياد بأن يقدم له جزءاً من وليمته اليومية بشرط أن يتركهم وشأنهم.

نهض الصبي الصغير من حزن والدته بانزعاج، وحدق بوجهها البشوش بغير اقتناع ليقول:

- هذه قصة سخيفة.
- هل أصبحت قصة سخيفة لأن نهايتها لم تعجبك فقط، إذا أخبرني ما هي النهاية التي تفضلها وترى بأنها الأنسب؟
- فرك الصغير عينيه بكف يده ليقول بصوت ناعس:
- كان يجب معاقبة الصياد على جشعه من قبل ذلك المخلوق.
- ماذا ! في صف من أنت تحديداً؟
- أغمض الصبي عينيه، وعاد ليكور جسده الضئيل بحضن أمه وقد غلبه النعاس أخيراً، فابتسمت والدته وقبلت جبينه، غطته جيداً، ثم أغلقت الستائر بجانب سريره وغادرت غرفته فقط لتجد بأن زوجها يقف هناك، فابتسم لها قائلاً:
- تلك لم تكن النهاية الفعلية للرواية.
- أعلم ذلك .
- ثم التفتت تنظر إلى ابنها النائم بسريره الدافئ لتقول:
- مازال كولين بالسابعة من عمره، لا يزال صغيراً على سماع مثل تلك التفاهات.
- على الأقل هو بالقدر الكافي من الذكاء ليعلم بأن هنالك خطأ ما بروايتك.
- مالنا ولتلك السخافات إنها مجرد رواية شعبية، على الأرجح ابتكرها عجوز خرف بمكان ما فقط كتبرير لعمل ذلك المهرجان.
- بدت مغتظة بعض الشيء، فحاوط ألكساندر جسد زوجته نتاليا بذراعه، وقربها إليه قائلاً بصوته الحنون:
- من يستمع إليك الآن سيعتقد بأنك تكرهين المهرجان السنوي.
- أنا لا أكره المهرجان، لكنني أكره تلك الروايات المفزعة المرتبطة به.
- إن كنت تكرهينها لهذه الدرجة، إذا لماذا تقصينها على كولين؟
- أمسكت يد زوجها ألكساندر، واعتصرتها بقلق قائلة:

- لأنه إن لم يستمع لتلك الرواية مني، سيخبره بها أحد آخر من القرية،
وعندها سيعلم بتلك النهاية المقززة.

- يالك من أم حنون.

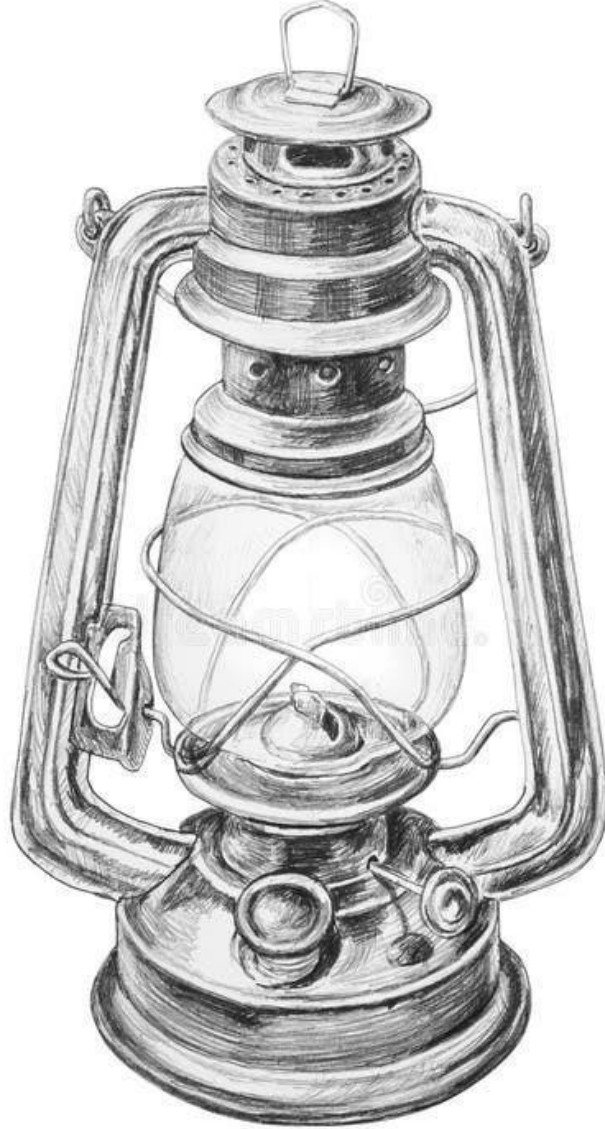
- هل أنا حقاً كذلك يا أليكس؟

عاد الزوجان إلى غرفتهما بعد أن تأكدا من أن ابنيهما الوحيد غارق بالنوم،
سويغات قليلة وعم السكون أرجاء المكان، بما أنه آخر أسبوع من الأيام
المشرقة، لذلك لا تزال الشمس هنالك في الأفق ذات لون يميل إلى الحمرة
قليلاً تغلب كولين عدة مرات بسريره إلى أن أفاق أخيراً، لا يزال الوقت
باكراً على الاستيقاظ، لكن هذا لم يمنعه من النهوض ومقادرة سريره ما

أيقظه فعلياً هو نسمة هواء باردة عصفت بجسده النحيل، فعلم من فوره بأن
مصدرها هو شباك الغرفة، سار بخطوات الصغيرة ناحيته، وحاول التأكد
من مكان التسريب عندها لمح شيء ما بين الشجيرات القريبة من منزلهم،
اقترب من النافذة أكثر حتى التصق وجهه الصغير بالزجاج العتيق، لم يكن
كولين متأكداً مما يراه، أهو حيوان بري؟ أم أنه مجرد خيال ما؟

ظل يراقب لفترة حتى لمح ما بدا له نقطة ضوء أحمر، بل هما نقطتان
تهيمان معاً بتناسق بين الشجيرات، فرك الصغير عينيه بعدم تصديق، ثم
عاد التصديق مرة ثانية، وهنا خاب ظنه، فقد اختفت النقطتان كلياً، ولا أثر
لأي شيء بين الشجيرات، فتراجع وأغلق الستائر بعد أن تأكد من حشر
قطعة قماش في الشق الذي وجده بإطار النافذة، وعاد لينعم بدفء سريره
من جديد.

قبل أن يتخذ المصباح الزيتي شكله المتعارف، كان عبارة عن وعاء يشبه القارب الصغير، يملأ بالزيت ويوضع الفتيل بطرفه، وبسبب شيوع استخدامه وخاصة أثناء فترة الليل الطويل، تطور شكله بسرعة فائقة



الفصل (2) :

مهرجان القرية السنوي

بدأ أهالي قرية إيستوود بالإعداد للمهرجان السنوي، رائحة الطعام والولائم الشهية تنبعث من بيوتها وأكواخها الصغيرة، والمداخن لن تتوقف عن إصدار الدخان طوال هذا الأسبوع.

معظم سكان هذه القرية هم من الفلاحين والحطابين وبالتأكيد الكثير من الصيادين، وكما جرت العادة فإن الصيادين سيقومون بجولات صيد جماعية، بينما يهتم البقية بالإعداد للمهرجان، القرية الصغير ستنتشط طوال هذا الأسبوع والكثير من الباعة المتجولين يجدون في الأمر فرصة كبيرة لعرض ما لديهم من بضائع غريبة ونادرة كانوا قد حصلوا عليها نتيجة تجوالهم الدائم وصل أول الباعة المتجولين بعربته الرثة إلى قرية إيستوود، والتي بدت ككوخ خشبي صغير تجره فرس عجوز، وحالما دخل حدود القرية أخذ الأطفال يجرون معه بفرح

عالم، فأوقف البائع عربته وترجل من مقعده ينادي كنوع من التسويق، فاجتمع الأطفال من حوله، بعضهم قد دخل بالفعل إلى باب عربته من الخلف، أما بعضهم الآخر فاهتم أكثر بملابسه

الغريبة وذات الألوان والتصاميم المبهجة، بدت لهم كشيء من عالم آخر، مختلفة كل الاختلاف عما اعتادوا رؤيته من ألوان ترابية لا حياة بها.

- هلموا أيها الأطفال، فلدي اليوم ما سيبهر عقولكم.

ثم أخرج جرة زجاجية بداخلها كرات صغيرة وملونة، فسألهم:

- أتعلمون ما هذه؟

نظروا إليه بغير فهم، فما هي هذه الكرات الملونة، عندها أخرج واحدة ووضعها في فم فتاة صغيرة أمامه قائلاً:

- ما رايك اليست لذيذة؟

اتسعت عينا الفتاة الصغيرة بغير تصديق، المذاق الحلو انفجر في فمها ممزوجاً بتلك النكهة المشابهة لثمار التوت اللذيذة، فوضعت كفي يديها على خديها لتقول:

- إنها لذيذة، أيمكنني أن أحصل على واحدة أخرى؟

- بالتأكيد يمكنك الحصول على كيس منها لكنها ستكونك قرشا واحدا

أجابها البائع، ثم استدار ليخرج شيئاً آخر من خلفه، هذه المرة كان صندوقاً خشبياً صغيراً عليه الكثير من النقوش الدقيقة، فتح عطاءه فاصدر لحناً عذباً، بدا أشبه بصندوق سحري

بالنسبة للأطفال، فكيف تخرج هذه الموسيقى من شيء صغير كهذا؟

من بعيد مر الكساندر مع ابنه كولين بجانب عربة البائع، كان كولين يسند والده بوضع إحدى يديه على كتفه الصغير، الكساندر لم يكن يندرج تحت أي تصنيف من أهالي القرية، فهو

عقيد متقاعد من الحرس الملكي، أصيب بإحدى المعارك بساقه اليمنى فاضطر بعدها لترك مركزه، وقرر العودة إلى مسقط رأسه والتركيز على عائلته، تصله مخصصاته الشهرية بانتظام

كمكافأة على خدماته السابقة للمملكة وبذلك لم يكن المال مشكلة لعائلته، كما وجد بأنه ليس مضطراً للعمل كفلاح أو حطاب كبقية سكان القرية.

نظر كولين إلى عربة البائع بفضول، فأدخل الكساندر يده بجيبه، وأخرج خمسة قروش واعطاها لابنه قائلاً:

- اذهب واشتر لنفسك شيئاً ما.

تردد الصغير قليلاً، بالنهاية وجد نفسه يأخذ المال وهو يبعد ذراع والده بلطف عن كتفه قائلاً:

- انتظرنى هنا يا أبي لن اتأخر عليك.

أوماً له والده براسه، فجرى الصغير ناحية العربة، ووقف على أطراف أصابعه ما ان وصل إلى هناك، تجمع الأطفال من حولها جعل من العسير عليه رؤية أي شيء، فقفز قليلاً لعله

يتمكن استراق النظر، وبعد عدة محاولات فاشلة أدرك بأنه لا فائدة من القفز، التفت كولين إلى حيث كان والده ينتظره ثم أدار رأسه إلى جموع الأطفال أمامه، وهنا لمح فجوة بين

أقدامهم، فاندس بجسده الصغير من بينهم، وزحف حتى وصل إلى بداية الصف، وقعت عيناه على باب العربة فقفز للداخل كما فعل بعض الأطفال من قبله، ابهره حجم المكان من الداخل،

فمنظر العربة الخارجي لا يوحي بكل هذه المساحة، لم يعرف حتى ما كان ينظر إليه، فهناك العديد من الأشياء الغربية من حوله، نظرة سريعة على كل رف جعلته يلمح عقداً فضياً فأخذه، ثم وجد قلماً غريباً براس ذهبية فأخذه أيضاً، واختار بالنهاية لعبة على شكل فارس صغير، وهو في طريقه للنزول من العربة شاهد صندوقاً خشبياً معزولاً عن بقية البضائع، شده

الفضول لمعرفة سبب تواجده هناك، ففتح الغطاء على مهل، ومن خلال الشق لمح لونا أحمر، ولكن يداً ما امتدت وأغلقت غطاء الصندوق قبل أن يتمكن من رؤية ما هو ذلك الشيء، ارتعب

كولين ونظر إلى صاحب اليد فوجده البائع .

- عذرا أيها الصغير، هذا الشيء ليس للبيع.

حمل البائع الصندوق الخشبي ونقله إلى مقدمة العربة، ووضع أسفل الكرسي هناك، ليلتفت بعدها ناحية كولين سائلاً:

- أترغب بشراء هذه الأشياء؟

- نعم يا سيدي.

- قرشان للقلادة، وقرشان أيضاً للقلم، أما الدمية فهي بقرش واحد، هذا يعني بأن حسابك خمس قروش.

بحث كولين في جيبه عن المال الذي أعطاه والده له، وفي هذه اللحظة سمع فتاة بجانبه تبكي مطالبة البائع بأن يبيعه الدمية الخزفية بقرش واحد بدل اثنين، فأجابها البائع:

- آسف أيتها الصغيرة، فهذه الدمية نادرة، كوني شاكراً،

- لأنني لا أطلبك بما هو أكثر من قرشين.

حرق إليها كولين بانزعاج في صدره، ثم نظر إلى القروش الخمسة براحة يده، عندها أحكم قبضته على المال وقال للبائع:

- سيدي أنا لا أريد هذه.

فأعاد دمية الفارس ليقول بعدها:

- يمكنك اخذ ثمنها لتسد بقية المبلغ لهذه الفتاة.

توقفت الفتاة عن البكاء ونظرت ناحية كولين دون أن تعرف ما عليها قوله، أما البائع فقد وافق وأخذ القرش الأخير من مال كولين واعطى الصغيرة الدمية الخزفية التي رغبت بها،

بالمقابل حصل كولين على القلادة الفضية والقلم فقط، فشكر البائع وعاد بسرعة إلى حيث كان والده ينتظره.

تلك الفتاة الصغيرة لم تكن غريبة بالنسبة لـ كولين فهي صوفي حفيدة غريفن المزارع المسن، كان يعلم بأن جدها لا يكاد يوفر لقمة العيش لها، فأنى له بأن يوفر لها المال لشراء الدمى الآن.

- هل وجدت ما تريد؟

سال الكساندر ابنه الذي انسل تحت ذراعه مسنداً إياه، فأوماً له الصغير برأسه بأنه قد فعل، ثم سال وهو يشير ناحية ساحة القرية:

- هل سنذهب إلى ساحة الرماية يا أبي؟

فقط إن أردت أنت ذلك.

عند العربة نظر البائع من بعيد إلى كولين ووالده، حك ذقنه مفكراً بأنه قد شاهد ذلك الرجل بمكان ما، وهنا استغل أحد الأولاد انشغال البائع وصعد إلى مقدمة العربة، فوقعت عيناه

على ذلك الصندوق الخشبي المخبأ تحت الكرسي، فتحه بخفة بالغة، واختلس النظر لما يوجد بداخله.

في الساحة العامة للقرية، تم تزيين المكان بالأزهار المختلفة والشرائط البيضاء، وقسم المكان ليضم ساحة للرماية، ومسرحاً خشبياً بسيطاً، يتكون من دكة ترتفع ما يعادل قدمين

عن الأرض وخلفية خشبية مغطاة بقطع قماشية، وفي الجانب المقابل توزعت طاولات غير متناسقة ليوضع عليها الطعام الذي ستعده النساء على مدى هذا الأسبوع، أما في منتصف

الساحة فقد صفت المقاعد الخشبية بشكل دائري حول ما يشبه الحلبة، والتي ستخصص للرقص.

جلس الكساندر مراقباً ابنه الذي وقف بين الرماة يكافح حتى يحمل قوساً بطوله تقريباً، وهنا اقترب أحدهم وجلس بجانبه قائلاً:

- مر وقت طويل أيها العقيد.

التف الكساندر وابتسم لرؤية صاحبه يوجين قائلاً:

- لم أعد عقيداً الآن، تسعدني رؤيتك يا يوجين، أخبرني كيف يبلي الرجال في العاصمة؟

ربع يوجين ذراعيه وقال بتهكم:

- يبذلون ما بوسعهم تحت قيادة ذلك الحقير.

ثم تبدلت نبرته لتصبح أكثر تعاسة:

- الحرب لن تنتهي بأي وقت قريب والمعارك أنهكتهم بالفعل، على الأقل عندما كنت أنت بيننا كانوا يستمدون طاقتهم منك، كان لديهم سبب للنهوض كل يوم والمحاربة.

خاب أمل الكساندر مما يسمعه من صاحبه، ووضع يده على ساقه اليمني قائلاً:

- الأمر ليس بيدي يا يوجين، تعلم لأي درجة أتمنى أن أكون بينكم الآن.

شعر يوجين بأنه ما كان عليه أن يأتي على ذكر موضوع كهذا، فهو لم يقطع كل تلك المسافة من العاصمة حتى يفتح جروح الماضي، فغير الموضوع من فوره، ووضع غرضاً ملفوفاً

بقماش ما بحضن صاحبه ليقول بحماسة:

- افتحها.

- ما هذا؟

سال الكساندر بينما يفك القماش عن هذا الشيء الثقيل، وما إن بان له ما هو حتى اتسعت عيناه بدهشة، فوقف مسنداً كل ثقله على ساقه اليسرى وقد امتلأ وجهه حماسة ليقول:

- لقد فعلتها أخيراً.

- بل أنت من فعلها يا ألكس.

كانت بندقية طويلة، ففي الوقت الذي خدم به ألكساندر ويوجين، معظم أسلحتهم كانت من السيوف والرماح، أو القوس والنبال، والمرة الأولى التي شاهدوا بها سلاحاً كالبنديقية كان

عندما خاضوا معركة على ضفاف البحر مع مجموعة من القراصنة، أصيب وقتها الكثير من رفاقهم ولاقى الكثيرون حتفهم بسبب هذا السلاح الجديد، وقتها تساءل الجميع عن نوعيته،

وبعد السؤال والبحث الطويل توصل ألكساندر إلى بعض المعلومات البسيطة، ومن خلالها وضع تصوراً عن طريقة الصنع والتجميع، رسم ودون كل شيء بالتفصيل، لكنه لم يملك الوقت

للتنفيذ، فحربهم مع المملكة المجاورة لم تعطهم الوقت الكافي للاستراحة وإعادة حساباتهم، وقبل أن يدرك وجد أن وقته قد انتهى بعد أن أصيب بساقه، فسلم كل المخططات لصاحبه

يوجين وعاد هو مع زوجته وابنه إلى قرية إيستوود.

- هل جربتها؟

- بالتأكيد وإلا ما كنت سأحضرها معي.

وقف يوجين بجانب صاحبه وأمسك البندقية، أسندها على كتفه بوضعية الإطلاق ووجه الفوهة لأحد الأهداف أمامه، بعد أن تأكد بأن المكان آمن، أشعل فتيلها واطلق بكل احترافية،

صوتها العالي شد انتباه الجميع في الساحة ولكن دون أن يعلموا ما حصل فعلاً، ففي لمح البصر كانت طلقاته قد أصابت هدفها وبالوسط تماماً، اندهش الكساندر وابتهج بأنها تعمل كما

تصورها قبل عدة سنوات، أما كولين الصغير، فركض ناحية الهدف ونظر من خلال الثقب الذي أحدثته الطلقة بعد أن شاهد دخاناً بسيطاً يتصاعد منها، ثم التف ناحية والده ويوجين، ورأى البندقية بين يدي ذلك الرجل الغريب بجانب والده.
- إنها لك.

سلم يوجين البندقية لصاحبه ثم أكمل قائلاً:

- أرسلني الملك تيودور لأحضر له المعادن اللازمة لصنع المزيد، أنا في طريقني إلى القرى أسفل جبال سيديرو، لكنني قررت المرور لرؤيتك، أردت أن تعلم بأننا لدينا لك بالكثير يا الكس

لمعت عينا الكساندر، اعتقد لفترة بأنه لم يكن ذا فائدة تذكر لبلاده، فقد كان رجلاً وطنياً بحق، وكم أسعده بأن يرى نتائج عمله حتى ولو بعد كل تلك السنوات، عندها جلس وهو يمسك بالبندقية قائلاً:
- شكراً لك يا يوجين.

- هذا أقل ما يمكنني عمله.

عاد يوجين ليجلس بقرب صاحبه، وهذه المرة وقع نظره على الصغير كولين فسأل:

- أهذا هو كولين؟

وضع الكساندر البندقية جانباً ليخبر:

- نعم، وعلى الأرجح بأنه انبهر بعرضك للتو.

- اتعتقد بأنه قد فهم ما حصل حتى؟

ضحك الكساندر ليقول معلقاً:

- لا تدع قصر قامته يخدعك فهو حاد البصيرة.

- بالتأكيد سيكون كذلك، فهو ابنك بالنهاية.
وعندها لاحظ يوجين بأن الصغير يحمل قوساً بين يديه فسأل:
- أتدربه على الرماية؟
- أراد أن يتعلم كيف يستخدم القوس والسهم، فقد تم اختياره للقيام بدور
الصيد في مسرحية المهرجان.
- كم هذا بئس.
- لا تقلق فقد قام عمدة القرية بتغيير القصة ليظهر الصيد بأنه البطل الذي
هزم الوحش.
- هذا جيد، فمن سيرغب بتمثيل قصة كتاك.
ضحك الكساندر ليقول:
- اتعلم ما الذي قاله كولين عندما علم بأنه تم اختياره لدور الصيد.
- ماذا قال؟
- أخبرني بأنه لا يرغب بذلك ويفضل تأدية دور مخلوق الليل.
ضحك يوجين وهو ينظر ناحية كولين:
- أقال ذلك حقاً! يا له من فتى غريب.
ربع الكساندر ذراعيه مكماً:
- وأضاف قائلاً بأنه يجب معاقبة الصيد على جسعه، فهو حتى لم يشكر
مخلوق الليل على الغنائم التي أهداه إياها.
استقام يوجين من موضعه، واتجه ناحية كولين، وقف بجانبه ثم سأله
بلطف:
- اتسمح؟
ثم مد يده ناحية قوسه، فاستجاب له الصغير وأعطاه القوس والسهم الذي
معه، قلبهما يوجين بيديه ثم ثبت السهم على الخيط وسحبه مسنداً يده بذقنه،
ثم أمال القوس، فبدل أن

- يحملة بوضع عمودي، بات أقرب إلى الوضع الأفقي، وقال:
- يمكنك أن تمسكه بالطريقة التي تريحك، لست بحاجة لتقليد الرجال من حولك .
- ثم أعاد القوس لـ كولين، فأخذه وحاول تغيير وضعه وقوفه وطريقة إمساكه وشده للخيط، سحبه للخلف بكل ما أوتي من قوة، لكنه كان أضعف من أن يتمكن من السيطرة عليه،
- فارتجفت يداه وطار السهم ليسقط قبل أن يصل إلى الهدف، فضحك يوجين وربت على رأس كولين مبعثراً شعره الأسود اللامع قائلاً:
- كما أنك تحتاج إلى الكثير من التدريب أيضاً.
- عاد يوجين إلى حيث يجلس صاحبه، فحمل حقيبته وقال:
- علي أن أذهب الآن فأمامي طريق طويلة لأقطعها، ربما أمر عليكم بطريق عودتي، حتى ذلك الحين ما رأيك لو تعمل على تصميم المزيد من الأسلحة؟
- سأرى ما يمكنني فعله.
- أبلغ نتاليا سلامي
- وقبل أن يغادر الساحة التفت يوجين ناحية كولين ليقول:
- اهتم به جيداً يا ألكساندر.
- بالتأكيد.
- ركض ذلك الصبي حافي القدمين بعد أن أخذ ما وجدته بالصندوق الخشبي بعربة البائع المتجول، تلفت حوله بحذر، ثم ذهب خلف المسرح وجلس القرفصاء مسنداً ظهره لإحدى
- العارضات الخشبية، ثم دس يده لداخل سترته البالية وأخرج غنيمته، نظر إليها بعينين واسعتين، وكله دهشة، كيف تمكن من الحصول على هذا الشيء الثمين.

في الجانب الآخر سعد كولين للمسرح، رفاقه الممثلون الذين سبقوه إلى هناك، جاك السمين ابن الصياد جيكوب كان سيلعب دور مخلوق الليل، وذلك لضخامة حجمه، أما ماغي

فتاة القرية المدللة فستقوم بدور زوجة الصياد، ووقع الاختيار على التوائم الثلاثة أبناء الطبيب سايمون لتأدية أدوار أبناء الصياد، على أحد الجانبين وضعت طاولة بها بعض المستلزمات

الخاصة بالمسرحية، وبجانبها صندوق كبير يحتوي على الملابس الخاصة بكل شخصية، تم تصميمها وخياطتها لتناسب كل واحد من الممثلين، اقترب كولين من الصندوق وأخذ يبحث عن رداءه الخاص عندما وقع نظره على القوس الصغير الذي صنع ليناسب حجمه.

- ربما كان علي أن أتدرب على هذه اللعبة بدل تلك الحقيقية.

وقف جاك السمين بجانبه ليتنهد قائلاً:

- أنا جائع ألا يمكنني تناول هذه؟

سال وهو يشير إلى طبق به مجموعة متنوعة من التفاح، أصفر، أخضر، وحتى برتقالي، لكنها بكل تأكيد قد خلت من التفاح الأحمر، فهو ما يعرف بالتفاح المحرم، قد تعيش لتري

أحفاد أحفادك قبل أن تتسنى لك فرصة رؤية تفاحة حمراء واحدة.

- كولين، هل سبق وأن رأيت تفاحة حمراء من قبل؟

هز كولين رأسه نفيماً وهو يقول:

- لا، وأنت؟

- لا لم أفعل، لكنني أتمنى أن أتذوق واحدة، اعتقد بأنها ستكون لذيذة.

سال لعاب الفتى السمين وهو يحاول تخيل طعم تلك التفاحة المحرمة، عندها اقترب منهم ريس ابن العمدة، وهو فتى يكبرهم سناً بعدة أعوام، كان يسير بين الكراسي الفارغة

والمخصصة للجمهور، وخلفه صوفي حفيذة الحطاب غريفن تمشي على استحياء، فقال ريس:

- لا انصحك بأن تفعل ذلك.

- ما الذي تعنيه؟

سأل جاك السمين، فما المانع من تمنى تذوق تفاحة حمراء، فأتاه الرد سريعاً:

- انتم الأطفال تجهلون الكثير، الا تعلم ما الذي فعلته تلك التفاحة بقصة الصياد؟

انتابهم الفضول جميعاً، فلقد سمع كل واحد منهم نسخة مختلفة عن تلك الحكاية، عندها تنهد ريس بانزعاج ليقول:

- الصياد أخذ قضمه من تلك التفاحة، وما تجهلونه على الأغلب بأن التفاحة لها مفعول غريب، فهي ستغير من مذاق دمك وتجعله حلوا لا يقاوم بالنسبة لتلك الوحوش، أخبرني الآن

أيها السمين أترغب حقاً بأن تكون طعاماً لتلك المخلوقات؟ ههه على الأرجح لن يحتاج هذا الجسم السمين لتفاحة حتى يغيرها.

على الجانب الآخر من المسرح، أخرج الفتى غنيمته من بين ملبسه، رفعها لمستوى نظره، وبهر بجمال لونها الأحمر الدامي، شعر بأنه أكثر شخص محظوظ على وجه هذه الأرض،

فلقد تمكن من رؤية تفاحة حمراء، وهو سيحظى بشرف تذوقها الآن، قربها من أنفه وأخذ شهيقاً طويلاً ليملأ رئتيه برائحتها قبل أن يأكلها، وقبل أن تعانق شفثيه قشرتها الحمراء سحبت

من يده عنوة، فرفع الصبي رأسه غاضباً ليفاجأ برؤية العمدة.

- أيها الشقي المتشرد.

انبه العمدة غاضباً، ثم التف ناحية والدته ماغي، والتي تحمل سلة بها بعض التفاح الذي صبغ باللون الأحمر من أجل المسرحية، فأوقفها قائلاً:

- باتريسيا، يبدو بأنك قد أوقعت هذه.

- أوه، حقاً، أنا لم أنتبه لذلك.
- أخذتها والدّة ماجي، ومضت بطريقها، أما العمدة فقام بركل الصبي بقدمه وهو يشتمه غاضباً:
- أغرب عن وجهي، هذا ما ينقصني الآن وضع مثلك يفسد تحضيرات المهرجان.
- جرى الصبي مهرولاً على أطرافه الأربعة من الرعب، إلى أن استعاد توازنه ووثب على قدميه فجرى بعيداً عن أنظار العمدة.
- وصلت باتريسيا ومعها سلة التفاح المصبوغ، وضعتها على الطاولة وأبدلتها بسلة التفاح الملون لتقول:
- هذه ستكون أكثر إقناعاً.
- من خلفها نظر الأولاد إلى التفاح الأحمر بتوجس، وخاصة بعد الكلام الذي سمعوه من ابن العمدة، انتبهت باتريسيا إليهم وإلى وجوههم الصغيرة، فابتسمت مطمئنة إياهم:
- لا تقلقوا إنه تفاح ملون قمت بوضعه بماء به جذور نبتة الجوان .
- ضحك ريس الجالس على مقاعد الصف الأول، وخاصة بعد أن عرف مدى تأثير كلامه.
- يا لكم من مجموعة من الحمقى.
- بعد انتهاء التدريبات، شكرتهم والدّة ماجي، وطلبت منهم عدم التأخر غداً عن العرض، فانصرفوا بعد أن قاموا بترتيب المكان وإعادة الأدوات إلى مكانها.
- عندما حان وقت العشاء عاد كولين برفقة والده الكساندر إلى المنزل، استقبلتهم نتاليا واعتذرت بأنها لم تتمكن من تجهيز العشاء في الوقت المناسب وذلك بسبب انشغالها اليوم،
- فاستغل الكساندر الفرصة وذهب إلى مكتبه، والذي لم يكن إلا غرفة صغيرة تحتوي على أكوام من الكتب التي جمعها على مدى سنين طوال، وفي أحد الزوايا وضع مكتباً صغيراً عليه

بعض المحابر والعديد من الأقلام، سار باستخدام عصاه حتى وصل إلى مكتبه، وأسند البندقية للحائط وبجانبيها وضع عصاه، ثم أنزل صندوقاً ما من بين الكتب ووضعها على طاولة

المكتب، في هذه اللحظة وقف كولين عند أعتاب الباب قائلاً:

- أبي أيمكنني الدخول؟

- بالطبع.

تقدم الصغير ووقف بجانب والده ينظر إلى ذلك الصندوق دون أن يقول شيئاً، فابتسم الكساندر وقد علم ما يجول بعقل ابنه:

- أترغب بأن تعرف ما يوجد هنا؟

أوماً له بحماسة، ففتح الكساندر الصندوق وأخرج مجموعة من الأوراق العتيقة المصفرة، والتي أكلت الحشرات جزءاً منها، فردها على طاولة المكتب بينما راقبه ابنه باهتمام بالغ،

وبلحظة اتسعت عينا الصغير ليقول وقد فهم ما تعنيه:

- إنها تلك العصا المعدنية التي أطلقت على الهدف.

- نعم إنها هي، لكنها لا تسمى عصا بل بندقية.

تلك الأوراق هي كل ما تمكن الكساندر من نسخه من مخططات قبل أن يسلمها إلى صاحبه يوجين قبل عدة سنوات، هو لم يبق بالنسخ فقط، بل إنه تعدا ذلك بتصميم نماذج جديدة

اصغر للبندقية، فكر بأنه سيكون من الأسهل أن يتم حملها بيد واحدة.

- ما الذي ستفعله بها يا أبي؟

- أعتقد بأنني سأعطيها لصاحبي يوجين، لكن بعض هذه التصاميم ستحتاج إلى تعديلات كثيرة، وأيضاً لدي بعض الأفكار الجديدة.

عاد كولين لينظر داخل الصندوق بعد أن شد انتباهه شيء آخر، كانت هنالك أداة معدنية دائرية الشكل وبها إبرة معلقة، أيضاً كانت هنالك رقعة للعين، فالتفت الكساندر ناحية

الصندوق، أخرج الأداة المعدنية ووضعها بيد ابنه سائلاً إياه:

- ما رأيك، ما هذا الشيء باعتقادك؟

كانت الإبرة تتراقص على محور في الوسط محافظة على اتجاه معين، فأدار الصغير تلك الأداة بين يديه مبتسماً.

- إنها تعرف الاتجاه.

- معك حق، إنها تعرف الاتجاهات.

أجابه الكساندر وهو يضع رقعة العين على إحدى عينيه، متظاهراً بأنه قرصان ما، ثم أكمل شرحه بصوت مضحك:

- هذه ما نسميها نحن القراصنة بالبوصلية، أترى هذه الإبرة، هي دائماً تشير ناحية الشمال.

- اهكذا يعرف القراصنة اتجاههم وسط البحر.

- لديهم طرق كثيرة لمعرفة الاتجاهات، وهذه البوصلية هي إحدى تلك الطرق، إنها لك الآن لذلك احسن استخدامها.

بعد أن أعاد الصندوق إلى مكانه جلس الكساندر على كرسي مكتبه، وهذا يعني بأنه سيبدأ بالعمل الآن، وقبل أن يمد يده لأخذ أحد الأقلام، سحب ابنه ذراعه ووضع القلم الجديد الذي اشتراه اليوم بيد والده قائلاً:

- سأذهب لمساعدة أمي، اعمل بجد يا أبي.

ثم جرى مسرعاً لخارج الغرفة دون أن يعطي والده أي فرصة لقول أي شيء، فنظر الكساندر إلى القلم الجديد بيده، ثم إلى عصاه التي أسندها على الحائط بقرب البندقية، انقبض قلبه بشدة وهو يتذكر كلمات يوجين.

"اهتم به جيداً يا الكساندر"

على الرغم من أنه يمتلك تلك العصا لمساعدته على السير، إلا أنه يعتمد كثيراً على كولين في فعل ذلك، متى انقلبت الأمور بتلك الطريقة؟ ومن الذي يهتم بالآخر الآن؟

بعد العشاء وفي غرفتهما جلست نتاليا على السرير، كانت مترددة قليلاً كيف ستقول ما هي علي وشك قوله؟ جلس زوجها بجانبها وقد شعر بخطب ما بها، فخرجت كلماتها مبعثرة:

- أنا، اليوم، الطبيب سايمون، لقد ذهبت لرؤية طبيب القرية.

انفعل الكساندر بعد أن سمعها تأتي علي ذكر سايمون، فتملكه الخوف عليها:

- هل انت بخير؟ أتشكين من خطب ما؟

انزلت رأسها محرجة وقد توردت وجنتيها بلطافة وهي تقول مشيرة إلى بطنها:

- انا حامل يا الكس.

امسك بيدها التي كانت على بطنها وهو يعيد ما قالت له لتوها بغير تصديق:

- انت حامل!

- مضى شهران من الحمل، أنا لم أكن متأكدة لهذا قررت الذهاب للطبيب قبل أن أخبرك.

لم يتمكن الكساندر من التوقف عن الابتسام، ف نتاليا حامل، حبيبته وزوجته حامل بعد انتظار دام سنوات طوال، قام بضمها بين ذراعيه بكل قوة، وهو يتمنى لو بمقدوره حملها

والصراخ بأعلى صوته ليعلم المملكة بأسرها في اللحظة والساعة.

- على رسلك يا الكس، ستخفقني.

- أنا آسف.

اعتذر منها، وعاد ليحضن وجهها بين راحتي كفيه العريضتين قائلاً:

- ايخيل لي أم أنك تبدين أكثر جمالاً اليوم.

امسكت بيديه لتجيبه:

- على الأرجح بأنه تأثير هذا العقد.

انتبه الكساندر للعقد بعد أن أشارت إليه نتاليا، فعقد حاجبيه مستغرباً:

- من أين حصلت عليه؟ من الذي ...
- من باعتقداك، إنه الشخص الوحيد الذي ينافسك في هذا المنزل على إرضائي.
- ضحك ألكساندر وهو يتأمل العقد الجديد.
- ذلك المحتمل الصغير دائماً ما يسبقني بخطوة عندما يتعلق الأمر بك.
- مسحت نتاليا بكف يدها على بطنها برقة وهي تقول:
- ألكس، كيف تعتقد سيكون طفلنا القادم؟
- إن مضى على حملك شهران، فهذا يعني بأنك ستلدن بعد شهر واحد من الأيام المشرقة القادمة، سيكون ابن أو ابنة الشمس.
- خارج غرفتهما وقف كولين يستمع بصمت وهو يحمل كتاباً ذا غلاف ممزق بيده، كان يرغب بسماع قصة ما قبل النوم، لكنه توقف بعد أن علم بموضوع حمل والدته، وتردد أكثر عندما
- وصل الأمر إلى ذكر ابن الشمس، فتراجع عائداً إلى غرفته، وقف أمام المرأة الطويلة بزاوية المكان، وحقق بانعكاسه مطولاً، وبالأخص لجسمه الهزيل، وشعره الأسود الفاحم. إحدى الأقاويل الشعبية والمتوارثة من جيل لآخر تقول، بأن الأطفال الذين يولدون بالأيام المضيئة والمشرقة هم أفضل صحة وحنظاً من أقرانهم ممن يولدون في أيام الليل الطويل، والداه لم يقولا ذلك له بشكل مباشر، لكنه سمع بعض القرويين يصفونه بابن الليل، أو ابن القمر، ووالداه لم يعترضا على ذلك، أمر آخر كان شائعاً أيضاً هو لون الشعر، العينان والبشرة، فوالده الكساندر على
- سبيل المثال يملك شعراً أشقر موجاً بلون أشعة الشمس الذهبية، أما والدته لتاليا والتي كانت محظوظة بما فيه الكفاية لتولد بالأسبوع الأول للأيام المشرقة فتمتلك شعراً بلون الكستناء،
- وبشرة حنطية صافية، وكلاهما يتمتعان بصحة جيدة. رفع كولين غرته السوداء، والتي وجد أنها تحتاج لقص بوقت قريب بما أنها قد وصلت لجفنيه، نظر مباشرة لعينيه الزرقاوين، كان

ذلك الشيء الوحيد المشترك بينه ووالده، مع اختلاف بسيط في درجة اللون، فوالده ذو عينان بلون أزرق يميل لدرجة من الرمادي، أما هو فيملك عينان بلون المحيط في أكثر الأيام

إشراقاً كما وصفه ألكساندر، هو لم يشاهده بنفسه بما أنه كان بعمر عام واحد فقط عندما سرح والده من الحرس الملكي وغادروا العاصمة، لكنه كلما نظر لعينيه تمكن من تخيل ذلك

المسطح المائي بكل وضوح. لا فكرة لدى كولين عن مدى صحة تلك الأقاويل المتوارثة، أو إن كان سيكون ذا حظ عاثر بسببها، في النهاية وجد نفسه مرتاح البال لأن الطفل القادم سيكون ابن الشمس.

في اليوم التالي انتعش المكان وأصبح أكثر صخباً، فازداد عدد الباعة المتجولين، ووضعت أصناف الطعام المختلفة على الطاولات في الساحة العامة، بينما كان الأطفال يجرون بكل

اتجاه وبلا مبالاة، أنغام الموسيقى الشعبية والتراثية تأتي من كل مكان تقريباً، وهناك عدد لا بأس به من القرويين الذين أخذوا بالرقص في منتصف الساحة، أما بعضهم الآخر فقد حجز

لنفسه مقعداً أمام المسرح الصغير، ومن بينهم الكساندر ونتاليا، وبجانبهما وصلت صوفي التي كانت تعانق دميتهما الخزفية بيد، وتسحب جدها المسن غريفن بيدها الأخرى، لم يرغب

الحطاب المسن بالقدوم والجلوس على تلك المقاعد غير المريحة، لكن حفيدته كانت مصرة على مشاهدة العرض.

- اهدا سيسير العرض على خير.

كأسد حبيس في قفص، سار جاك السمين ذهاباً وإياباً خلف ستارة المسرح وهو يحمل قناعه بين يديه، فالعرض قد بدأ، وأصحابه قد سبقوه بما أن أدوارهم تقتضي بذلك، وبعد

لحظات سمع صوت ضحكات الجمهور والتي كانت في غير موضعها، فعلى الجانب الآخر خرج التوائم الثلاثة عن النص وأخذوا يجرون خلف بعضهم بعضاً بعد أن تشاجروا بسبب قطعة

حلوى لدى أحدهم، وبما أن محاولات كولين وماغي باءت بالفشل لإيقافهم ترك الطبيب سايمون مقعده وأخذ يؤنب أبناءه الثلاثة وهو محرج وسط ضحكات الجمهور على طرافتهم، بينما قال كولين وهو على خشبة المسرح:

- آه يا زوجتي العزيزة ألا يمكنك أن تتولي مسؤولية الأولاد؟

- أعذرنى يا زوجي العزيز فالتربية مسؤولية مشتركة.

لا بد أن يستمر العرض، فاضطر كل من كولين وماغي للارتجال والخروج عن النص.

بعد أن حلت المشكلة حان موعد مشهد التفاحة، وخروج مخلوق الليل، فارتدى جاك قناعه الأسود ذا العينين الحمراءوين، واختار تفاحة من السلة بجانبه، أخذ نفساً عميقاً، ليخطوا

بعدها على خشبة المسرح، وكما حدث في الرواية قام بإلقاء التفاحة عند موطن قدم كولين بينما اختبأ بين الشجيرات المصنوعة من ألواح الخشب، تدرجت التفاحة أمام كولين

فالتقطها وقام بمسحها بتيابه، أمسك بها بكلتا يديه وقربها من فمه، كان يفترض به أن يقضم منها قضمه واحدة قبل أن يظهر المخلوق أمامه، عندما وصلت التفاحة لشفتيه لاحظ أمراً ما، ففي التدريبات كلما قرب تفاحة من وجهه كان بإمكانه أن يشتم الرائحة النفاذة لجذور نبتة الجوان، أما الآن فلا شيء من تلك الراحة على هذه التفاحة، أعين الجمهور تراقبه بحماسة، فهم متلهفون لرؤية المشهد الذي سيظهر به مخلوق الليل، لذلك مضى في الأمر وقضم التفاحة، العرض لا بد وأن يستمر، هذا ما فكر به، مضغها ثم شعر بشيء غريب بينما كان يبتلعها، كانت لقمة جافة وثقيلة، وكم تمنى لو أن هنالك كوب ماء بجانبه الآن، وفجأة أجفله صوت الجمهور الذي بدأ بالتصفيق ما إن ظهر جاك بقناعه الرديء، فعاد كولين بسرعة إلى سياق المسرحية،

وأكمل الدور كما يفترض به، أو كما أراد العمدة على الأقل، فالنهاية التي وضعها تقول بأن الصياد قد قتل مخلوق الليل الذي تتبع الصياد عن طريق رائحة التفاحة إلى كوخه الخشبي.

انتهت المسرحية، ووقف طاقم التمثيل على خشبة المسرح شاكرين الجمهور على حضورهم، عندها مضى كل في سبيله، بينما كان على الأولاد تنظيف المكان وإعادة الملابس والأدوات.

- يسعدني بانني لست مضطراً لارتداء هذا القناع مجدداً.
أمسكت ماغي القناع، ووضعتة بجانب رأس جاك لتقول معلقة:
- يا ذا الوجه السمين، أتعلم بان هذه القناع يفوقك وسامة.
- ماذا!

غضب جاك من تعليقها، لكن ما الذي يمكن أن يفعله للرد على ماغي المدللة، بالتأكيد لا شيء.
ظهرت لهم صوفي من بعيد وهي تعنصر دميتها الخزفية، كانت محرجة من التقدم أكثر من ذلك، فقال جاك بعد أن لاحظ وجودها:
- كانت هنا بالأمس أيضاً لكنها لم تقل أي شيء واكتفت بالمراقبة من بعيد.
- ربما علينا دعوتها.

أجابه كولين الذي كان يقف بجانبه، فاعترضت ماغي طريقيهما ووقفت على طرف خشبة المسرح لتقول امرأة:
- هااي أنت، إن كنت لن تغادري فمن الأفضل أن تساعدينا.
- نعم!

اتسعت عينا الصغيرة، واحمرت وجنتيها بإحراج، فجرت نحوهم بسرعة فائقة وبدأت بالتنظيف من فورها وسط دهشة البقية.
بعد مدة قصيرة، وضع كولين وصوفي آخر قطعتي ملابس في الصندوق الخشبي، كانا يقفان متقابلين تماماً، عندها فقط تحدثت صوفي بصوت رقيق يكاد يسمع لتقول:
- شكرا لك .

تفاجأ كولين، فلم يتوقع بأنها ستتحدث إليه، فهي فتاة خجولة ونادراً ما تقول شيئاً لأي أحد، فابتسم مجيئاً:

- على الرحب، فنحن أبناء قرية واحدة.

وفجأة أمسك كولين بحلقه بعد أن شعر بحرقة بسيطة.

- هل أنت بخير؟

سألته صوفي بعد أن لاحظت شحوب وجهه فأجابها:

- لا تقلقي، مجرد ألم بسيط.

وهنا سمعوا جميعاً صوت ريس، الذي أسند ساقه على أحد الكراسي ليقول:

- أترغبون بالذهاب بمغامرة؟

ربعت ماغي ذراعها لتسأله:

- إلى أين؟

- الغابة السوداء.

أجابها ريس بثقة، بينما ارتعب جاك في موضعه، فمن سيرغب بمغامرة في تلك الغابة، فقال السمين بصوت مرتجف:

- هل جننت يا ريس؟

- بالتأكيد لا، ولا تقلق فقد أخذت موافقة والدي، ماذا عنك أنت؟

حول ريس نظره إلى كولين بينما كان يطرح سؤاله، فاندفعت صوفي لتقول بصوتها الرقيق .

- كولين ليس بخير، إنه ..

أطلق ريس تنهيدة ساخر مقاطعاً حديثها:

- حفيذة غريفن المسن أصبح لديها لسان أخيراً، وهي تستخدمه لتدافع عن ذلك الهزيل، ما الأمر يا كولين هل سترك فتاة لتتحدث بالنيابة عنك هل أنت جبان لتلك الدرجة،

ابعد كولين صوفي من أمامه، وحقق في ابن العمدة ليقول:
- أنت هو الشخص الذي أتى إلينا لنرافك إلى تلك الغابة، إذا من من بيننا
هو الجبان يا ريس؟

اغتاظ ريس، واصطكت أسنان، كان على وشك أن يفجر غضبه بوجه
كولين لولا أن قاطعت ماغي حديثهم لتقول:
- أرغب بالذهاب.

- ماذا!

صرخ جاك بوجهها معترضاً، لكنها تجاهلته، ونزلت من على خشبة
المسرح لتفسير موقفها بنبرة عدم اكتراث :

- إن كان العمدة موافقاً فما المانع؟

تردد جاك السمين وهو ينظر إليها، ثم التفت إلى كولين وصوفي ليقول :

- لا يمكن أن ندعها تذهب لوحدها معه

فأجابه كولين موافقاً:

- معك حق، من الخطأ تركها تذهب معه.

وهكذا قرروا جميعاً الدخول للغابة السوداء،

اجتمع الخمسة بعد ما يقارب الساعة ، فقد كان عليهم التحضر لتلك
المغامرة كما وصفها ريس، أحضروا معهم فوانيس زيتية، وبعض

العصي للدفاع عن أنفسهم، كما جلب كولين معه تلك البوصلة.

اصطبغت السماء بلون أرجواني خلف أشجار الغابة، وألقت الشمس ما

تبقى من أشعتها على الجبال الغربية مشكلة ظلالاً كئيبة، تقدم ريس

المجموعة وخطا لداخل الغابة، بدت الأشجار أكثر تقارباً وتشابكاً مما

اعتقدوا، والجذور الناتئة فوق سطح التربة جعلت من الصعب في مكان

السير بشكل طبيعي، خلف ريس كانت ماغي تسير بتعابير لا مبالية

تضرب الأشجار عن يمينها وشمالها بعصاها، أما الثلاثة المتبقون فحاولوا

السير جنباً إلى جنب في المؤخرة، وبعد أن قطعوا مسافة لا بأس بها توقف

كولين وهو يحدق في البوصلة بتعجب.

- لم توقفت؟

سأله جاك بصوت مرتجف، فرفع كولين البوصلة وقال:

- انظر إلى المؤشر عندما دخلنا للغابة كان يشير لتلك الجهة، وهذا يعني بأنه الشمال أما الان فقد جن جنونها. وكما وصفها تماماً، لقد جنت البوصلة، فالمؤشر يدور لا توقف.

- ما العمل الآن؟ إن واصلنا السير قد نتوه وسط هذه الغابة.

جاك محق، فلا يمكنهم المضي قدماً ان كانت البوصلة لن تعمل بالشكل الصحيح، تنهد كولين بسبب التعب وقد عاد الوخز بحلقه مجدداً، فالتفت

حواله ينظر إلى كل الاتجاهات عندها شاهد ماغي والتي كانت لا تزال تضرب الأغصان بالعصا التي تحملها، فالتفت عيناه الزرقاوان، وعاد لينظر إلى الطريق التي أتوا منها.

- أنظر.

أشار كولين لرقيقه جاك وصوفي، وتحديدًا للطريق خلفهم، ف ماغي ودون أن تدرك كانت تترك أثراً واضحاً بتكسيروها لبعض الأغصان على جانبي الطريق.

- هذا جيد.

قالتها صوفي بارتياح، فعلى الأقل لن يتوهوا الآن.

في القرية لا يزال العديد من الناس في الساحة، بعضهم يمتع نفسه بتناول ما لذ وطاب، وبعضهم الآخر يستمتع بالعروض التي لم تتوقف، ومن بينهم العمدة، الذي قد فرغ من ملء معدته للتو، وراح يبحث عن ابنه بالقرب من المسرح، وعندما لم يجد له أثراً قصد والدته ماغي، فريس كان قد أخبره بوقت سابق بأنه سيذهب للعب مع الأولاد بعد انتهاء المسرحية، بحث قليلاً إلى أن عثر عليها جالسة على أحد المقاعد الخشبية المحيطة بساحة الرقص، وسألها إن كانت قد شاهدت ابنه أو إن كان برفقة ماغي:

- لا أنا لم أراه اليوم، وماغي على الأرجح مع بقية أصحابها يلهون معاً بعد انتهاء المسرحية.

تركت مقعدها وأشارت له بأنها ستبحث عن ماغي لعلها تجد ريس أيضاً، فلقق بها العمدة إلى حيث كانت ساحات اللعب الترابية خلف منزل جيكوب، فذلك هو المكان الذي يلهون به غالباً.

في مكان ما وسط الغابة السوداء عثر ريس على بقعة خالية من الأشجار، مساحة دائرية بمنتصفها كوخ خشبي صغير، اقترب الأولاد الخمسة لتفحصه من الخارج فبدا لهم متهاكاً ومهجوراً.

- من الذي سيفكر بالعيش في هذا المكان؟

تساءل جاك المرتعب، فأجابه ريس وهو يحمل الفانوس بقرب إحدى نوافذ الكوخ:

- اتعتقدون بأنه من الممكن بأن يكون هذا كوخ الصياد في تلك الرواية؟
أجابته ماغي بصوتها المتعالي:

- كلنا نعلم بأن تلك الرواية مجرد خرافة تناقلها أجدادنا يا ريس، فلا وجود للصياد أو مخلوقات الليل.

وافقها جاك الذي أضاف:

- معها حق، لو أن تلك الرواية حقيقية أليس من المفترض أن نرى أحد تلك الوحوش حتى ولو مصادفة، انقضت عقود طويلة ولم نسمع بأي قصة جديدة غير قصة الصياد الأحمق.

- ربما كانت تلك المخلوقات حذرة فقط.

أجابهما ريس مغتاضاً، كان مصراً على إثبات وجهة نظره، فتوجه ناحية الباب ودفعه، فأصدر صريراً مزعجاً،

وقبل أن يخطو للداخل، اندفعت ماغي بكل جرأة لتسبقه، فهي الأخرى

ترغب بأن تثبت له العكس.

- انتظروا لا تتركونا هنا.

جرى السمين خلفهم برشاقة فأصبح بالداخل تاركاً كولين وصوفي خلفه، فقالت الصغيرة:

- كولين!

- من الأفضل أن نبقي معا.

أجابها وهو يهم بإمساك يدها، ثم لحقا بالبقية، في الداخل كانت شباك العناكب بكل زاوية تقريباً، والغبار يغطي الأرضيات وقطع الأثاث القديمة والبالية، قرب ريس الفانوس من طاولة بمنتصف المكان، كانت هنالك مجموعة من أدوات المائدة المتناثرة، وأطباق خزفية محطمة، شيء منها على الطاولة أما بقيتها فهي متناثرة بأرجاء المكان ويعلوها طبقات سميكة من الغبار، فركل ريس إحداها ليقول:

- ألا يوحي هذا بأن عراكاً ما قد حدث هنا؟

ابتلعت صوفي لعابها، والتصقت أكثر بـ كولين الذي طلب من جاك بأن يوجه إضاءة فانوسه ناحية أحد الأبواب، ففعل الأخير ذلك دون أن يسأل، فقد انتبه هو أيضاً للشيء ذاته

صوت خافت يصدر من تلك الغرفة بالذات، وسرعان ما انتبه البقية له، فاستداروا جميعاً لتلك الناحية.

- ششش ..

طلب منهم ريس بأن لا يصدروا صوتاً، واتجه هو بنفسه لتلك الغرفة، دفع الباب بحذر بالغ، وفجأة صدر من الداخل ضجيج غريب، وخرج ما بدا كموجة سوداء بوجهه، فصرخ وألقى بالفانوس أرضاً، صراخه أخاف البقية فتكوروا على أنفسهم منزلين رؤوسه لأسفل من شدة الرعب، وعندما هدأ الضجيج فتحوا أعينهم فتبين لهم بأن تلك الموجة السوداء ليست إلا مجموعة خفافيش أرادت الهرب فقط.

وصل نبأ اختفاء الأطفال الخمسة إلى جميع أهالي القرية، وحل الفرع مكان البهجة التي كانوا بها، عاد ألكساندر إلى المنزل مذعوراً وأخذ يبحث كالمجنون بأرجاء المكان، فخرجت له نتاليا والتي كانت في المطبخ سائلة إياه:

- ما الذي تبحث عنه؟

تقدم ناحيتها وأمسكها من ذراعيها سائلاً:

- عزيزتى هل شاهدت كولين بعد المسرحية ؟

- لا، اعتقدت بأنه يلعب مع رفاقة.

- لقد اختلفى هو وبقية رفاقه أيضاً.

في داخل الكوخ الخشبي، نهض ريس لينفض الغبار عن ملابسه، وهو محرج من صراخه قبل قليل، فقال غاضباً:

- لنعد كان هذا مضيعة للوقت.

لكن البقية ظلوا جامدين في مواضعهم، وهم ينظرون للغرفة خلفه، فانتابه الفضول والتف هو الآخر، وأي صدمة تلك، فالغرفة التي فتحها تحوي ثلاثة أسرة صغيرة، تماماً كالغرفة

في رواية الصياد، فازدرد لعابه، وكم تمنى لو يضحك الآن بوجوههم البائسة كونه كان على حق، لكن شيئاً ما حدث أفسد عليه متعة النصر، صوت صرير للخشب العتيق بدأ يشق طريقه

لأذانهم، التفتوا ببطء حولهم إلى أن أدركوا بأن الصوت آت من السقف، كان أقرب لوقع خطوات، فرفعوا أبصارهم لأعلى، وقال جاك بصوت خافت:

- ربما كان مجرد حيوان ما.

رد كولين من فوره على تعليق صاحبه.

- ألم تلاحظوا بأننا لم نر حيواناً واحداً منذ دخولنا لهذه الغابة، لا شيء سوى الخفافيش التي كانت مختبئة هنا.

صمت كولين قليلاً وقطرات العرق تتسابق نزولاً عند رقبتة، ثم أكمل قائلاً:

- أتساءل ما الذي كانت تختبئ منه تحديداً؟

نهضت ماغي ونفضت الغبار عن فستانها، ثم التقطت الفانوس الذي أسقطه ريس قبل قليل لتقول:

- حسناً أنا لا أرغب بالجلوس هنا واكتشاف ما الذي يرعب تلك الخفافيش.

- دعونا ننتظر حتى ينزل ذلك الشيء من على السقف.
 هذا ما اقترحه ريس، ووافقه البقية على ذلك، فوجدوا أنفسهم يجلسون
 بصمت منتظرين نزول ذلك الشيء من على السقف.
 عند حدود القرية انطلق ذلك البائع المتجول بعربته، كان قد قرر في وقت
 سابق المغادرة باكراً حتى يتمكن من اللحاق بالمهرجان في القرية
 المجاورة، جالس بالمقعد الأمامي وفرسه المسنة تجر العربة على مهل،
 عندها انتبه إلى الصندوق الخشبي الذي أخفاه في المقدمة، كان قد نسي
 أمره عند تلك المرحلة، فوضع اللجام جانبا وأخرج الصندوق ليضعه على
 المقعد بجانبه، وفتح الغطاء، لقد أراد رؤيتها فجدداً.
 - هل نمت لها أقدام؟

تساءل فيما بينه بصوت عالي، وهو ينظر للصندوق الفارغ بين يديه، كيف
 اختفت تلك التفاحة؟ هو لا يزال مشككا بأمرها، فقد حصل عليها من امرأة
 عجوز خرفه، لذلك لم يشير كثيراً لفقدانها، وهنا انتبه للطريق أمامه، كان
 هنالك فتى يمشي على الطريق حافي القدمين، فسحب اللجام موقفاً بذلك
 العربة.

- أيها الفتى، أحتاج إلى من يوصلك لوجهتك؟

ارتعب الفتى ما إن وقع نظره على العربة، يا لسخرية القدر، فها هو البائع
 الجوال الذي سرق منه تلك التفاحة يظهر أمامه، هو لم يرغب بالصعود
 لولا أن ألح عليه البائع ففعل في النهاية وجلس بالمقعد المجاور.

- ما الذي يفعله صبي بعمرك على هذه الطريق؟ ألن يقلق أهلك عليك؟

احتضن الفتى نفسه بذراعيه، ودفن وجهه بسترته البالية، ثم القي نظرة
 على الصندوق الذي أصبح الفاصل بينه وبين البائع قائلاً

- أنا يتيم مشرد، فلا أهل ليقلقوا علي.

- أهو كذلك .

صمت الصبي قليلاً، ثم قال محرجاً:

- أنا آسف، لقد سرقت هذه التفاحة منك .

قالها مشيراً إلى الصندوق الفارغ، فضحك البائع بصوت عالٍ مقابل دهشة الصبي وما إن توقف حتى قال:

- اعذرنى أيها الصبي، ولكن أي صدفة هذه التي جمعتنا،

المهم أخبرني مالذي فعلته بها؟ ثم قرب وجهه من وجه الصبي، ليسأل بابتسامة مأكرة:

- هل أكلتها؟

هز الصبي رأسه نفياً ثم قال :

- أخذها العمدة مني قبل أن أفعل، لا بد وأنها قد أصبحت في معدته الآن.

قالها مغتاضاً، فجسده لا يزال يؤلمه جراء ركلة ذلك الرجل.

- هذا مثير للاهتمام

سرح البائع قليلاً بخياله، ثم أكمل سائلاً الصبي:

- ما هو اسمك؟

- جيريمي.

- حسناً يا جيريمي، أراهن بانك قد سمعت من قبل عن قصة الصياد ومخلوق الليل.

أطلق جيريمي تنهيدة مستهزئة ثم أجاب:

- بالتأكيد ومن لم يفعل.

- حسناً، اتعلم لم كان ذلك الوحش يعطي الصياد طريدة كل يوم؟ ما الهدف من ذلك برأيك؟

أسند الصبي ظهره على المقعد وأخذ يفكر دون جدوى، فأجابه البائع المتجول:

- لأنه أراد أن تسمن ضحيته وتسترد عافيتها قبل الفتك بها، ذلك المخلوق كان يغذي الصياد بتلك الطرائد يوميا حتى استعاد الرجل عافيته وعندما شعر بالرضا، قام ذلك الوحش بإعطائه تلك التفاحة الحمراء.

- لم فعل ذلك؟

- بحسب ما سمعت فإن من يتناول التفاحة ستتغير دماؤه وتصبح شهية لدرجة يصعب مقاومتها، وتلك الوحوش أيها الفتى تتغذى على الدماء وخاصة البشرية منها، تلك كانت الوليمة المثالية لذلك المسخ.

ثم سكت قليلاً ليقول بنبرة جدية:

- من يعلم، ربما تكون محظوظاً لأنك لم تتناولها يا جيري.

في وسط الغابة، وبعد مضي بعض الوقت هدأ الصوت في الأعلى، وحل السكون أخيراً، فنهض ريس من مكانه قائلاً:

- هذه فرصتنا لنسرع قبل أن يعود.

توجه إلى الباب وتبعه البقية، ففتحه بحذر وألقى نظرة خاطفة للخارج، وعندما لم يجد ما يثير الريبة جرى مسرعاً ناحية الأشجار الكثيفة، واحداً تلو الآخر جروا من باب الكوخ إلى مجموعة الأشجار، كان كولين الأخير من بينهم، وعندما حان دوره جرى هو الآخر بأسرع ما لديه، وقبل أن يصل الأشجار الكثيفة، شعر بشيء ما يلحق به، أحس باقترابه شيئاً فشيئاً، وقبل أن يدرك ارتطم به من الخلف، وفي اللحظة ذاتها شعر بشيء يغرس بجلده على جانب الأيسر لعنقه تحديداً، كان الأمر مفاجئاً، فتعثر وسقط أرضاً، لكن السقطة لم تكن مؤلمة بقدر ما ألمه عنقه، فضغط بيده على مصدر الألم وهو يسمع رفاقه ينادون باسمه من بعيد، وقبل أن يدرك وجد جاك يسحبه من ذراعه سائلاً:

- ما الذي جرى؟

- لا، ... لا أدري.

تمكن من الوقوف على قدميه بمساعدة جاك، وجرى الاثنان ليلحقا بالبقية، أخذوا يجرون مبتعدين عن موقع الكوخ قدر الإمكان بعد أن نبهتهم صوفي على الإشارات التي تركتها ماغي سابقاً، وخلال وقت قصير وصلوا إلى بقعة يصعب الجري فيها فقالت ماغي:

- اعتقد بأنه لا بأس من السير الآن، لقد ابتعدنا بما فيه الكفاية.

فأخذوا يسيرون على مهل متتبعين جذوع الأغصان المحطمة، وبعد فترة قصيرة توقف جاك، لاحظ تأخر كولين عنهم بالمسير.

- كولين!

- ذلك الهزيل، إنه يعرقلنا.

كان ريس غاضباً، وشم نفسه لأنه قد اختار هذه المجموعة البائسة للقيام بمغامرته الصغيرة، لكن لم يكثرث أي منهم به وبتذمره، فعاد جاك ليجد كولين وقد خر ساقطاً بجانب

إحدى الأشجار، كان يلهث بشده وهو يمسك بجانب عنقه، جثا جاك على ركبتيه محاولاً فهم ما يحصل، وما إن لمس صاحبه حتى شعر بحرارة جسده.

- يا إلهي، كولين!

عادت الفتاتان أدراجهما بعد أن شعرتا بتأخر جاك، فوجدتاه آتيا ناحيتهما مهرولاً، وجسد كولين الصغير على ظهره.

- ما الذي حدث له؟

- لست أدري، لكن علينا العودة بأقصى سرعة.

جاك السمين أصبح كغزال رشيق، أخذ يجري بسرعة رغم وعورة الطريق، وحمله لصاحبه على ظهره، من جهته لم يكن ريس مهتماً بما يجري، لكنه ممتن بأنهم عادوا للجري مجدداً

على أطراف الغابة وقف بعض القرويين حاملين مصابيحهم الزيتية، بعض الأوتاد المشتعلة ولم ينسوا أسلحتهم أيضاً، فبعد تفتيش القرية بأكملها، أشار أحد الصيادين بأن الغابة هي التفسير الوحيد لاختفاء الأطفال الخمسة، فتقدم العمدة ووزع المهام على عدة مجموعات، مقابله وقف الكساندر وشعور ثقيل بالعجز يلف عقله، ضغط بكف يده على مقبض عصاه

فانغrust عميقاً بالتربة، إن ذهب معهم الآن فسيكون عائقاً فقط، أما نتاليا المتشبثة بذراع زوجها فتعض على شفتيها بمحاولة منها لعدم البكاء الآن، وبينما كانوا على وشك دخول الغابة

شاهدوا أحد القرويين يجري من بعيد ملوحاً لهم يشعلته:

- إنهم الأولاد، لقد عادوا.

صرخ بأعلى صوته وهو يشير خلفه، فتجلت أربع أجساد صغيرة لهم، وصل ريس أولاً وارتمى بحضن والده، كما فعلت صوفي وماغي المثل، فبحث ألكساندر ونتاليا عن وجه كولين بين البقية، لم يكن ابنيهما من بينهم، عندها تقدم جاك ناحيتهما لاهثاً من شدة التعب، خر الصبي على ركبتيه فبان لهم جسد كولين على ظهره، جرت نتاليا نحوه وانتزعت ابنها بذراعها

لتسأل بفرع:

- ما الذي حدث؟

حاول جاك التقاط أنفاسه بصعوبة، فأجابت ماغي عوضاً عنه بعد أن أفلعت من عناق والدتها:

- لا نعلم لقد انهار فجأة في طريق عودتنا.

أمسك الكساندر بوجه ابنه بين يديه، كان شاحباً لحد مرعب، فالتفت من حوله يبحث عن الطبيب سايمون، وقبل أن يدرك كان الطبيب بجانبه.

- دعني أرى.

انزاح كل من ألكساندر ونتاليا جانباً ليفسح المجال لـ سايمون حتى يقوم بعمله، بينما تجمع بعض القرويين حولهم متهامسين بعد أن انتابهم الفضول، و من بعيد صرخ ريس بهستيرية مشيراً إلى بقية الأولاد:

- طلبت منهم عدم دخول الغابة، لكنهم كانوا مصرين فلحقت بهم لإيقافهم يا أبي.

نظر الثلاثة إليه بصدمة، فهو صاحب فكرة الذهاب للغابة السوداء، لكنه لم يتوقف عند هذا الحد وأضاف:

- لو لم أكن معهم لما استطاعوا الخروج من تلك الغابة.

منزعجاً من صوت ذلك الصبي، استقام الطبيب سايمون حاملاً كولين بين ذراعيه وموجهاً كلامه لـ ألكساندر ونتاليا:

- لنأخذه إلى المنزل.

وضع سايمون كولين في سريره، وحاول معاينته مجدداً، بينما ذهبت نتاليا للبر من أجل أن تحضر ماء بارداً منه، فتح الطبيب ياقة الصغير بعد أن لاحظ تلوثها ببقعة دماء ازاح الياقة أكثر وبانت له كدمة من نوع ما، تتبع أثرها بأصابع يده، فوجد جرحين صغيرين غائرين في الجهة اليسرى، بين العنق وعظمة الترقوة وهنا رفع رأسه لينظر باتجاه ألكساندر الممسك بيد ابنه:

- تبدو لي كعضة ثعبان.

- أيمكنك معالجتها؟

ارتسمت نظرة ارتباك على وجه الطبيب قبل أن يجيب قائلاً

- إن كان قد تسمم بفعل ثعبان ما، فأنا بحاجة لمعرفة نوعه حتى أحدد المصل المضاد للسم.

كان الكساندر سيقترح سؤال الأولاد، ولكن قشعريرة سرت بجسده بعد ان تذكر ما قالته ماغي قبل قليل. هذا يعني بأن الأولاد لم يشاهدوا أي ثعبان، ايمكن ان يكون كولين قد شاهده؟ هذا ما فكر به قبل أن يقرر سؤال ابنه كخطوة يائسة:

- كولين أيمكنك سماعي؟ افتح عينيك يا بني أرجوك.

لكنه لم يحصل على أي إجابة، شعر الكساندر بغصة في حلقه وهو ينظر إلى كولين الذي ينازع من أجل إدخال بعض الهواء في رئتيه، وبعد دقائق عادت نتاليا ووضعت إناء الماء الذي أحضرته من البر، فقام الطبيب بتنظيف الجرح جيداً ثم قال:

- سأذهب لعيادتي وأرى ما الذي قد أجده لمساعدته، أما أنتما فراقباه جيداً، إن حدث أي عارض جديد أعلماني على الفور.

مر الوقت ببطء شديد على عائلة الكساندر، كل دقيقة، ساعة، وكل يوم بدا كالدهر بطوله، تناوب الاثنان على رعاية كولين، والذي لم يظهر أي إشارات من تجسسه بل بدا وان الحياة تنسل منه شيئاً فشيئاً، حتى انقضى اليوم الأخير للأيام المشرقة، غابت الشمس وغاب نورها الدافئ مودعا الأرض بمن عليها، ليحل أول يوم من الليل الطويل بارداً وموحشاً

كان دور الكساندر في تلك الليلة، جلس على كرسيه بجانب سرير كولين، يده اليمنى تمسك بيد ابنه، بينما يده اليسرى منشغلة بتقليب صفحات الكتاب امامه، موسوعة للأفاعي حصل عليها من جيكوب والد جاك، كان يقرأ قليلاً ثم يقارن بين ما يقرأه وما دون بسجلات عيادة الطبيب سايمون، بحث عن أي حوادث سابقة شبيهة بما يحصل الآن، كان قد حصل سابقاً على بعض التشابه في بعض الحوادث، وقام الطبيب سايمون بتجربة العلاج ذاته، لكن لا شيء من ذلك أحدث فرقا بعد جلوسه لساعات طويلة، شعر الكساندر بالتعب والإرهاق، حتى أنه لم يتمكن من تركيز نظره على ما يقرأ، الكلمات تداخلت فيما بينها، كان على وشك إغلاق جفنيه عندما سمع كولين يقول شيئاً، نظر إليه كبصيص أمل صغير فاندفع سريعاً وجلس على حافة السرير، لم يكن الصغير واعياً، لا تزال عيناه مغمضتين لكن شفثيه تتحركان، قرب الكساندر وجهه من وجه كولين محاولة فهم ما يهذي به فخرجت بضع حروف متفرقة من بين شفثيه:

- ه .. نا، ه .. ي ...

- أنا هنا يا بني، والدك بجانبك تماماً.

تراجع الكساندر بغير فهم، لكنه لم يحفل الأمر أكثر من طاقته، فمن الطبيعي أن يهذي ابنه بهذه الطريقة بسبب ارتفاع حرارته، فأخذ قطعة القماش من الإناء المملوء بالماء بجانبه بللها قليلاً ثم عاد يمسح بها جسده النحيل لعلها تخفف لهيبه قليلاً، ثم وضعها جانباً بعد أن انتهى، أطفأ المصباح الزيتي، واستلقي بجانب ابنه إلى أن استسلم للنوم بالنهاية بعد وقت قصير أفاق الكساندر بسبب نسمة باردة لفحت جسمه، فتح عينيه على مهل وهو يبحث بيده عن جسد كولين بجانبه، وفجأة انتصبت كل شعرة من جسده فزعاً، فلقد اختفى ابنه الذي كان بجانبه تماماً، نهض من مكانه كالمسوع فانتبه من فوره إلى ذلك الكيان الواقف بالزاوية، الظلام حالك في الغرفة، فلم يتمكن من معرفة ما هو حتى سار ذلك الشيء على مهل ناحية النافذة، فبان له جسد كولين بأطرافه المتدلالية بين يدي ذلك الكيان، هيئته بشرية، فذلك لم يكن حيواناً من نوع ما يقف على قدمين، بل بدا بشرياً لحد كبير لولا طوله المفزع، استجمع الكساندر قوته قائلاً:

- من أنت؟ أترك ابني في الحال وإلا ستندم.

لم يحصل على أي إجابة، وعضاً عن ذلك أدار ذلك المخلوق رأسه لينظر ناحية الكساندر فجمد الدم في عروقه واتسعت عيناه لهول ما يراه، دائرتان تشعان بالظلام بلون الياقوت تنظران إليه، فتسارعت دقات قلبه وشعر بشلل لحظي، تخدرت أطرافه، لقد أراد الاندفاع والهجوم، لكن شيئاً من ذلك أبى أن يحدث، بالمقابل لم يعر ذلك المخلوق الكساندر أي اهتمام يذكر وأكمل طريقه للنافذة المفتوحة، انسل منها برشاقة دون أن يصدر أي جلبة واختفى تحت جناح الظلام انهار الكساندر بعدها بلحظات، وخلال بضع دقائق شعر بأطرافه مجدداً فحاول الوقوف والسير باتجاه النافذة، نظر بكل الاتجاهات دون أن يتمكن من رصد أي شيء، وهنا علم بأنه قد فشل بحماية ابنه خر أرضاً بعد أن شعر بأن قوته قد استنفذت من تلك المواجهة الغريبة، عندها صرخ بحسرة وهو يلکم الأرض دون توقف.



يقال بأن هنالك شجرة للتفاح الأحمر تم رصدها ببقعة عميقة بالغابة
السوداء، وبسبب تلك الأقاويل حاول الكثير من المغامرين دخول الغابة
والبحث عنها، إلا أن كل تلك المحاولات باءت بالفشل لأن معظم من
وصلوا لتلك البقعة من الغابة لم يخرجوا منها، ولم يتم العثور على جثثهم
أيضاً، أما بالنسبة للقلة ممن تمكنوا من العودة، فلم يرغب أي منهم بتكرار
المحاولة بسبب الأهوال التي ذاقوها هناك.

الفصل (3) :

غصة.

بعد جولة عقيمة في الخارج، عاد الكساندر إلى غرفة كولين يجر أذيال الخيبة، وصل إلى المكتب بجانب السرير، وهدق بالمكتب عليه، موسوعة للأفاعي، كتب عن السموم، سجلات طبية، فلمعت عيناه قهراً، واصطكت أسنانه غيضاً، وبلحظة غضب هوى بقبضتيه وأتى على كل شيء أمامه، فطارت الكتب جانبا لترتطم بالحائط قبل أن تستقر على الأرض.

- تبا، لذلك لم يفد أي علاج استخدمناه تلك لم تكن عضة أفعى.

تجلت أمامه العينان المضيئتان بلون الياقوت الأحمر، لا تزال الصورة حاضرة في مخيلته، لا يمكن أن يكون ذلك خيالاً.

حل اليوم التالي ثقيلًا، فقد كان على الكساندر إخبار نتاليا بما جرى، من أين يبدأ حتى؟ وكيف سيبرر ما حدث لها؟

- ما الذي تقوله يا ألكس؟

تراقصت دموعها بطرف عينيها، ولا تزال تحت تأثير الصدمة مما سمعته للتو من زوجها، فسألته

- ما الذي تعنيه بأن وحشا ما قد اختطف كولين؟ ما هذا الهراء يا ألكس؟
وفجأة تحولت دهشتها إلى عتاب وعويل.

- أين هو ابني؟

دفعت زوجها جانباً، وجرت إلى غرفة كولين وهي تنادي عليه مستميتة، بحثت عنه في كل زاوية وركن بتلك الغرفة الصغيرة، إلى أن أدركت بأنه لا فائدة مما تفعله، فجلست على السرير لدقيقة قبل أن تجهش بالبكاء أخيراً وهي تحتضن غطاء سريره، راقبها ألكساندر من بعيد دون أن يتدخل، فلا يملك الكلمات المناسبة الآن لمواساتها، وبعد لحظات أحكم قبضته على عصاه وغادر المنزل، سار الكساندر بعزم إلى منزل العمدة وبعد عدة خطوات على الباب فتحت له زوجة العمدة مرحبة به :

- أوه ألكساندر، أهلاً بك.

- أين هو العمدة؟

- أنه ...

أشارت له ولم تكمل جملتها حتى تخطاها مسرعاً إلى مكتب زوجها، كان هنالك رجلين أتوا لمناقشة بعض الأفكار الزراعية الجديدة عندما دخل ألكساندر وقاطع حديثهما مع العمدة قائلاً :

- أيها العمدة، أحتاج للمساعدة.

- ما هذا يا ألكس ! ألا يمكنك أن ترى بأنني مشغول الآن، تعال في وقت آخر.

وبدل أن يستمع إليه، أصبح الكساندر أكثر إصراراً وعلا صوته أكثر قائلاً:

- الأمر لا يحتمل التأجيل.

ارتعب المزارعان وتنحيا جانباً، فتقدم ألكساندر حتى وصل إلى حافة طاولة مكتب العمدة ليقول

- أحد ما اختطف ابني قبل عدة ساعات.

أشار العمدة للرجلين بأن يغادرا، ثم شبك يديه فوق المكتب مجيباً:

- ومن الذي سيفعل شيئاً كهذا؟

ابتلع الكساندر ريقه، وفكر قليلاً قبل أن يجيب فهو لا يرغب بذكر ما شاهده إن كان هو لا يزال غير مصدق فكيف سيتعامل العمدة مع وضع كهذا؟

- لست ادري، ربما قطاع طرق، أو تجار للعبيد، أنت تعلم بأنهم ينشطون في مثل هذا الوقت من العام.

- إن كانوا قطاع طرق فسيتواصلون معك لطلب فدية أو شيء من هذا القبيل وبحسب ما أرى فأنت رجل مقتدر يمكنك تدبير النال اما ان كانوا تجاراً للعبيد ...

ضحكة مستهزئة خرجت من فمه الكريه قبل ان يكمل قائلاً:

- ههه اسمح لي يا ألكساندر، لكن تجار العبيد لن يضيعوا وقتهم وجهدهم على صبي ضعيف على حافة الموت كابنك.
- أدلى بدلوه ثم أمسك أحد الأقلام أمامه وأخذ يكتب متجاهلاً الواقف أمامه:
- كان سيموت على أي حال، والآن يمكنك المغادرة فلدي مشاكل أكثر أهمية تحتاج لأصرف طاقتي عليها.
- بعد الذي قاله توقع العمدة بأن يغادر الكساندر من فوره، لكن الأخير لم يفعل، كان لا يزال في موضعه عندما فتح فمه قائلاً بكل هدوء:
- دخول الأولاد لتلك الغابة كان فكرة ابنك ريس، وما حدث لـ كولين هو خطأ ابنك أيضاً.
- ما هذا الهراء الذي تتفوه به!
- كان الكساندر واثقاً من نفسه عندما أكمل بنبرة مهددة:
- إن لم تصدقني اذهب واسأله بنفسك، بعد الحادثة بيوم واحد أتى الأطفال الثلاثة إلى منزلي وأخبروني بالشيء ذاته، قالوا بأن ريس هو من دفعهم للذهاب وأخبرهم أيضاً بأنك كنت موافقاً على الفكرة، أسمعني أيها العمدة، إن لم تشكل فريقاً الآن للبحث عن كولين سأذهب وأقف بمنتصف الساحة وسأخبر الجميع بما فعله ريس وسأحملك وحياه الذنب كاملاً.
- كان جاداً لدرجة جعلت العمدة يتراجع عن قراره مجيباً:
- حسناً، اذهب الآن وسأرى ما يمكنني فعله.
- انتظر العمدة مغادرة ألكساندر لمنزله، ثم مشى غاضباً لغرفة ابنه، صفق الباب بقوة ارتعب معها الصبي، ثم اندفع ناحيته وجره من ياقته:
- هل ما يقوله الأولاد صحيح؟ أكنت صاحب فكرة الدخول للغابة؟
- ارتجف الصبي وهو يحاول ابتداع كذبة أخرى ليفلت من قبضة والده، لكن الأخير لم يعطه أي فرصة عندما صفعه بكل قوة قائلاً:
- بسبب تصرفاتك الطائشة أصبحت لعبة بيد ذلك المتعطرس.
- صدقني يا أبي أنا لم أكذب عليك .

بكي الصبي متوسلاً والده من دون فائدة، فلا شيء بإمكانه إطفاء غضب العمدة الآن بعد أقل من ساعة تمكن العمدة من تكوين فريق للبحث، كانت الوجهة الغابة السوداء، فهي وكما قال الكساندر المكان الذي قصده الخاطف، فتوزع الرجال وتوغلوا في المكان على مجموعات صغيرة، كان ألكساندر من بينهم هذه المرة، مشطوا الغابة ابتداءً بحدودها الخارجية، وساروا عميقاً للداخل شيئاً فشيئاً، مضت ساعات طوال وأرهق معها الرجال دون أن يعثروا على أي دليل يقودهم للخاطف، انقضت ست ساعات من البحث المتواصل قبل أن يقرروا في النهاية إيقاف البحث مع وعد بأن يعودوا غداً لإكمال المهمة .

اليوم الثاني، الثالث، أسبوع، فشهرا، وفي كل يوم يمضي كان عدد الرجال يقل تدريجياً، والفرصة أصبحت شبه معدومة، في النهاية لم يتبق من فريق البحث إلا ألكساندر وجيكوب، حتى الطبيب سايمون الذي كان معهم لآخر لحظة اضطر للتوقف عن البحث مبرراً:

- أنا آسف يا ألكس، لكن لا يمكنني ترك العيادة هكذا.

بالتأكيد تفهم الكساندر موقفه، وشكره على كل شيء قدمه حتى الآن في أحد الأيام وبينما كان يجهز لجولة البحث، سمع الكساندر ضرباً على الباب، ففتحه وإذا به الحطاب المسن غريفن ومعه حفيدته صوفي، والتي دفعها للداخل بيده قائلاً:

- اذهبي لمساعدة خالتك نتاليا.

أومأت له حفيدته وتوجهت للداخل من فورها، بينما ظل هو مع ألكساندر عند المدخل فسلمه شيئاً ما كان معه، عكازة خشبية دفعها ليد الكساندر قائلاً:

- هذه لك، حاولت صناعتها لتناسبك، ربما لا تكون جيدة بالقدر الكافي فلم أعد شاباً كما تعلم، لكنني واثق بانها ستكون أفضل من تلك العصا التي تستخدمها.

حملها الكساندر ليقول ممتناً:

- غريفن، شكراً لك، أنا ...

ولكن غريفن المسن قاطع حديثه قائلاً:

- لا تشكرني يا ألكساندر، فأنا هنا لأطلب منك مسامحتي على تقصيري.

ثم نظر غريفن حوله، إلى المنزل الذي بدا فارغاً ثم أضاف:

- اتمنى لو بإمكانني فعل ما هو أكثر من هذا.

كان الحطاب المسن على وشك الالتفاف والمغادرة لولا ان اوقفه الكساندر قائلاً:

- ومع هذا شكرا لك يا غريفن، يكفي أن حفيدتك تأتي يومياً للاعتناء بـ نتاليا.

هز المسن راسه بعينين باسمتين لا تكاد تلاحظ مع كل تلك التجاعيد، ثم سار عائداً إلى منزله.

مشت صوفي وهي تحتضن دميتها الخزفية في أرجاء المكان كام تحمل صغيرتها، كانت تبحث عن نتاليا، فعثرت عليها تجلس في الشرفة الخلفية للمنزل، ألقت السلام بصوتها الخجول وجلست على الكرسي المجاور لها، بطن نتاليا أصبح أكثر انتفاخاً الآن وقد دخلت في شهرها الرابع من الحمل، ورغم أنه بقي لها الكثير حتى موعد الولادة إلا أن التعب والإرهاق كان واضحاً عليها، حتى الصغيرة ذات الأعوام الستة يمكنها ملاحظة ذلك.

- ما الذي تقرئينه يا خالة؟

كانت صوفي تشير إلى الكتاب بيد نتاليا، فتوقفت الأخيرة عن القراءة وعرضت الغلاف على الصغيرة لتجيبها:

- إنها قصة الفارس والتنين.

مسحت نتاليا على بطنها بكف يدها، لتقول وقد شقت ابتسامة طفيفة على شفثيها الرقيقتين:

- شعرت اليوم برغبة لقراءتها لابني او ابنتي، لست أدري.

- الفارس و التنينين!

تساءلت صوفي وهي تحاول قراءة عنوان الكتاب بصعوبة، فابتسمت لها
نتاليا لتقول لها:

- كانت هذه قصة كولين المفضلة.

ثم التمعت عيناها وهي تحديق في الغلاف لتقول بمرارة:

- لطالما قال لي بانه يريد ان يصبح فارسا، وانا كنت أغيظه بقولي بأنه
بالوقت الذي سيستغرقه ليكبر سيكون زمن الفرسان قد ولى.

عضت على شفثيها بحسرة وهي تتذكر وجهه الصغير والمغتاظ من
مزاحها معه، وفي اللحظة ذاتها نظرت صوفي إلى دميتها الخزفية
لتستحضر ذاكرتها احداث ذلك اليوم عند عربة

البائع المتجول، وبكاءها لكونها لا تملك المال لشراء هذه الدمية، يومها
تخلى كولين عن لعبة الفارس من اجل ان يكمل المبلغ من اجلها، عندها
أحست بشيء من الضيق يختلج صدرها،

فنزلت من على كرسيها وقامت باحتضان نتاليا باكية، فضمتها الأخيرة
لتجهش هي أيضاً ببكاء صامت.

وصل جيكوب والكساندر إلى بقعة جديدة اليوم، بسبب جولاتهم اليومية،
بالإضافة إلى خبرة جيكوب كصياد، أصبحا يألفان الغابة لدرجة تمكنهما
من تمييز المناطق الجديدة بكل

سهولة، وبينما كانا يسيران شمالا، أخرج جيكوب البوصلة من حقيبته
وسلمها لـ الكساندر قائلاً:

- اعتقد بأن هذه لك، احتفظ بها ابني جاك بعد ان اوقعها كولين في الغابة
أثناء هروبهم.

اخذ الكساندر البوصلة وحدق بها بغير فهم، فالمؤشر كان يدور دونما
توقف.

- ما الذي جرى لها؟

- لست أدري، أخبرني جاك بأن الشيء ذاته حدث معهم داخل هذه الغابة،
بعد أن قطعوا مسافة معينة جن جنون هذه البوصلة وتوقفت عن العمل.

نظر الكساندر امامه، ثم عاد ليحدق بالبوصلة مجدداً.

- هنالك أمر خاطئ بهذا المكان يا جيكوب.

هز جيكوب راسه موافقاً ثم أضاف:

- طوال سنوات عملي كصياد لم أر شيئاً كهذا.

نظر إليه الكساندر بتوجس، وقد التمس لبرة مقلقة بصوته:

- ما الذي تعنيه؟

- انظر من حولك يا الكس، كم مضى على بحثنا في هذا المكان؟ الم تلاحظ بان الغابة تخلو من الحيوانات.

كان ألكساندر قد لاحظ ذلك منذ فترة، لكنه لم يكن على علم بوضع الغابة في فترة الليل الطويل، فهو ليس صياداً بنهاية الأمر، وافترض بأن الحيوانات تختبئ في مثل هذا الوقت من العام، لكن تشكيك جيكوب بهذا الأمر والآن يدل على أن افتراضه خاطئ، فقال جيكوب مفسراً:

- أنا لا أوقف جولات الصيد في مثل هذا الوقت من العام، صحيح أن معظم الحيوانات تدخل بسبات مع غروب الشمس، إلا أن الكثير منها تنشط مع حلول الظلام أيضاً.

أحكم الكساندر قبضته على البوصلة ثم قال بنبرة يائسة:

- لنوقف البحث يا جيك.

- ما الذي تقوله يا ألكس؟ هل استسلمت بالفعل؟

صاح به جيكوب متسائلاً عن سبب تغيير رأيه المفاجئ هذا، فرد عليه:

- يكفي لهذا الحد، لا أريد أن أعرض حياتك للخطر أيضاً بسبب أمل معدوم.

بعد أن علم بالوضع الخاطئ لهذا المكان، شعر الكساندر بأنه يلقي بحياة صديقه في بؤرة الخطر لهذا قال ما قاله، بالمقابل أبدى جيكوب اعتراضه على الأمر قائلاً:

- مازال أمامنا مساحات كبيرة لنبحث فيها، ربما عندها سنجد دليلاً ما يقودن ...
- لكن الكساندر اوقفه بحزم قبل أن يضعف ويغير رايه:
- مر شهران بالفعل ...
- انحشرت الكلمات في حلقه قبل أن يتمكن من لفظها أخيراً:
- لا أمل بإيجاده حياً.
- أنت من يقول هذا يا ألكس؟
- ارتجفت شفقا الكساندر مع ابتسامة تعيسة مقابل احتياج جيكوب.
- لم يكن هناك أمل منذ البداية، عندما عاد الأولاد في ذلك اليوم ورأيت وجهه، تمكنت من تمييزها.
- وقف جيكوب متسائلاً، ما الذي يتحدث عنه صاحبه الآن؟
- لقد رأيتها لآلاف المرات من قبل اثناء خدمتي العسكرية، إنها نظرة الموت يا جيك، كنت أعلم بأن ابني يحتضر، لكنني وبعنجهية مني حاولت إنكار الأمر، لم أرغب بأن اعترف بذلك.
- أنت كاذب تقول هذا فقط لتبرر توقفك الآن، إذا لماذا قاتلت بشراسة في البداية أيمكنك أن تفسر لي هذا؟
- بدأت مشاعر الغضب تجد طريقها للصيد المحنك، فقال الكساندر:
- لأنني أردت أن أرى وجهه مجدداً، أردت أن أراه حتى لو كان مجرد جثة باردة ...
- نظر الكساندر ليدته المرتجفة وقد وصل لأسوأ حالاته الآن:
- اردت دفنه بنفسي يا جيك أردت ...
- خر الكساندر أرضاً، ووقع عكازه بجانبه، فانسابت دموعه بحسرة، الآن فقط تمكن من قولها، من نطق ما كان يشعر به طوال تلك المدة.
- حتى لتاليا، رغم أنها لم تقلها، لكنني أعلم بأنها قد سلمت بالأمر منذ مدة.

تبدد غضب جيكوب فجأة وهو ينظر لصاحبه، إنها المرة الأولى التي يرى فيها ألكساندر بهذا الضعف، فانحنى ومد ذراعه ناحيته ليقول مقترحاً:

- إن كانت هذه الجولة الأخيرة، إذا لنقم بها على أكمل وجه.

رفع الكساندر راسه ونظر ليد صاحبه الممدودة ناحيته، فمسح وجهه بكم ذراعه وهو يومئ له موافقاً، ثم مد يده له.

سار الاثنان شمالاً، متتبعين بذلك الطريق نفسها التي سلكها الأطفال قبل أكثر من شهرين، إلى أن وجدا نفسيهما في النهاية قد وصلا إلى البقعة الخالية من الأشجار والتي تحيط بذلك الكوخ الخشبي المهجور.

- انظر يا الكس، أعتقد بأنه المكان ذاته الذي وصل إليه الأولاد؟
- هذا جائز.

دخل الاثنان للمكان الخاوي، وتجولا قليلاً به قبل أن يقررا أخذ استراحة قصيرة، الشعلة في فانوس جيكوب أخذت تتراقص مشكلة ظلالاً مترنحة على الجدران الخشبية العفنة.

- هذه الغرفة التي حدثني عنها جاك.

نظر الاثنان إلى الأسرة الثلاثة الصغيرة، والفكرة ذاتها أخذت تحوم برأسيهما، لكنها لم تدم طويلاً بعقل جيكوب، بالمقابل وضع ألكساندر كان مختلفاً وخاصة بعد الذي شاهده ليلة اختطاف ابنه.

- جيكوب، هنالك أمر لم أخبر احداً به، باستثناء نتاليا بالطبع، التفت إليه صاحبه بحيرة، فأكمل مضيفاً:

- هل ستصدقني إن قلت لك بأن من أخذ كولين بتلك الليلة لم يكن بشراً.

لم يتفوه جيكوب بأي كلمة وتابع حديث صاحبه الذي قال:

- كانت له هيئة بشرية، في الحقيقة أنا لست متأكداً فكل شيء حدث بعظمة الليل، لكن ما أنا متأكد منه هو رؤيتي لتلك العينين.

ثم حلق بالمكان من حوله ليقول:

- كانتا مضيتتين بلون الياقوت الأحمر، قد تعتقد بأنني بدأت أجن أو شيء من هذا القبيل، لكني متأكد مما رأيت.

ما زال جيكوب صامتاً، ولم يبد أي ردة فعل تذكر، وبعد دقيقة من الصمت المطبق، فتح فمه قائلاً:

- لا اعتقد بأنك مجنون.

اتسعت عينا الكساندر بغير تصديق، فلقد توقع أي شيء إلا هذه الإجابة، بالمقابل حدق جيكوب بلهيب الشعلة المتراقص قائلاً:

- قبل عشر سنوات على وجه التحديد، حدث هذا قبل مجيئك وعائلتك إلى القرية، كنت بإحدى رحلات الصيد أطارد مجموعة من الغزلان المرقطة (6)، كان اللحاق بها صعباً إلى حد

ما، فهي سريعة بالحركة مقارنة ببقية أبناء جنسها، فانتهي بي المطاف بمكان أجهله، وبينما كنت أحاول تحديد موقعي عثرت هناك على كومة من الجيف متراسة فوق بعضها بعضاً بتناسق غريب، أصابني المشهد بالغثيان وقررت بعدها العودة، وهنا تحديداً لمحت كرتان حمراوان تلمعان بالظلام، دام الأمر لثانيتين فقط قبل أن تخفيا.

- ولماذا لم تخبر أحداً بذلك الوقت عما رأيت؟

- اعتقد بأنني لم أفعل؟ كان هذا أول شيء حاولت القيام به ما إن عدت للقرية، أخبرت بقية رفاقي الصيادين، لكن لم يصدقني أي منهم، بل إن بعضهم قد اتهمني بالجنون.

أطلق جيكوب تنهيدة محبطة قبل أن يكمل:

- لم يتكرر الأمر، فقد كانت تلك المرة فقط، وتكفل الوقت بعد ذلك بدفن الأمر، فنسيته تماماً ... حتى أخبرتني انت لتوك بما رأيت.

- يستحسن بنا أن نعود.

أوماً جيكوب موافقاً، فحمل المصباح، وخرجا من الكوخ تحت جناح الظلام ليعودا إلى القرية مجدداً.

في تلك الليلة، استجمع الكساندر طاقته وأخبر زوجته نتاليا بأنه سيوقف البحث، ظل يتحدث وأخبرها بأن كل شيء سيسير على خير ما يرام، وأن الحياة لا بد لها أن تستمر برغم

كل شيء، بالمقابل لم يجد أي اعتراض من ناحيتها، فقد كانت هادئة ومتفهمة لأقصى حد، لكن ما يجهله هو بأنها استنفذت ما لديها من دموع ذلك اليوم، كما لو أنها كانت تعلم بقراره قبل تلك الجولة الأخيرة، فردت عليه بصوتها الرقيق:

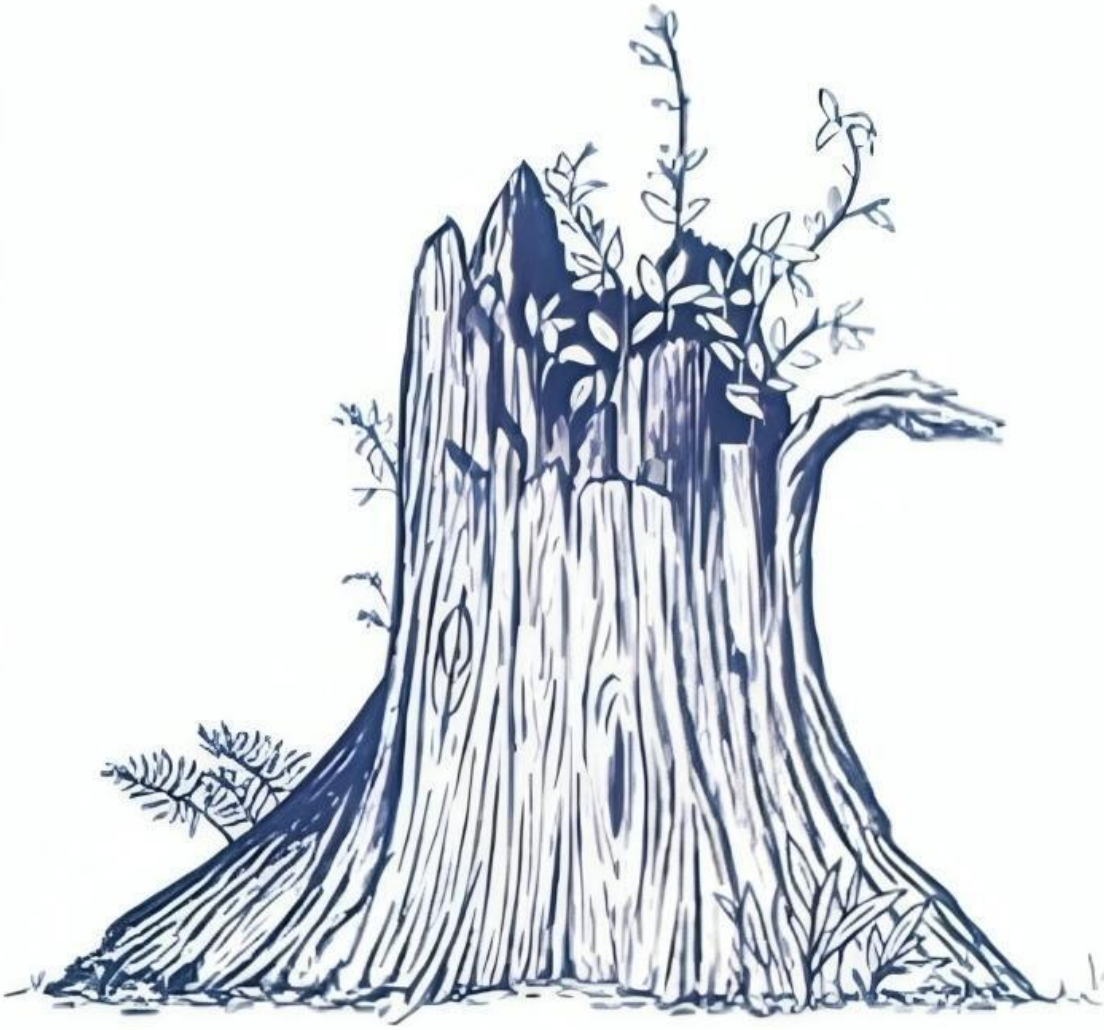
- كما قلت يا الكس، سيكون كل شيء على خير.

قالتها بوجه باسم، ابتلعت غصتها، وسحبت يده لتضعها على بطنها، مؤكدة بذلك بأن الحياة ستستمر بغض النظر عما حدث، تماماً كما قال لها.

في الأسبوع ذاته أقيمت جنازة صغيرة لـ كولين، حضرها معظم أهالي القرية، وبالتأكيد لم يكن الأولاد ليفوتوا فرصتهم الأخير لتوديع صديقهم الراحل، بكى الكثيرون خلال المراسم،

ولم تتمكن صوفي من أن تحبس دموعها لذلك اليوم، بكت حتى تورمت عيناها، حتى ماغي المتعالية والمدللة لم تتمكن من مقاومة الأمر، فخبأت وجهها بمعصمها وبكت بصمت وهي تعض على شفثيها بحسرة، بينما كان جاك السمين هو الأسوأ من بينهم، فـ كولين كان صاحبه الوحيد في هذه القرية، بالمقابل وقف الزوجان الكساندر ونتاليا ممسكين بيدي بعضهما بعضاً،

تشابكت أصابعهما واندمجت معاً، وكان كل واحد منهما يستمد طاقته من الآخر، قاما بإنزال التابوت الصغير الفارغ، ودفن ليوضع الشاهد بالنهاية على التربة الرطبة.



"ابننا الحبيب كولين، لترقد بسلام اينما كنت"

على جنوب قرية إيستوود تقع غابة أخرى يطلق عليها القرويون اسم غابة الضياء، مع العلم بأن هذا ليس اسمها الرسمي، إلا أن أهل قرية إيستوود استخدموه لأنها كانت مكاناً مشرقاً على عكس نظيرتها السوداء.

الفصل (4):

صرخة تحت ضوء القمر.

تعاقبت أيام الليل الطويل، وعاد أهل القرية لنظام حياتهم المعتاد، قطع الأشجار لأعمال النجارة والبناء، جولات الصيد في السهول القريبة، وحرث الأرض من أجل تجهيزها لاستقبال

الأيام المشرقة المقبلة، وشهرا تلو آخر اصبح معها اسم كولين مجرد ذكرى عابرة بأذهان الجميع.

إنه الشهر الأخير من الليل الطويل، وقفت نتاليا أمام المرأة بغرفة كولين، والتي جهزها الكساندر من أجل استقبال مولودهما الجديد، ضوء القمر كان يتسلل على استحياء عبر زجاج النافذة، منعكساً على بشرتها الحنطية، نظرت لانعكاسها مع الغرفة، فراودتها مشاعر مختلطة، لقد بدا المكان مختلفاً كلياً، لكنه بطريقة ما مازال يحتفظ برائحة ابنها الراحل، أخفضت رأسها ونظرت لبطنها المنتفخ وأمسكته بكلتا يديها، ثم ارتفعت ببصرها إلى منتصف صدرها، حيث استقر قلب العقد الفضي هناك، والذي كان هديه كولين لها بالمهرجان، أمسكت به واعتصرته بيدها، وحاولت أن تكون إيجابية قدر استطاعتها وهي تقول بابتسامة ساذجة:

- أترى، لم يبقى إلا شهر واحد -

نظرت إلى بطنها المنتفخة مكلمة حديثها

- عن قريب سيأتي شقيقك أو شقيقتك للحياة، سيأخذ غرفتك، ملابسك ربما، لكن أريدك أن تعلم بأنه لن يياخذ مكانك هنا، لا أحد بإمكانه فعل ذلك يا بني.

قالت جملتها الأخيرة وهي تربت بيدها على موضع العقد فوق صدرها، مقاومة رغبتها العارمة بالبكاء، أخذت شهيقاً عميقاً، ثم استدارت ناحية المهد هناك، مكان السرير السابق، وفي

هذه اللحظة ضرب الكساندر على إطار الباب الخشبي ضربات خفيفة، مقاطعاً بذلك خلوتها مع نفسها ليقول معاتباً بأسلوب لطيف:

- إلى أين ذهبت تعليمات الطبيب؟

فالتفت ناحيته وهي تضع أصبع سبابتها على فمها مجيبة بصوت خافت:
- كنت أمل الا تشي به عنده.

بسبب كل ما جرى، والضغط النفسي الذي تعرضت له، كادت لتاليا أن تفقد هذا المولود عدة مرات حتى الآن، لهذا طلب منها الطبيب سايمون بأن تلازم فراشها وأن لا تهمل استخدام

الأدوية التي وصفها لها، لقد مر هذان الاثنان بأيام عسيرة وخوف لا يحتمل من فقدان طفل آخر.

اقترب الكساندر من زوجته وضمها من الخلف، ثم أدارها ليواجهها المرأة من جديد، تلامست وجنتيهما، فابتسم وهو متشبث بعكازه بيد، بينما يشبك أصابع يده الأخرى مع يد حبيبته
قائلاً:

- حسناً، أنا لن أشي بك عند سايمون، لكن بشرط واحد.

احمرت وجنتاها وهي تجيبه بابتسامة عريضة:

- ما هو شرطك؟

بينما لا يزال ممسكاً بيدها، أدارها ليتقابلا وجها لوجه ثم قال:

بشرط أن تكوني مرافقتي لحفل زفاف شقيقة جيكوب.

نظرت إليه بحيرة فأجابها من فوره:

- لقد فرغت لتوي من رؤية سايمون، أخبرني بانه لا بأس من ذهابك ما دمت لن تفعلي شيئاً متهوراً كالرقص.

- أيها الماكر، كان عليك أن تقول هذا منذ البداية.

غمز لها وهو يجيب بابتسامة ماهرة:

- احب ان أغيظك في بعض الأحيان.

قبل فترة قصيرة تقدم أحد شباب القرية لطلب يد سوزان شقيقة جيكوب الصغرى، وبنهاية هذا اليوم ستقام مراسم زفافهم المنتظر، كان من النادر أن تشهد القرية حدثاً مفرحاً خلال

أيام الليل الطويل، شيء كهذا سينظر إليه كندير شؤم من قبل الكثيرين،
لكن ليس سوزان، فلقد كان لها رأي آخر، وجدت أنه من الشعاري إقامة
مراسم زفافها تحت سماء ليلة مرصعة

بالنجوم اللامعة بدل أشعة شمس حارقة.

نثرت بتلات الأزهار على الأرض، بينما علقت الفوانيس المصنوعة من
الورق المقوى بخيوط متصالبة على طول الساحة العامة، إنارتها الخفيفة
والدافئة أعطت شعوراً وجواً مختلفاً

للمكان، وكأنها أرض خيالية قد خرجت من بين صفحات قصص الأطفال
ما قبل النوم، وفي منتصف المكان ساعد بعض الرجال في بناء منصة
صغيرة، حيث سيتبادل العريسان عهود

زواجهما، واهتمت النساء بتزيينها بالزهور والشرائط.

كانت الفوضى تعم منزل جيكوب، نساء تخرج، وتدخل غيرهن طوال هذا
الأسبوع، كل هذا من أجل تجهيز عروس اليوم، لم تكن سوزان راضية
فيما يتعلق بتسريحة شعرها، فربعت

ذراعيها غاضبة وهي تنظر لنفسها بالمرآة لتقول مخاطبة مصففة الشعر:

- ما هذا البرج الطويل فوق رأسي؟

- ولكنني لم انته بعد.

استقامت من موضعها غاضبة، وقامت بحل التسريحة ليهبط شعرها
الذهبي على أكتافها مقابل استهجان مصففة الشعر، في اللحظة ذاتها دخلت
نتاليا برفقة باتريسيا والدة ماغي،

فاتسعت عينا سوزان فرحاً لقدمهما:

- نتاليا! لم اتوقع أنك ستاتين، كم أنا محظوظة.

جرت سوزان ناحيتها وامسكت بيدها مترجية إياها:

- ارجوك يا نتاليا لا أحد يفهمني هنا، أيمكنك التكفل بتصفيف شعري؟

ضحكت نتاليا وهي ترى مقدار الفوضى خلف سوزان، لذلك لم تتمكن من رفض طلبها، فجلست الأخيرة بسعادة على مقعدها أمام المرأة، بينما أحضرت باتريسيا كرسيًا آخر من أجل نتاليا حتى لا تظل واقفة لمدة طويلة، فجلست عليه وبدأت بتمشيط شعر سوزان التي قالت محرجة:

- انا متأسفة نسيت بانك ...

قاطعتها نتاليا وهي تحاول فرق شعرها:

- لا بأس، لو كان في الأمر أي خطورة لما وافق سايمون على مغادرتي للسريير.

وبجانبيهما علقت باتريسيا فستان الزفاف على الخطاف، وضعت عدة الخياطة بجانبها، وأخذت تضع لمساتها الأخيرة على الفستان بما أنها من عملت على تصميمه، ثم قالت ل نتاليا:

- لقد جهزت لك مجموعة من الملابس للمولود الجديد، سأحضرها لك بعد انتهاء الزفاف

تحمست سوزان بعد ذكر المولود الجديد فقالت:

- ما رأيك يا نتاليا، اترغبين بأن يكون صبيًا أم فتاة؟ أنا عن نفسي اراغب بأن تكون فتاة.

ثم ربت يديها بحلق مضيئة:

- نعم من الأفضل أن تكون فتاة فالأولاد مزعجون لحد رهيب، هم قذرون ولا يهتمون إلا بتعبئة أفواههم.

بما أنها كانت تعيش مع عائلة أخيها جيكوب، فالمعني بكلامها هنا هو ابنه جاك، في المقابل لم توافقها باتريسيا لتقول معترضة:

- إن اعتقدت بأن تربية الفتيات ستكون أسهل فانت مخطئة.

تأوهت باتريسيا بعد ذلك، لقد انغرس رأس الإبرة بإبهامها عن طريق الخطأ، فقامت بلعقه مكلمة حديثها:

- إنهن صداع بالرأس فقط.

ابتسمت نتاليا وهي على وشك إنهاء تسريحة سوزان، وضعت بعض الورود الصغيرة كلمسة أخيرة ثم قالت:

صبي أم فتاة هذا لا يهم الآن، كل ما أريده هو أن يكون بصحة جيدة وان .

صمتت نتاليا لبضع ثوان قبل أن تتمكن من إكمال جملتها:

وأن أراه يكبر أمام عيني حتى يوم زفافه، وإن كنت محظوظة بما فيه الكفاية، أريد أن أرى أبناءه أيضاً.

ثم نهضت من على كرسيها، وامسكت سوزان من كتفيها لتوقفها أمام المرأة وهي تقول:

- لقد انتهيت، ما رأيك؟

ارتجفت شفتا سوزان، ولمعت عيناها بينما كانت تنظر لنفسها بالمرآة، وقد أعجبتها تسريحتها الآن، فالتفتت ناحية نتاليا وضممتها لتقول بأذنها هامسة:

- ستتمكنين من ذلك هذه المرة، أنا واثقة.

في المنزل كان الكساندر ينهي ما تبقى له من مخططات الأسلحة الجديدة، والتي وعد صاحبه يوجين بأنه سيعمل عليها، فهو يتوقع عودته من مهمته بأي وقت الآن، وبينما كان يضع كل الأوراق في ذلك الصندوق، سمع صوت ضرب على الباب ثم تلا ذلك صوت ينادي باسمه:

- الكس، هل انت هنا؟

كان ذلك صوت جيكوب، فذهب لملاقاته عند المدخل، حاول ان يحثه على الدخول، لكن صاحبه بدا مستعجلا، فعليه أن يذهب للقاء عريس اخته قبل بداية المراسم، لذلك اقترح

الكساندر ان يسير معه ناحية الساحة العامة ويستمع لم يريد قوله.

- ما الأمر يا جيك؟

حك جيكوب ذقنه، من ثم أخرج رسالة ما من جيبه وسلمها لـ الكساندر قائلاً:

- إنها رسالة من عمتي التي تعيش في العاصمة، كنت قد راسلتها بوقت سابق من أجل دعوتها لحضور زفاف سوزان، لكن بدل أن تحضر وصلني هذا الرد منها.

أمسك الكساندر الرسالة وشرع بقراءتها بينما أضاف جيكوب قائلاً:

- أنت أدري مني بالوضع السياسي، اتعرف ما الذي قد يعنيه هذا؟

انتفضت يدا الكساندر، واحمر وجهه غضباً ليقول:

- ما الذي يفعله ثيودور بحق الجحيم؟ كيف يسمح بحدوث شيء كهذا؟

- تعني الملك

رفع الكساندر عينيه، طوى الرسالة وأعادها لـ جيكوب معلقاً:

- إن استمرت موجة المظاهرات هذه في العاصمة دون أن يردعها، فهذا سيشتعل فتيل حروب أهلية، لا يمكننا تحمل أمر كهذا ولحن لا نزال في صراع خارجي.

- ولم برأيك حدثت هذه المظاهرات الآن؟

- في الوقت الذي كنت به بالخدمة سمعنا بعض الأصوات المطالبة

بتغيير المستشارين وبعض الوزراء بذريعة أنهم يضللون الملك ولا

يهتمون بأمر الشعب والمملكة، لكن العكس هو

الصحيح كان هؤلاء هم صفوة الصفوة أناس شرفاء لا يمكن شراؤهم

بالمال، اختارهم الملك بحكمة.

أوطأ جيكوب رأسه وهو يحدق برسالة عمته قائلاً:

- إذا الأمر سيئ بالفعل.

وضع الكساندر يده على كتف صاحبه ليقول مطمئناً إياه:

- لا تدع هذا يؤثر عليك الآن، اليوم زفاف شقيقتك لذلك ابتسم، ودعنا

نأمل بأن يتمكن الملك من ردع هذه المظاهرات باقرب وقت ممكن.

- هز جيكوب راسه موافقاً، ثم غير الموضوع ليقول بحماسة:
- سأذهب برحلة صيد بعد الزفاف، وسأصطحب ابني جاك معي هذه المرة، لهذا راقب زوج اختي بالنيابة عني يا ألكس.
- ههه لا تقس على الرجل كثيراً يا جيك.
- نظر جيكوب بطرف عينيه ناحية المنصة ليقول:
- إنه مغفل كبير، لا أعلم ما الذي تراه سوزان بهذا الرجل؟
- لا تكترث له واهتم بنفسك وابنك فقط.
- ثم أشار له ناحية السماء حيث بدأت بعض السحب السوداء بالتجمع حاجبة بذلك نجوم الليل من اللعان، وأضاف قائلاً:
- الا يمكنك تأجيل رحلتك لما بعد حين؟ لا يبدو بأن الجو مناسب .
- لا، ربما تكون هذه آخر فرصة لي قبل أيام الشروق، هناك بعض الحيوانات الليلية التي أرغب بتعليم ابني طرق اصطيادها، لا تقلق قليل من المطر لن يوقف صياداً بمهارتي.
- في الجهة المقابلة للساحة، خرجت سوزان لتقف عند أعتاب الباب بعد أن انتبهت للغيوم المتجمعة، فقالت محبطة:
- ما هذا! لا تقولوا لي بأنها ستمطر.
- أمسكت بها باتريسيا وسحبتهما للداخل وهي تقول:
- ربما من الأفضل أن نعجل بمراسم الاحتفال قبل أن تمطر السماء
- معك حق.
- وافقتها نتاليا بذلك، وبالتالي قامت باتريسيا بإرسال ابنتها ماغي لتبلغ الرجال حتى يبدووا قبل أن يفسد المطر كل شيء.
- في منتصف الساحة وقف العمدة مربعاً ذراعيه، وقد شده منظر الغيوم الكثيفة، فأخذ يشتم بسره قائلاً:
- شباب هذا الوقت، تبا لكم، انظروا إلى النحس الذي سيلحق بكم جراء الاستهانة بالأعراف والتقاليد.

ثم بصق عند موطئ قدمه، وذهب ليؤدي واجبه كعمدة أمام الجميع.
تفرق الجميع للاستعداد على عجلة ثم عادوا مجدداً لبدأ مراسم الزفاف،
فجلس ألكساندر ونتاليا في الصف الأول للمقاعد يحملان شمعتين
صغيرتين، كما فعل جميع الحاضرين،

فبدوا كفوج من النجوم المتناثرة على الأرض، وكانهم أرادوا استبدال
نجوم السماء التي سترتها الغيوم، كتعويض منهم لـ سوزان، وبعد
لحظات وصلت العروس وكان على جيكوب ان يسير

برفقتها حتى المنصة، سلمها بعد ذلك لزوجها المستقبلي، فنطق كل
منهما بنزورهما وسط انظار الجميع، وانتهي الأمر بتبادل خواتم
الزوجية، عندها صاح العمدة بابتسامة زائفة:

- لنحيي الزوجين، ولنامل بأن يعيشا حياة زوجية سعيدة.

هتف الجميع بعد ذلك وهم يلوحون بشموعهم الصغيرة، وملات
ضحكاتهم وتبريكاتهم الساحة بأكملها، من ثم توجهوا إلى الجزء الخاوي
من الساحة حيث أدى العروسان رقصتهما

الأولى، وانضم إليهما بعد حين الثنائيات واحدا تلو الآخر حتى امتلأت
الساحة.

أمالت نتاليا رأسها على كتف الكساندر، واكتفت بمراقبة الجميع وهم
يحظون بوقت ممتع لتقول:

- أتذكر رقصتنا الأولى يا ألكس؟

- بالتأكيد وكيف أنسى تلك اللحظة، كان اليوم الذي أوقعتني به
بشراكك.

قالها مازحاً، فضربت على صدره بقبضتها لتقول بحنق:

- انت يا سيد من كان يحاول التفاخر بزيه العسكري أمامي.

ضحك الكساندر وقد نجح بإغاضتها مجدداً، ثم اقترح قائلاً:

- اترغبين بالرقص الآن؟ كما كنا لفعل سابقاً.

رفعت راسها عن كتفه لتنظر بعينيها مباشرة، ثم أجابته مندفعة:

- ظننتك لن تسأل حضرة النقيب.

استقام ألكساندر، واستند على عكازه بينما مد يده الأخرى ناحية نتاليا، فقامت هي بالمثل، وأمسكت بيده، سارا حتى وصلا إلى منتصف الساحة، عندها أحاطها بذراعه وأسندت

هي رأسها على صدره حتى استقرت تحت ذقنه مباشرة، ثم أغلقت عينيها، لم تكن حركاتهما سريعة، رقصا على مهل مع أنغام الموسيقى الهادئة، ومن بعيد رأهما الطبيب سايمون الذي فرك

مؤخرة رأسه محتاراً مما يراه الآن، فاقترب منه جيکوب قائلاً:

- دعمها يفعلان ما يريدانه، لهذه الليلة على الأقل.

بالمقابل ابتسم الكساندر وهو يسر بأذن زوجته:

- السنا ثنائياً مميزاً

- وكيف ذلك؟

حدق بالراقصين من حولهم ثم قال بصوته الهادئ:

- أنا بعكازي وانت ببطن منتفخة، يا له من منظر.

ضحكت نتاليا رغماً عنها وفتحت عينيها، نظرت إليه لتقول بتهكم:

- أكان عليك أن تفسد اللحظة أيها السخيف .

وهنا شعرت نتاليا بأول قطرة مطر باردة على وجنتها، فتوقفت عن الرقص ومدت راحة يدها فأحست بالقطرة الثانية، وتوالت بعد ذلك القطرات لتتساقط بتناغم على الجميع ومبللة الأرض الترابية.

واضعين اذرعهم فوق رؤوسهم، غادر الجميع الساحة، وتوجهوا إلى منازلهم، كان على الاحتفال ان ينتهي عند هذا الحد، فقد ازدادت شدة المطر بعد ذلك، وصاحبه صواعق رعدية،

كانت بعيدة بعض الشيء، ولكن اتجاه الرياح ينبئ بقدمها ناحية القرية.

تمكن الكساندر ونتاليا من أن يصلا إلى المنزل، ولكن بعد أن ابتلا
بالكامل.

- يا إلهي، لابد وأن سوزان غاضبة الآن.

احضر ألكساندر المنشفة ووضعها على رأس نتاليا محاولا تجفيف
شعرها، ثم أجابها:

- على الأقل تم الزواج.

- معك حق.

وهنا تماما ضربت صاعقة قوية بمكان قريب، أضاءت معها المنزل
بأكمله، فلمع شيء ما خارج النافذة القريبة من نتاليا، رأت شيئاً ما
بوقت جزء من الثانية، هي لا تعرف حتى ما رأت،

لكنه شد انتباهها بكل تأكيد، فأزالت المنشفة من على رأسها واقتربت
أكثر من زجاج النافذة، فسألها الكساندر:

- ما الأمر؟

- لست أدري، اعتقدت بأنني قد لمحت شيئاً ما هناك عندما ضربت
الصاعقة.

حاول ان ينظر إلى المكان نفسه الذي أشارت إليه، لكن من دون فائدة،
فالظلام حالك بالخارج، انتظرا حتى ضربت صاعقة أخرى فأنارت
المكان مجدداً، لكن لم يشاهدا أي شيء

غريب، فعلق الكساندر ليقول:

- ربما كان حيواناً ما يحاول الاختباء من المطر.

وفجأة احست نتاليا بألم خفيف بالجزء السفلي من بطنها، فانحنت قليلا
للأمام، وضعت يدها هناك على مصدر الألم، أطلقت أنينا خفيفاً، فامسك
بها الكساندر بقلق:

- هل انت بخير؟

حاولت الاعتدال وهي تجيبه:

- لا تقلق مجرد ألم بسيط، ربما بالغت قليلا اليوم.

- دعيني أوصلك للسريير.

مسح يوجين العرق من على جبينه، ووضع آخر دفعة من البراميل التي تحتوي على المعادن اللازمة، كان رجاله منهكين بسبب العمل المتواصل، لكن الآن وقد انتهت مهمتهم تقريبا،

لم يتبق إلا توصيل هذه المواد الخام للعاصمة، فحث يوجين رجاله قائلاً:

- هيا يا رجال فالملك يتوقع وصولنا عن قريب.

عندها اقترب منه مساعده مستفسراً:

- هل ستمر على قرية إيستوود يا سيدي؟

- بالتأكيد سنفعل، إنها بمنتصف الطريق تماماً، سنستريح هناك، كما أنني أتوقع أن يكون العقيد الكساندر قد خرج ببعض الأفكار الجديدة لنا. لم تتوقف الأمطار لليوم التالي بقرية إيستوود، وهذا لم يمنع جيكوب من المضي برحلة الصيد التي خطط لها، فغادر هو وابنه في الساعات الأولى من ذلك اليوم.

تراقصت حبات المطر على زجاج النافذة، بينما تنام نتاليا بسلام على السريير بفعل المسكنات، مقابلاً لها على كرسيه بزاوية الغرفة كان الكساندر يسرح بذاكرته إلى تلك الأيام برفقة

يوجين وعمله ضمن الحرس الملكي، لا يزال موضوع رسالة عمه جيكوب يشغل تفكيره، فأى مصيبة ستحل على هذا البلد إن استمرت المظاهرات، وبعد ساعات من التفكير وجد بأنه لا

فائدة من إشغال فكره بأمر كهذا، لديه ما يكفي من المشاكل هنا، فنهض من على كرسيه واتجه لزوجته، غطاها جيداً ثم قبل جبينها، وبينما كان ينتصب من وضعيته، لمح شيئاً ما يتحرك

خارجاً عبر زجاج النافذة، تساءل إن كانت صوفي فهي معتادة على الحضور بشكل شبه يومي لزيارة نتاليا، لكن الوقت لا يزال باكراً، هذا بالإضافة إلى الأمطار التي لم تتوقف منذ البارحة،

فتحرك وذهب ناحية الباب الأمامي، فتحه ووقف بموضعه، فانتبه إلى ذلك الحيوان الصغير المعلق بالمقلوب على إطار الباب الخشبي، وكأنه فانوس يتارجح بثبات، كان خفاشاً صغيراً يضم جسده بجناحيه.

- هل تنتظر توقف المطر أيها الصغير؟

سال الخفاش مازحاً وكأنه يتوقع أن يجيبه، ثم نزل ببصره وحدث جيداً بالظلام والمطر من حوله، ضربت بضع صواعق بعيدة لتتير المكان بشكل بسيط، فلمح جسماً ما يقف بعيداً

عند ألواح السياج الخشبي المحيط بمنزلهم، فضيق جفنيه وركز نظره على تلك الناحية، ثم نادى من موضعه:

- من هناك؟

أجابته السماء الماطرة بإرسال صاعقة قوية، ضربت بقوة خلف المنزل، فأنارت السماء والأرض بما عليها، وللحظات بدت وكأن الشمس قد أشرقت بكامل عنفوانها، عندها شاهد ذلك

الجسم الصغير أمامه، بشرة بيضاء كالثلج وشعر أسود لامع كالليل، ذلك التناقض لا ينتمي إلا لشخص واحد.

- كولين؟

ارتجفت شفتاه وهو ينطق باسمه، وشعر بخيط عرق بارد يسري على فقرات ظهره، لتبدأ بعدها كل خلية بجسده بالارتجاج، هل هو يهذي؟ أم أنه بدأ يفقد عقله؟ إن اقترب منه الآن

فهل سيختفي؟ انتظر الكساندر قليلاً، واخذ شهيقاً عميقاً، ثم حرك قدمه إلى الأمام بعزم، اقترب على مهل، وضرب بعكازه على الأرض الموحلة، ابتل تماماً حتى قبل أن يصل لذلك الجسم،

وما إن أصبح على بعد ثلاث خطوات منه، انهار على ركبتيه بالتزامن مع صاعقة أخرى ألقته بنورها على الواقف أمامه، فبان له تلك العين الزرقاء، خلف غرته السوداء الطويلة، لا يمكنه أن

يخطئها أبدأ، تلك عين ابنه كولين.

- كولين! هذا أنت.

مد يديه وتلمسه باطراف اصابعه المرتجفة، إنه هنا أمامه، يمكنه الإحساس به، يمكنه لمسه، وبلحظة بدت أشبه بالحلم سحب الكساندر ابنه ليصبح بين ذراعيه، احتضنه كما كان

يفعل دائماً، وتسابقت دموعه مع قطرات المطر على وجهه لتمتزجا معاً، بكى الكساندر كطفل صغير دون أن تكون له الرغبة بإفلات ابنه الآن، ولكن بعد لحظات قليلة، أحس بخطب ما، فلم

تكن هناك أي ردة فعل بالمقابل، كما شعر ببرودة ذلك الجسد الصغير بين أحضانه، فحرره من بين ذراعيه، وأمسك بكتفيه محاولاً التواصل معه قائلاً:

- كولين! أيمكنك سماعي؟

ودون ان يحصل على أي إجابة، مرر الكساندر يده على النصف الأيسر لوجه كولين، أبعد غرته على مهل، فشاهد ما بدا له دماء قد غطت نصف وجهه، بسبب الظلام لم تتح له الفرصة

لملاحظة ذلك منذ البداية، فدقق قليلاً، ليلاحظ الآن بأن جسد ابنه مغطى بالطين والوحل والكثير من الخدوش المتفرقة، انقبض قلبه ألماً على صغيره، فأى معاناة كان يمر بها خلال تلك

الأشهر؟ وأي مصاعب مر بها ليعود إليهم بهذا الحال؟ عاد وضمه من جديد لصدره مقاوماً الرغبة باعتصاره هذه المرة، فقد شعر بانه يحتضن دمىة خزفية باردة وفارغة، قد تتحطم لقطع

صغيرة بين يديه بأي لحظة.

- أعذرنى يا بني، كان علي أن أبذل جهداً أكبر للبحث عنك.

أخذ الكساندر ابنه للداخل، رمى بقطع الخشب في المدفئة وأشعلها حتى أصدرت النار حسيبها، ونشرت دفئها بأرجاء المكان، ثم أحضر منشفة كبيرة، غمر بها جسد كولين محاولاً

تجفيفه، هذه المرة تمكن من رؤية عينيه بشكل أوضح، أو عينه اليمنى على الأقل، تلك الحدقة الزرقاء كالمحيط بدت خاوية تحديق بالفراغ، أما عينه اليسرى فهي تنزف بلا توقف لهذا لم

يتمكن من فتحها، فكلما حاول فعل ذلك، كان يجد مقاومة من كولين، وبطريقة ما شعر الكساندر بالارتياح فتلك هي ردة الفعل الوحيدة التي صدرت من ابنه حتى الآن، فأخذه وجلس على

الكرسي أمام المدفأة، و وضعه في حجره، ثم ضمه إلى صدره كطفل رضيع، بينما يحاول إيقاف النزيف من عينه اليسرى بوضع قطعة قماش صغيرة عليها، مر بعض الوقت وهو على تلك

الوضعية، لا يعرف إن كان عليه إيقاظ نتاليا الآن، أم عليه استدعاء سايمون أولاً، حدق الكساندر بالسنة اللهب بأفكار متخبطة، وبين دقيقة وأخرى كان يتفقد كولين، ينظر إلى صدره الذي يعلو ويهبط فيعلم بأنه ما زال حيا يتنفس بين ذراعيه.

بعد ما يقارب الثلاث ساعات، افاقت نتاليا لتجد نفسها وحيدة بالسرير، لا تزال تشعر بالخدر بفعل تلك المسكنات، بحثت بيدها عن الكساندر بجانبها ولم تجده هناك، فقد كان يقف عند اعتاب باب الغرفة ينظر إليها بوجه مشرق، حياها كما يفعل بالعادة، ثم اقترب منها وجلس على حافة السرير، وضع يده على وجنتها وبعينين لامعتين قال لها:
- عزيزتي، لقد عاد.

نظرت إليه بحيرة، هي لم تفق تماماً، فسألته بصوت ناعس:

- من الذي عاد يا الكس؟

- ابننا كولين عاد يا نتاليا، إنه هناك.

ازالت يده من على وجنتها، وضيق عينها بحيرة أكبر.

- الكس، أي مزاح ثقيل هذا؟

- أنا لا أمزح، تعالي وانظري بنفسك.

وفجأة اندفعت بسرعة مغادرة سريرها، ومتجاوزة زوجها بلمح البصر، حتى أصبحت هناك بلحظة، وقفت مشدوهة وهي تنظر لابنها النائم على الكرسي أمام المدفئة، اقتربت منه

ولمست وجهه الصغير لتقول وقد امتزج بكأؤها بابتسامتها:

- إنه هنا بالفعل، الكس كيف حدث ذلك؟ كيف وجدته؟

- هو من وجدنا يا عزيزتي.

اجابها الكساندر وهو يحتضنها من الخلف، فخرت بين ذراعيه باكية، وقد تلاشت كل قواها الآن، احست بأنها تطفو في حلم لا رغبة لديها بأن تفيق منه.

انتشر الخبر كالنار في الهشيم ذلك اليوم، كولين ابن الكساندر ونتاليا عاد حيا للمنزل، كان حدثاً لا يصدق، أتى على إثره الكثير من سكان القرية لتهنئة الزوجين على عودة ابنيهما

سالما، لكن معظمهم أتوا فقط لأن الفضول قد دفعهم لذلك.

بين داخل وخارج، وقفت الفتاتان الصغيرتان امام الباب بخيبة أمل، فقال لهما الكساندر معذراً:

- أنا آسف، إنه نائم الآن، لكن يمكنكما أن تعودا في وقت آخر،

تلك لم تكن كذبة من الكساندر، ف كولين نائم بالفعل، لكنه أيضا لم يرغب بأن تشاهد صوفي او ماغي كولين الآن، ليس بتلك الحالة ولا قبل ان يتأكد من انه بخير، بعد أن ودعهما

وأغلق الباب ذهب إلى غرفة كولين القديمة، كان سايمون هناك وقد فرغ لتوه من فحص الصغير.

- لا أدري ماذا أقول؟ إنها معجزة بحق يا الكس.

استند الكساندر على عكازه بينما ينظر لابنه من بعيد، ثم سال بقلق:

- هل سيكون بخير؟

- لا تقلق، كل جراحه سطحية، لا شيء خطير، يعاني من الجفاف ويبدو بأنه لم يتناول شيئاً منذ مدة لهذا خارت قواه، بالنسبة لعينه سأعود لفحصها ما إن يتوقف النزيف، لهذا ساترك الضمادة عليها في الوقت الحالي.

اقترب الكساندر اكثر ناحية كولين، وازاح ياقته، ثم أشار ناحية جرح رقبتة وقد خلف ندبة واضحة مكانه.

- ماذا عن هذه؟ أمازلت تعتقد بأنها عضة أفعى؟
نظر سايمون إليها وهو يجيب:

- هذا لم يعد فهماً الآن يا ألكس، فلقد لجا منها وهذا هو الأهم.

ما كان الكساندر ليرضى بتلك الإجابة الآن، لكنه لم يرغب بأن يقول أي شيء قد يندم عليه فيما بعد، لهذا شكر سايمون على مجيئه.

أمضى الكساندر ونتاليا اليوم باستقبال أهالي القرية، ولم يفرغ المنزل حتى حان موعد النوم، فجلست نتاليا على السرير بعد أن شعرت بالإرهاك، ومع هذا كانت سعيدة لدرجة لم

ترغب معها بالنوم حتى، أرادت أن تذهب وتمضي الوقت مع كولين، وكأنها ترغب بأن تعوض عما فاتهما معاً، لكن بما أنه لا يزال نائماً بالإضافة لمحاولات مضنية من قبل الكساندر تمكن من

أن يقنعه بأن تأوي للسرير، ولأول مرة منذ زمن تمكن الاثنان من أن يناما ببال مرتاح.

بعد ساعات قليلة من نومهما، أحس الكساندر بشعور غريب، تقلب بازعاج على السرير، واستدار للناحية المقابلة للشباك معطياً نتاليا ظهره، وفجأة فتح عينيه على مصراعيهما وقد

أجفأته رؤية كولين يقف هناك على بعد عدة خطوات، ينظر إليهما بثبات وبهدوء، وجهه يخلو من أي تعبير محدد، فأزال الكساندر الغطاء عن نصف جسمه العلوي وعدل من وضعيته،

حركته تلك أيقظت نتاليا أيضاً:

- ما الأمر؟

سالت دون أن تنتبه بعد لابنها الواقف هناك، فناداه الكساندر بصوت قلق:

- كولين!

لا تزال تلك النظرة الفارغة على وجهه، لكنه هذه المرة نطق بصوت لم يكادا يسمعانه من سماعه، تحركت شفاته ليسأل:

- أيمكنني النوم معكما؟

كان الكساندر لا يزال حائراً من طريقة تصرف كولين حتى الآن، في المقابل ابتسمت نتاليا، وأزاحت غطاء السرير في المكان بينها وزوجها لتقول ببهجة:

- بالتأكيد يمكنك ذلك، تعال.

وعلى مهل اقترب من السرير، واندس بجسده الصغير بينهما، فقامت نتاليا بضمه ناحيتها قائلة:

- يا إلهي جسدي بارد كالثلج، اقترب أكثر حتى أقوم بتدفنتك.

أغمض الاثنان عينيهما، بينما لا يزال الكساندر حائراً، استلقى هو الآخر لكنه لم يغلق عينيه، وظل يحدق بكولين مفكراً، هنالك خطب ما به، تصرفاته، حركاته، وطريقة كلامه، لا شيء

منها طبيعي حتى الآن.

أفاق الكساندر متعباً في اليوم الموالي، فلم يتوقف عقله عن التفكير طوال فترة النوم، أزاح غطاء السرير بجالبيه، فوجد بأنه وحيد بالغرفة، لهذا نهض سريعاً وراح يبحث عن نتاليا

بارجاء المنزل، وجدها بالمطبخ تحضر بعض الطعام لكولين، والذي كان يجلس بهدوء على كرسيه أمام طاولة الطعام، اقترب منها، وبأسلوب خشن لم تعهده اوقفها عن عملها سائلاً إياها:

- ما الذي تفعلينه؟

تراجعت خطوتين للوراء، ثم اجابته بحيرة:

- ما الذي يبدو بأنني أفعله برايك؟ بالتأكيد أحضر طعام الفطور.
دون ان يدرك كان الكساندر قد بالغ قليلا برودة فعله، لهذا التف بحذر
ناحية ابنه هناك، فوجده ينظر إليهما بتلك النظرة الخاوية في عينه،
فترجع الكساندر وتنهد بعمق قبل أن يعتذر
لزوجته:

- أنا آسف، لا بد وأنني لم انم جيداً.

ثم تركهما مغادرا المطبخ، أحس ففجأة بأنه يكاد يختنق من هواء
المنزل، فحملته ساقاه للخارج، فتح الباب وأخذ يستنشق الهواء خارجاً
كما يفعل الغريق في اللحظة التي يغادر بها راسه سطح الماء، هذا ما
كان عليه حال الكساندر في هذين اليومين، شعر بأنه كان يغرق على
مهل.

في الداخل راقبت نتاليا ابنها، بعد أن وضعت طبق الطعام أمامه،
جلست بسعادة وهي تراه يتناول فطوره الذي أعدته، انهى الطبق
بالكامل، ثم ترك مقعده وجرى سريعاً مغادراً

المطبخ، فاجاها تصرفه هذا، فلحقت به دون أن يشعر بها.

في الحديقة كان الكساندر على وشك أن يذهب لمكان ما عندما ظهر له
سايمون عند باب سياج المنزل، فحياه مازحاً:

- مرحبا يا الكساندر، لقد أتيت لتفقد كولين لكن انت من يبدو بحال
سيئة الآن.

ابتسم الكساندر بتوتر، وحاول إخفاء قلقه مجيباً:

- لا تهتم لأمري، لم أنم جيداً، هذا كل شيء.

ثم طلب منه الدخول، وأضاف قائلاً:

- نتاليا في الداخل مع كولين، أما أنا فسأذهب لزيارة العريسين
الجديدين.

- ههه هل طلب منك جيكوب مراقبة زوج اخته؟

- لا أرغب بفعل هذا، ولكنه طلب جيكوب.

مجرد عذر قدمه الكساندر لـ سايمون حتى يتمكن من الذهاب إلى منزل جيكوب، فحمل مصباحه وقصد المنزل من فوره، كان المكان خالياً بما أن صاحبه في رحلة الصيد مع ابنه في

هذه اللحظة، أما سوزان فهي بمنزلها الجديد مع زوجها، دخل الكساندر وتوجه إلى المكتب الخاص بـ جيكوب، مكان غريب بحق، رؤوس حيوانات معلقة على أحد الجدران، وأنواع

مختلفة من الأقواس وأسلحة الصيد على الجدار المجاور، يقابلها على الجانب الآخر أرفف تصل حتى السقف تحتوي على الكثير من الكتب الخاصة بالحيوانات المفترسة والطيور، أساليب الصيد، وأيضاً الكثير من المدونات الخاصة بـ جيكوب ووالده عن رحلات الصيد الخاصة بهم، مجموعة سجلات لطالما احتفظ بها صاحبه وكان فخورا بها. أراد الكساندر أن يبحث

عن السجل الخاص برحلة الصيد التي أخبره عنها جيكوب، تلك الرحلة التي صادف بها تلك العينين الحمراء، فما زال مشهد ذلك الشيء الذي أخذ كولين قبل أكثر من خمسة شهور يطارد

مخيلته، ومن حسن حظ الكساندر بأن جيكوب منظم بشأن ترتيب سجلاته، كان رجلاً دقيقاً عندما يتعلق الأمر بعمله، لهذا تمكن بسرعة من تحديد مكان السجل المطلوب، كانت الحادثة

قبل عشرة أعوام، وقد ذكر جيكوب ذلك بوضوح، حيث قال بأنها كانت قبل مجيء الكساندر وعائلته للقرية.

في الخارج كان العمدة يقوم بجولته المعتادة في القرية، حاملاً مصباحه الزيتي بيده، يسير بين المنازل، الأكواخ الخشبية والمزارع، يحيي أصحابها، وكل من يصادفه بطريقه،

لم يكن امرأ محبباً لقلبه، لكنه من النوع الذي يهتم لرأي الناس من حوله، لذلك ظل يجبر نفسه على الابتسام وإلقاء التحية يومياً. اجتاز الساحة العامة وكل شيء يسير كالعادة إلى أن

استوقفه أمر ما، كان قريباً من منزل جيكوب عندما لاحظ نوراً خافتاً يصدر من إحدى نوافذه، فأوقف أحد المارة ليسأله:

- هل عاد جيكوب وابنه من رحلة الصيد؟

بدا الرجل واثقا من نفسه عندما أجاب:

- لا، قال بأنه لن يعود إلا مع أول أيام الشروق.

شكره العمدة فمضى ذلك الرجل بطريقه، أما هو فتبع فضوله الذي قاده إلى منزل جيكوب، وبالأخص ناحية تلك النافذة المضيئة.

في الداخل تمكن الكساندر من العثور على ضالته، تصفح السجل المطلوب بدقة، وقرأ الكلمات والسطور بنهم، حتى وصل إلى تلك الرحلة.

"ظلت الطريق وانفصلت عن مجموعتي بسبب مطاردتي لذلك الغزال المرقط، أعتقد بأنني قد انحرفت ناحية الشمال الشرقي ..."

"من الصعب السير في هذه المنطقة، فجنود الأشجار ناتئة للخارج، بالتالي لا أعتقد بأنه مكان مناسب لعيش الغزلان هنا ..."

ملاحظات وتفاصيل كثيرة ذكرها جيكوب فيما يتعلق بتلك المنطقة ذكرت الكساندر بالمنطقة المحيطة بذلك الكوخ، على الرغم من أنها مكان مختلف كلياً، فتابع القراءة:

"هنالك بعض الإشارات والخدوش الغريبة على جذوع الأشجار، حتى الآن رأيته منقوشة على خمس أشجار مختلفة، تبدو لي كرسمة غريبة، دائرة تحيط برمز مضع أو شيء كهذا"

لم يعني هذا أي شيء لـ الكساندر لهذا تابع القراءة حتى وصل إلى ذلك الجزء:

"كانت كومة من الجيف، انواع مختلفة من الطرائد متراسة فوق بعضها بعضا بتناسق غريب، لا أدري كم من الوقت مضى عليها لكن الرائحة لا تحتل، الغريب بأنه لا أثر لأي قطرة دم

أسفلها، ولم الحظ أي أثر لجروح مميتة سواء كانت بفعل حيوانات مفترسة أو من قبل بشر، اعتقد بأن التفسير الوحيد المنطقي هنا أنها قد ماتت جراء مرض ما ألم بها"

"كنت في طريقي لأخرج من هذا المكان عندما شلت أطرافي فجأة..."

توقف الكساندر وابتلع ريقه عندما قرأ هذه العبارة، وتذكر ذلك الشعور مجدداً:

"كأنه نوع من الخدر أصاب ساقي ويدي، لم أتمكن من الحركة، عندها رأيت كرتين حمراوين تتوهجان بالظلام بين غصون الأشجار الكثيفة، أردت الصراخ لكن حتى مهمة بسيطة

كهذه عجزت عن فعلها، وكما ظهرت الكرتان المشعتان اختفتا من أمامي كان شيئاً لم يكن، تمكنت بعدها من العودة أدراجي..."

تصلبت يدا الكساندر وهو ممسك بالسجل، ما حدث لصاحبه جيكوب هو مشابه لم حدث معه ليلة اختطاف كولين، كان يأمل بأن يكون قد تخيل ما شاهده تلك الليلة، لكن ما ذكره

جيكوب بهذا السجل يؤكد له بأنه غير واهم، فأغلق السجل واعاده إلى موضعه على الرف، ثم غادر المنزل. من جانبه اختبأ العمدة عند حافة الجدار، وما إن تأكد من أن الكساندر أصبح

بعيداً حتى دخل هو بدوره للمكان قاصداً الغرفة ذاتها.

سار الكساندر واهنا بعد كل تلك القراءة، حتى أنه لم ينتبه لـ سايمون الذي كان ينادي عليه من بعيد بالقرب من عيادته :

- الكس، الكس الا تسمعني؟

وبعد عدة محاولات سمعه الكساندر واتجه ناحيته:

- ما خطبك اليوم يا رجل؟

- اعذرنى يا سايمون كنت غارقاً بالتفكير.

- حسناً لا يمكنني أن الومك، خذ هذه.

سلمه سايمون زجاجة من دواء الأعشاب، فسأله الكساندر:

- هل هذا لـ نتاليا؟

هز سايمون رأسه نافيةً ثم قال موضحاً:

- لقد فرغت للتو من رؤية نتاليا وكولين، زوجتك بخير، أما بالنسبة لـ
كولين فلم تتمكن من معاينة عينه

اليسرى

- ماذا

- لم يسمح لي بلمسها حتى، وأيضاً أخبرتني نتاليا بأنه قد استفرغ كل ما
أكله على الفطور اليوم، لهذا كنت بطريقي لأحضر له دواء الأعشاب
هذا.

كان الكساندر من يشعر برغبة بالاستفراغ الآن بعد الذي سمعه.

- طلبت من نتاليا بأن تحضر له شيئاً خفيفاً على معدته و ...

ظل سايمون يتحدث ويشرح لـ الكساندر، بينما شعر الأخير بالاختناق
مجدداً، وسال خط عرق بارد على ظهره، في هذه اللحظة عادت
السماء لتمطر مجدداً، ودوت قعقة الرعد عالياً،

فتملك الكساندر الخوف الشديد من المجهول، ما الذي يحدث مع ابنه
كولين تحديداً؟

بمنتصف الطريق بعد الوادي السحيق، وجد البائع المتجول جاسبر
والصبي المشرد جيريمي كهفاً يقبهما من العاصفة الرعدية، كان لا
بأس من وضع العربة بالخارج بعد أن أدخل

الفرس المسن معهما للداخل، وباستخدام بضع قطع من الخشب
والأوراق الجافة تمكنا من إشعال نار بسيطة جلس الاثنان بالقرب من
موقد النار طالبين الدفء من لهيبها المستعر، وبعد

لحظات من الصمت سال جاسبر الصبي:

- بالمناسبة يا جيريمي، لحن على مقربة من إيستوود، ألا ترغب بأن
تمر عليها قبل توجهنا للعاصمة؟

كانت يدا الصبي ممدودتين ناحية الموقد عندما أجاب:

- إن أردت فافعل ذلك، فلا يهمني أمرهم.

- مضى أكثر من خمسة شهور على مغادرتك لتلك القرية، احقا لم تعد تكثر لها؟

نهض الصبي بإزعاج، وأحضر حقيبة الطعام، رماها بجانبه، ثم جلس وأخرج كسرات من الخبز المجفف، أعطى واحدة لـ جاسبر وأخرج قطعة أخرى لنفسه وهو يقول:

- أنت لا تعرف أهل تلك القرية، إنهم فقط يتظاهرون باللطافة، والحقيقة هي عكس ذلك، فلم يكثرث لأمرى إلا القلة منهم، وأراهنك بأنهم لم ينتبهوا لمغادرتي حتى.

التهم جاسبر الرغيف الجاف، فتناثر الفتات على ملابسه وقد تذكر أمراً آخر:

- بالمناسبة كان هنالك رجل بشعر أشقر مموج وعينين زرقاوين ولديه ...

وقبل أن يتمكن من إكمال الوصف اجابه جيريمي:

- تقصد السيد الكساندر.

- هذا هو اسمه إذا.

نظر جيريمي إلى جاسبر ليسال:

- ماذا بشأنه؟

ربع جاسبر ذراعيه بعد أن فرغ من تناول طعامه، ثم قال:

- لست أدري؟ اعتقد بانني رايته بمكان ما، لكن لا يمكنني التذكر.

وبينما كانا بمنتصف حوارهما، وصل إلى مسامعهما صوت وقع لحوافر خيول تقترب من بعيد، فنهض جاسبر بسرعة، ورمى حفنة من التراب على النار من أجل إخمادها، ثم قال أمراً

جيريمي:

بسرعة أحضر مجموعة الأغصان تلك وساعدني بتغطية العربة جيداً.

ففعل الصبي

ذلك، تمكنا من إخفاء العربية بالوقت المناسب، ثم تواریا عن الأنظار بين الشجيرات وهما يراقبان الطريق.

كانت مجموعة مكونة مما يقارب العشرين فردا يمتطون خيولهم، ويجرون بغير اكترات تحت المطر الغزير، لم يفهم جيريمي لم كان عليهم الاختباء حتى شاهد الأسلحة التي يحملها أولئك الخيالة فسأل:

- اهم مجموعة من الفرسان؟

- فرسان! لا تجعلني أضحك يا فتى، هؤلاء هم مجموعة من قطاع الطرق والمرزقة، كنا محظوظين بما فيه الكفاية لأننا لم نلتق بأمثالهم طوال الأشهر الخمس الماضية.

ابتعد الخيالة واختفوا بعيداً، فخرج جاسبر من مخبئه بين الشجيرات وهدق بالطريق التي سلكوها، ثم قال:

- يبدو أنهم في طريقهم إلى قرينك يا فتى.

نظر جيريمي للناحية نفسها ثم سال جاسبر:

- ما الذي كان سيحصل لنا لو انهم شاهدونا؟

ابتسم جاسبر ثم قال بسخرية:

- كانوا سيأخذون العربية وما بها، يقتلونني، وأنت على الأرجح ستباع لتجار العبيد.

في منتصف اليوم، حضرت مجموعة من نساء القرية لزيارة نتاليا، أتين من أجل الاطمئنان عليها، وأحضرن معهن بعض الهدايا الخاصة للمولود الجديد.

- هذه الملابس التي وعدتك بإحضارها.

دفعت باتريسيا بحقيبة مليئة بالملابس باتجاه نتاليا، فأمسكت الأخيرة بإحداها ورفعتها أمامها بالهواء وأبدت إعجابها:

- كم انت ماهرة يا باتريسيا.

امسكت زوجة العمدة بإحدى القطع، وأثنت هي الأخرى على جودة عمل باتريسييا، بينما تحمست سوزان لتقول:

- علي ان أسرع وأحظى بطفل أنا أيضاً.

- لا تتعجلي يا فتاة، وإلا ستندمين.

هكذا علقت زوجة العمدة مازحة، لتضحك بعدها، وتبعثها ضحكات بقية النساء، لكن نتاليا توقفت فجأة بعد أن وقع نظرها على كولين، الذي يقف هناك عند أعتاب الباب، اعتقدت بالبداية أنه كان ينظر إليها، لكن عينه موجهة ناحية تلك الحقيبة.

- كولين! منذ متى وانت تقف هناك؟ ...

صمتت قليلا، فسكت الجميع من حولها، خاصة وانهن قد لاحظن سلوكه الغريب، فقالت له:

- تعال، أترغب برؤية ملابس المولود الجديد؟

مدت يدها وهي تحثه على الاقتراب ففعل، اصبح بجانبها واخذ ينظر إلى كومة الملابس بتلك الحقيبة، فعرضت والدته بعض القطع امامه بسعادة بالغة:

- أترى كم حجمها صغير، اليس هذا لطيفاً؟

حول كولين، نظره إلى بطن والدته، من ثم عاد ينظر للملابس مرة أخرى، شعرت نتاليا بتوتر الجو من حولها، وخاصة بعد أن بدأت بعض النسوة بالتهامس فيما بينهن:

"بيد هذا الصبي غريباً"

"أيشعر بالغيرة؟"

"لم ينظر إلى والدته هكذا؟"

ومن دون تفكير قالت:

- اعتقد بانني اسمع والدك ينادي عليك.

لوهلة نسيت بأن الكساندر ليس بالمنزل، ولكن هذا لم يكن مهماً، فلقد أوما لها ابنها موافقاً، ثم ترك المكان، وكأنه قد فهم ما أرادته، فابتسمت للنساء من حولها محاولة تغيير الموضوع وصرف انتباههن لأمر آخر بعد ما يقارب الساعة، كانت الزيارة قد انتهت، وعادت كل واحدة منهن لمنزلها بفم ممتلئ، ولسان متعطش للحديث عما جرى، في هذا الوقت كان العمدة لا يزال

بتلك الغرفة بمنزل جيكوب، تمكن من تحديد السجل الذي استحوذ على اهتمام الكساندر عندما كان يراقبه قبل قليل من خلف زجاج النافذة، لكنه لم يعرف ما هو الشيء المهم بشأنه:

- ما الذي كنت تبحث عنه يا الكس؟

عندها قرر أن يقرأ السجل بالكامل، استغرق منه هذا بعض الوقت، بالنهاية تمكن من أن يصل لذلك الجزء المتعلق بتلك الرحلة.

- هل هذا ما كان يبحث عنه يا ترى؟

ضيق جفنيه، وعاد ليقراً تلك السطور مجدداً، كانت تلك الرحلة هي الشيء الوحيد الملفت بهذا السجل، إذا لابد وأنها ما كان الكساندر يبحث عنه، لكن لأي سبب فعل ذلك؟ وبعد تفكير

عقيم أغلق السجل وأعاد له مكانه، وقرر الذهاب للمنزل.

عاد الكساندر إلى منزله، بحث عن نتاليا فوجدها ترتب ملابس المولود الجديدة بالغرفة، فتحرك دون أن يلفت انتباهها، تجاوزها وبحث عن كولين بارجاء المكان، حتى وجده بغرفة

الجلوس يحدق خارجاً عبر زجاج النافذة، اقترب منه وجلس بجانبه، استجمع قوته، بما أنه قد عقد العزم أخيراً، قرر بأن يسأل ابنه بشكل مباشر، عليه أن يحصل على إجابة:

- بني، لم أسألك سابقاً لأنني ما رغبت بأن أذكرك بالأمر السيئة التي حصلت معك، لهذا اعذرني الآن أريد أن أعرف منك ما ...

- ما الذي تفعله؟

أوقفته نتاليا بانفعال، والتي ظهرت خلفه فجأة:

- نتاليا

استقام الكساندر وامسك بذراع زوجته ليزيحتها جالبا، ثم قال بصوت منخفض:

- علي ان اعرف يا عزيزتي، أيعقل بأنك لم تلاحظي التغيير الذي حصل معه؟ إلى متى ستستمر بهذه المسرحية؟

عضت نتاليا شفتها السفلى، وانزلت راسها بحسرة:

- أعلم، لكن ألا يمكنك أن تغض النظر؟ ألا يمكننا أن نتظاهر بأن كل شيء على ما يرام؟

هز رأسه معترضاً، ثم أمسك بوجنتها، ومسح بإبهامه دمعة كانت قد هربت من عينها ليقول:

- أتركي الأمر لي فقط.

ثم عاد مجدداً، بينما وقفت هي بمكانها تراقب بحسرة، جلس الكساندر بجانب ابنه ليلقي بسؤاله مجدداً:

- كولين ارجوك أخبرنا بما حصل، من الذي أخذك تلك الليلة؟

الصمت كان جوابه، فسأل بإصرار أكبر:

- ما الذي حدث خلال تلك الأشهر؟ ما الذي فعلوه بك؟ اين كنت تحديداً؟

ولم يتغير جواب الصبي، تنهد الكساندر وبدأ يفقد أعصابه، فسحب ذراعي كولين ناحيته، وازاح كمي قميصه لأعلى مشيراً إلى رضة حول معصميه، فسأله بحدة:

- تبا يا كولين، أخبرني من الذي فعل بك هذا؟

ظهرت ملامح الخوف على الصغير، فسحب ذراعيه، وعاد خطوتين للوراء مرتجفاً، عندها تدخلت لتاليا لتقول:

- هذا يكفي يا الكس، انت تخيفه.

انتبه الكساندر إلى وجه ابنه، لقد تغير أخيراً، رغم أنه لم يكن الوجه الذي يرغب برؤيته، إلا أنه أفضل شيء حصل عليه حتى الآن، فمد يده وأشار بأصبعه ناحية عين الصغير اليسرى،

ليقول بصوت العقيد السابق:

- أخبرني من الحقير الذي فعل بك هذا؟ دعني أذهب لأفقع له عينه وأشفي غليلي منه.

لزلت دمعة من عين كولين، فتح فمه وكأنه أراد أن يصرخ عالياً دون أن يتمكن من ذلك، فبكت ناتاليا متوسلة زوجها:

- ارجوك توقف.

ثم جرت ناحية كولين وضمته لصدرها، فتحدث الصغير أخيراً بصوت مخنوق:

- آسف، أنا آسف.

انفطر قلب ألكساندر، وتلاشى غضبه لحظة سماعه لصوت ابنه، فاقترب منه وضم وجهه بيديه الاثنتين ليقول بصوت الأب الحنون:

- لم تعتذر أيها السخيف؟ أنا من عليه أن يفعل ذلك، آسف لأنني أخفتك.

عندها عرف ألكساندر بانه لن يحصل على الإجابات التي أرادها، ربما كانت ناتاليا محقة ربما عليهم التظاهر، كل شيء على ما يرام، وربما سيصلح الوقت ما عجز هو عن إصلاحه.

في منزل العمدة، كانت زوجته تضع أطباق العشاء على طاولة الطعام، وريس منهمك بقراءة قصة ما بين يديه، بينما جلس هو واضعاً إحدى ساقيه فوق الأخرى، شارداً يقلب صفحات

ذلك السجل بعقله مراراً وتكراراً، ولم يعده إلى أرض الواقع إلا ذكر اسم الكساندر الذي صدر عن لسان زوجته:

- امر غريب يحصل مع ابن الكساندر ولتاليا ...

نظر إليها باهتمام، بينما أكملت حديثها:

- بدا لي شاحباً للغاية، كما أن تصرفاته مريبة، وكأنه ...

- وكانه ماذا؟

احضرت الملاعق وهي تحاول إيجاد وصف مناسب ثم قالت:

- لا أدري، كأنه شخص آخر.

اعتدل العمدة في جلسته، بينما ضحك ريس ليقول ساخراً وهو يشير بأصبعه إلى راسه:

- ربما أثر سم تلك الأفعى على عقله، كما حدث في قصة الصياد.

- ما الذي ترمي إليه يا فتى؟

سال العمدة ابنه، فأجابه الصبي ولا يزال ينظر إلى الأمر كنكتة مضحكة، فأشار إلى عنقه هذه المرة ليقول:

- الصياد تم عضه من قبل ذلك المخلوق، فتحول بالنهاية إلى شيء يشبهه، وكولين عضته أفعى، ربما سيتحول لواحدة ههه هذا يناسبه.

وبخت الأم ابنها على ما قاله، بينما شرد العمدة مجدداً، وراح يربط بين ما سمعه للتو، والكلام الذي قرأه بذلك السجل، عندها تذكر بأنه في الوقت الذي اختطف به كولين، كان

الكساندر مصراً على البحث في الغابة السوداء، أغمض عينيه مفكراً لدقيقة ثم فتحهما ليسأل زوجته:

- يا أم ريس، هل رأيت آثار تلك العضة على الصبي؟

- نعم، يمكنك رؤيتها فقد خلفت ندبة واضحة على عنقه، لا بد وأنها أفعى كبيرة لتفعل ذلك.

أدار العمدة رأسه ناحية ابنه هذه المرة وسال:

- هل انت متأكد بانها أفعى؟

حك ريس مؤخراً رأسه، ليجيب بعدم ثقة:

- لا أدري، أنا لم أر أي أفعى بنفسي، الشيء الوحيد الذي شاهدناه جميعاً كان تلك الخفافيش و ...

توقف ريس، فصرخ عليه والده بنفاذ صبر:

- وماذا أيها الأحمق؟
- لم أنت غاضب هكذا؟ لست متأكداً، فقد كان هنالك شيء يحوم فوق الكوخ الذي كنا به، الصوت أقرب لوقع خطوات، لا أعتقد بأن أفعي زاحفة كانت لتصدر صوتاً كالذي سمعناه،
- لكن هذا ما يقوله الجميع.
- هدأ العمدة وتراجع مسنداً ظهره على الكرسي، فضحكت زوجته لتزيل التوتر ثم قالت:
- هيا بنا لتناول الطعام وإلا سيبرد.
- راقبت نتاليا ابنها الذي نام في حجرها، عبثت بخصلات شعره بأصابعها الرقيقة من دون ان تزعجه، فاقترب منها الكساندر وجلس بجانبها، التصق بها ولف ذراعه حول كتفها، ثم قال:
- معتذراً:
- آسف لأنني اخفتكما.
- هي لم تلتفت إليه، وواصلت ما كانت تفعله، صمتت لدقيقة، ثم تحدثت بصوت خافت:
- أفهم ما كنت تحاول فعله يا الكس.
- هل أنت غاضبة؟
- سألها وهو يتحرى الإجابة بقسمات وجهها، فهزت رأسها نافية:
- كيف بوسعي أن أغضب منك؟
- ثم التفتت إليه بوجه متعب وابتسامة باهتة لتقول:
- سنجتاز هذا معاً، لطالما فعلنا ذلك.
- كيف لك أن تكوني واثقة هكذا؟
- عادت ونظرت إلى كولين الذي ينام بسلام في حجرها تم تحدثت :
- تعلم كم مرة رأيت وجهها كهذا يا الكس؟

له يفهم ما كانت ترمي إليه، فواصل الاستماع إليها

- أتعلم كم مرة عدت انت للمنزل بعد معاركك بوجه كهذا؟

ثم حدقت بوجه زوجها لتكمل قائلة:

- كثيرا ما كنت تعود وأنت تحمل تلك النظرة الخاوية بعينيك،

عندها كنت أعلم بأنك قد ذقت الأهوال على الرغم من أنك ما كنت تخبرني بأي شيء فيما يتعلق بتلك المعارك ، في بداية زواجنا لم أعلم ما كان علي أن أفعل، لهذا راقبتك بصمت، وتظاهرت بان كل شيء على ما يرام، وبعد فترة كنت تعود لطبيعتك وكان شيئاً لم يكن.... إنه يشبهك كثيراً يا الكس.

تحرك ابنها قليلا، لكنه لا يزال نائماً فقالت:

- لا يزال كولين تحت تأثير الصدمة، لهذا أعطه بعض الوقت سيعود كما كان سابقاً، وربما أفضل، ألا يقولون بأن ما لا يقتلك يجعلك أقوى فقط؟

- ما الذي فعلته لأستحق امرأة بجمالك وقوتك؟

قالها بفخر ثم قبلها على جبينها، وقربهما أكثر إليه. كان ذلك هو الهدوء قبل العاصفة، ففي الوقت الذي افترض به الكساندر ونتاليا بأن الأمور ستسير للأفضل، شاءت الأقدار بأن

تتحرف سفينة الأمل عن مجراها، باليوم التالي تناقلت الأفواه بعض الأقاويل المزجة بشأن كولين، حتى إن باتريسيا قد رفضت بأن تسمح لابنتها ماغي بالذهاب واللعب معه:

- ولكن يا أمي ...

- من دون لكن، لو رأيت فقط كيف كان يتصرف البارحة.

ضمت باتريسيا ذراعيها محتضنة نفسها، لتقول بعدها:

حتى أنني بت أخشى على نتاليا والمولود الجديد منه.

خرجت بعد ذلك ماغي لمقابلة صوفي، وأخبرتها بأنها لن تتمكن من الذهاب معها لمقابلة كولين:

- أنا آسفة، لا أعرف ما الذي تفكر به امي؟

- لا بأس سأذهب وحدي.

ذهب العمدة لـ سميث، أحد أكبر الصيادين خبرة بالقرية، وأكثرهم براعة، جلس معه وتحدث بالعديد من الأمور قبل أن ينتقل للهدف الأساسي لزيارته:

- اردت ان اسالك عن أمر قد تجده غريباً بعض الشيء.

- ههه لا شيء غريب بهذا الزمن يا حضرة العمدة.

حك العمدة ذقنه وطرح سؤاله:

- هل تؤمن بوجود مخلوقات الليل يا سميث؟ أنت صياد متمرس، وجبت العديد من الوديان والغابات، ألم يسبق لك وان رأيت شيئاً يثبت وجودهم؟

ربع سميث ذراعيه العريضتين، ونظر مطولاً ناحية قوسه المعلق على الجدار بجانبه، ثم قال بجدية:

- لأصدقك القول، أنا لم ار احدها بأمر عيني، لكن هنالك الكثير من الأدلة التي تشير لوجود شيء ما يعيش متخفياً بالظلام في الغابات الكثيفة.

اتسعت عينا العمدة، وبدا متعطشاً أكثر لسماع المزيد، فقال:

- إذا انت تصدق وجودها؟

- لا دخان من دون نار أيها العمدة.

عاد العمدة إلى المنزل ونقل الخبر لزوجته، على أمل أن تؤدي دورها بالشكل الصحيح، هي لم تخيب ظنه، ونقلت ما سمعته لجارتها، والتي نقلته لصديقتها، ولم يمض الكثير من

الوقت حتى انتشر الخبر بين القرويين، وقبل نهاية اليوم، بات موضوع كولين الحديث الرئيسي في كل منزل، ابن القمر ربما يكون قد قابل احد مخلوقات الليل.

"هل تلك المخلوقات حقيقية؟"

"هل رأيت العضة على عنقه؟"
 "منذ أن عاد وهو يتصرف بغرابة"
 "ايعني هذا بأنه لم يعد بشرياً؟"
 "ما الذي سيحل بهذه القرية؟"
 "ما العمل؟"

وصلت تلك الهمسات لمسامع الكساندر ونتاليا، ويوماً بعد يوم أصبح من الصعب تحمل تلك الأقاويل، فكلما سار أحدهما بارجاء القرية، كان يتلقى نظرات الازدراء من القرويين، حتى أولئك المقربين منهم باتوا يتجنبون زيارتهم أو الحديث معهم. بعد ذلك منع الكساندر زوجته نتاليا من مغادرة المنزل، طلب منها أن تبقى هناك مع كولين، فأخر ما يرغب به الآن هو أن تؤثر تلك الأقاويل عليهما، وتبرع هو للخروج وقضاء حاجيات المنزل، اعتقد بأن ذلك هو الحل الأنسب، حتى اصطدم بالواقع وجها لوجه، واكتشف بأن البشر يمكن أن يكونوا أكثر قسوة مما يبدو عليه، لقد أغلقت الأبواب بوجهه، ورفض الباعة أن يتعاملوا معه وبيعه أي شيء، رغم أنه يمتلك من المال الكثير، لكن حتى هذا لم يكن كافياً ليحمو تلك الأقاويل التي التصقت به وبعائلته.

في أحد الأيام المقمرة، سمع الزوجان طرقاتاً على الباب، فذهب الكساندر لتفقد الطارق وإذا به الحطاب المسن غريفن أعتقد الكساندر بأنه هنا من أجل أخذ صوفي التي كانت تلهو مع كولين بالحديقة الخلفية للمنزل.

- سأذهب لأحضرها.

- لا، انتظر.

اوقفه غريفن وبدا مضطرباً بعض الشيء، تلفت من حوله ثم قال:

- هناك أمر مهم علي أن أخبرك به. في الحديقة الخلفية أخرج صوفي قطعة خشبية بحجم كف يدها من حقيبتها التي أحضرتها معها اليوم ووضعت ذلك الشيء بيد كولين ثم قالت :

- هذه لك، طلبت من جدي أن ينحتها.

قلبها كولين بين يديه، كانت منحوتة خشبية على شكل فارس، فابتسمت الصغيرة وهي تشير إليها بخجل:

- ربما ليست بجودة تلك اللعبة التي تخليت عنها.

مرر كولين اصابع يده عليها، وتحسس تفاصيلها، بينما أكملت صوفي لتقول:

- ارادت ماغي ان تأتي لزيارتك عدة مرات، لكن والدتها منعتها، أتمنى لو يسرع جاك بالعودة مع والده، ربما عندها سيختلف الوضع.

ومن بعيد نادي الكساندر على الولدين قائلاً:

- صوفي، كولين تعالاً بسرعة.

التقط الاثنان لعبهما وعادا لداخل المنزل، هناك حيث بدا الجو متوتراً قليلاً، وخاصة من ناحية نتاليا، التي أمسكت ببطنها بيد بينما أسندت نفسها على الجدار بالاستعانة باليد الأخرى،

بدت متعبة، لكنها لم تتوقف عن الابتسام بوجه الصغيرين، عندها نزل الكساندر على إحدى ركبتيه لمستوى نظر كولين، وضع يده على كتف ابنه ليقول بحيوية مصطنعة:

- بني، أريد منك أن تذهب مع صوفي إلى كوخ جدها، ستبقى عندهما هناك حتى نهاية اليوم، وسأحضر بعدها لاصطحابك للمنزل.

- هيا أيها الصغيران.

حثم المسن غريفن وهو يسير ناحية الباب، كان من الصعب على صوفي فهم ما كان يجري، في المقابل مد كولين يده، وتشبثت قبضته الصغيرة بقميص والده مجددة إياه، في

قرارة نفسه علم بان أمراً سيئاً على وشك الحصول، فابتسامة والديه لم تكن حقيقية، وضع ألكساندر يده على يد ابنه، وأمسك بها قائلاً:

- لا تخف، والداك سيقومان بحمايتك، بالمقابل أيمكنك أن تهتم بصوفي وجدها؟

ثم أزاح يده ووضعها بيد صوفي، ووجه كلامه لـ غريفن:

- اذهبوا الآن قبل أن يروكم.

في وقت سابق، كان غريفن في طريقه لتوصيل بعض الأخشاب لأحد القرويين، عندما سمع عن طريق الصدفة حديثاً ما بين العمدة وبعض الرجال في الساحة العامة، كان العمدة

يحثهم على الذهاب إلى عائلة الكساندر وطردهم من القرية بحجة أنه من الخطر بقاؤهم هنا، وافقه أغلب المتواجدين، باستثناء معارض واحد، الطبيب سايمون، والذي قال بأن نتاليا لا

يمكنها تحمل مشاق السفر وهي بوضع كهذا، لكنه قوبل بصيحات الاستهجان، وبعد شد وجذب قررت الغالبية العظمى الذهاب والحديث مع الكساندر، لهذا أسرع غريفن وقصده قبل الجميع من اجل تحذيره.

على حدود الوادي، محملين بحقائب جلدية مليئة بالطرائد، سار الأب وابنه ناحية قرية إيستوود، فأشار جيكوب ناحية الشرق محدثاً ابنه جاك:

- لم يتبق إلا القليل على شروق الشمس.

- هذا أفضل، لقد مللت الليل الطويل، أنا أكرهه.

قالها محبطاً وهو يركل حجراً كان بطريقه، فربت والده على كتفه:

- جميعنا لكرهه يا بني، بطريقة ما فهو لا يأتي إلا بالمآسي، لكن هنالك جانب إيجابي له.

نظر جاك إلى والده بغير اقتناع، فقال جيكوب:

- لو لم يوجد الليل لما عرفنا قيمة النهار، الا توافقتي؟

تسلل غريفن بصحبة الولدين دون أن يلاحظهم أحد، وقصدوا كوخه الصغير، بينما في هذه الأثناء كان الرجال قد وصلوا لمنزل الكساندر، ضربوا على الباب بقوة دون تردد، فسمعهم الكساندر الذي أوصل نتاليا لغرفتهما، طلب منها البقاء مستلقية، خاصة وأنها لم تبد بصحة جيدة:

- لا يمكنني البقاء هنا، أريد أن أكون معك.

- دعينا لا نجازف لأكثر من ذلك يا عزيزتي.

تركها وذهب للقائهم، فتح الباب فاندفعوا تباعاً، وتقدم أحدهم قائلاً:
- الكساندر، اين هو ابنك؟

نظر إليه بتوجس، بينما كان بقية الرجال يمسحون المكان بأعينهم، فأجابه الكساندر بحزم:

- لا حديث لك مع ابني، وكلمني كرجل لرجل.

- يبدو بأنك على علم بسبب مجيئنا إليك، جيد هذا يختصر علينا الكثير، إما أن تتكفل بأمر ابنك، أو ترحلون من هذه القرية، فلا أحد منا يرغب بأن يصبح الضحية التالية.

- لا تقلق سأرحل مع عائلتي من هذه القرية، كل ما أحجاجة هو بعض الوقت حتى تلد زوجتي.

استثار هذا الطلب رجلاً آخر فقال معترضاً:

- ولا حتى دقيقة واحدة، سترحلون الآن والساعة.

أوقفه الرجل الأول، ثم وجه كلامه لـ الكساندر:

إن أردت بعض الوقت فلك ذلك، لكننا سنهتم بأمر الصبي.

ابتلع الكساندر ريقه، وسال بحذر:

- ما الذي تعنيه بأنك سنهتم بأمره؟

أتي أحد النجارين إلى كوخ غريفن، فقد وعده الحطاب المسن بأن يحضر له بعض الألواح الخشبية بوقت

سابق، كان من المفترض أن يوصلها بداية اليوم، وبما أنه قد تأخر عن مواعده فقرر النجار الذهاب إليه بنفسه. ضرب الرجل على الباب عدة مرات دون أن يحصل على أي إجابة، فلقد قرر المسن غريفن بأنه لن يفتح الباب لأي أحد مهما كان السبب، خشية أن

يلاحظوا تواجد كولين عنده، وبعد أن يؤس الرجل قرر المضي بطريقه، الحرف عائداً على يمين الكوخ، وسار بمحاذاة جداره حتى مر بالنافذة، عندها لاحظ عبر زجاج النافذة غريفن الذي

كان يسند الباب بجسده، وقريباً منه كانت حفيدته، بالإضافة إلى صبي آخر، لم ير منه إلا ظهره، ومع هذا تمكن من تمييزه، شعر اسود، وضمادة تلف رأسه لتغطي عينه اليسرى.

- أليس هذا ابن الكساندر؟

قالها بصوت مرتفع، في الوقت الذي مر به ريس ابن العمدة، فسمعه وكرر الصبي ما قاله النجار متعجباً:

- ابن الكساندر!

أوماً له النجار وأشار ناحية كوخ غريفن، ليقول:

- ذلك الصبي هناك بكوخ الحطاب العجوز.

لمعت عينا ريس شرا، وهو ينظر باتجاه كوخ غريفن، ثم قال للنجار:

- سيدي هل تلمي لي خدمة؟ إن مررت بالساحة العامة يمكنك أن تخبر ابي أن يأتي إلى هنا؟

ذهب ذلك النجار بطريقه بعد أن قال بأنه سيخبر العمدة إن صادفه فقط، وكان هذا أكثر من كاف بالنسبة لـ ريس، فتوجه ناحية المخزن والذي يبعد مسافة لا بأس بها عن الكوخ،

هناك حيث يحتفظ غريفن بعدته، ويخزن أخشابه المقطعة، وبعد دقائق داخله خرج من هناك، وجرى ناحية الكوخ، ضرب على الباب بقوة وهو يصرخ منادياً:

- سيدي، سيدي، هنالك حريق في المخزن.

فتح غريفن الباب من فوره، ووقع بصره على الدخان المتصاعد من المخزن، فجرى بسرعة ناحية البئر حتى يحضر الماء اللازم لإخماد النيران قبل انتشارها، وغفل عقله عن الصبي

الذي أمامه، فاستغل ريس انشغال الحطاب المسن بالنار التي أشعلها هو بنفسه، وتوجه لداخل الكوخ، فوقفت صوفي بارتباك وهي تراه يخطو للداخل، بينما تابعه كولين بحذر.

- إذا انت تختبئ هنا أيها الهزيل، انتظر حتى يعلم ابي بالأمر،

تقدمت صوفي ووضع جسدتها امام كولين، مدت ذراعيها المرتجفتين لتقول:

- لا تقترب يا ريس.

ضحك ريس بطريقة هستيرية، ثم تقدم وصفع صوفي بظهر كف يده، فسقطت أرضاً وقد احمر خدها من قوة الصفعة، نظر إليها باشمزاز واضح، وكان على وشك أن يذهب ناحيتها

ويكمل عمله، لكنه تلقى لكمة على أنفه جعلته يتراجع بضع خطوات للخلف، ثم سقط أرضاً ووضع يديه على أنفه متألماً، وعندما أزالهما كانتا قد تلطختا بدمائه، فقد كان أنفه ينزف بشدة،

رفع راسه غاضباً فوجد تلك العين الزرقاء الغاضبة تحديق به مباشرة، تراجع ريس زحفاً للخلف، فارتسمت ابتسامة خبيثة على شفثيه وهو يقول بصوت خافت:

- نعم اظهر على حقيقتك أيها الوحش.

وفجأة بدأ ريس بالصياح والعيول بطريقة هستيرية، تراجع ناحية الباب باكيا في اللحظة التي ظهر بها والده العمدة ومعه الصياد سميث، ثم ارتمى بحضن والده وهو يشير ناحية

كولين بيده الدامية:

- ساعدني يا أبي، إنه يريد قتلي.

اتسعت عينا العمدة، واحتقنت الدماء بهما لشدة غضبه، فاستحال بياضها إلى حمرة، تقدم للداخل ناحية كولين، عندها صرخت صوفي باكية:

- إنه يكذب، ريس هو من بدأ وضربني، كولين كان يحاول الدفاع عني فقط.

لكن العمدة ما كان ليكثرث لصراخ الفتاة، أبعدها عن طريقه بعنف، وواصل تقدمه بثبات ناحية كولين الذي لم يتزحزح من موقعه، كان هنالك موقد للنار بجانبه، فالتقط العمدة إحدى

الأخشاب المكدسة بسلة بجانب الموقد، لوح بها بالهواء قبل أن يوجه ضربة مباشرة لصدر الصبي، فطار معها حتى ارتطم جسده الصغير بالحائط خلفه، انحل معها الرباط حول عينه قليلاً،

ثم هوى أرضاً، فامسك كولين بصدرة من شدة الألم، شعر بأن ضلوعه قد تحطمت من تلك الضربة، فتقدم حتى أصبح كولين تحت قدميه، نظر إليه بحقد، ثم رفعه من ياقته بيد واحدة

وثبته على الجدار، وضع يده الكبيرة حول رقبة كولين، وضغط بكل قوته متناسياً الفرق الهائل بالحجم بينهما، بينما كافح كولين من أجل التقاط أنفاسه، أمسك بيديه الصغيرتين يد العمدة

حول رقبته وحاول إبعادها من دون فائدة، شعر بأنه بدأ يفقد الوعي، عندها اندفعت صوفي وأمسكت العمدة من إحدى ساقيه، قامت بعضه، فأجفل وارخي قبضته قليلاً، ثم ركلها مبعداً

إياها، كانت تعلم بأنه لا فائدة من محاولاتها، أي فرصة كان يملكها أمام قوة رجل بالغ، هذا بالإضافة إلى الشخص الآخر الذي يقف عند الباب، حتى لو عاد جدها الآن فلن يتمكن من فعل

الكثير، ووسط تلك الفوضى قررت الجري خارجاً لطلب المساعدة، بينما وقف الصياد سميث كالصنم امامها ولم يمنعها من المغادرة، فكل تركيزه الآن مع ما يجري بين العمدة وكولين، راوده

الشك بشأن صحة ما يفعله العمدة، هل عليه التدخل وإيقافه؟ هل تمادي العمدة كثيراً برده فعله؟ وهو لا يملك من الأدلة إلا آثاراً لعضة على عنق الصبي، كان الصياد بصراع داخلي عندما نطق العمدة غاضباً:

- هذا جزاء من يحاول مد يده على ابني.

عض كولين على أسنانه وهو ينازع ليبعد يد العمدة، فضرب برأسه الحائط خلفه عدة مرات، لعله يتمكن من فك الحصار ولو قليلاً، عندها انحل الرباط بالكامل، ووقع الضماد أرضاً،

وخلال ثوان شعر كولين بارتخاء اليد حول رقبته لتفلقته بالنهاية، سقط ارضاً وبدأ يسعل بقوة وهو يحاول إدخال ما يمكن إدخاله من الهواء لرتتيه، لهث قليلاً ثم رفع نظره بتناقل ناحية

العمدة، لم تراجع الآن؟ نظرات مرتعبة، وجسد مرتجف هو ما رآه كولين أمامه، فقد كان العمدة يتراجع للوراء بذعر، بينما أشار سميث إليه بصدمة:

- إنه وحش، كنت على حق ايها العمدة.

نظر كولين للأرض بجانبه، ووقع نظره على الضمادة هناك، ثم أمسك عينه اليسرى بيد مرتجفة، كانت هنالك مرآة طويلة مسندة على الحائط البعيد المقابل له، نظر لانعكاس صورته

البعيدة، فشهد ذلك الوميض الأحمر يصدر منه، التمعت عينه اليسرى كحجر الياقوت تماماً، وللحظة لسي كل ألمه وشل عقله عن التفكير.

- أبي هل سيمتص دماءنا؟

لم يكن تمثيلاً هذه المرة من قبل ريس، شعر بالفزع وجرى ليقف خلف والده الذي جمد في موضعه، بينما تقدم الصياد سميث وتجاوزهما، كان كولين لا يزال في موضعه ينظر

بحسرة إلى وجهه بتلك المرأة البعيدة عندما شعر بضربة أخرى، هذه المرة أفقدته وعيه بالكامل. القي سميث بالعصا الخشبية بعيداً بعد أن ضرب راس كولين بها، ونظر إلى جسد

الصبى

المرتمي أرضاً ليقول:

- ما الذي ستفعله الآن أيها العمدة؟ هذا المسخ حقيقي.

استجمع العمدة رباطة جأشه، ثم تقدم ناحية كولين بحذر بالغ، ركله بقدمه ليتأكد من انه لن ينهض الآن ويهجم عليهم، وعندما تأكد من أن الخطر قد زال قال مجيباً:

- خذه إلى إسطلب الخيول بمنزلي، قيده واحكم إغلاق المكان، ريثما أذهب لإبلاغ بقية الرجال.

جرت صوفي بأقصى سرعة لها، وصلت لمنزل عائلة الكساندر لاهثة، فتوقفت وأمسكت بالسور الخشبي المحيط بالمنزل، عندها سمعت أصوات الرجال المتعالية تصدر من داخل

المنزل، شعرت بالفزع وللحظة أرادت الهرب بعيداً، لكنها تذكرت وجه كولين، هو لن يصمد لوقت طويل بين يدي العمدة، لهذا جرت ناحية الباب، دفعته بكل قوتها وصرخت باكية:

- كولين في خطر.

التفوا جميعاً ناحيتها وقد قاطعت جدالهم لتكمل:

- سيقتله العمدة.

ثم خرت على الأرض باكية، فنظر الرجال لبعضهم بعضاً، وتراجعوا لخارج المنزل، بينما توجه الكساندر ناحيتها مستفهماً، هز جسدها الصغير بيديه ليقول بفزع:

- ما الذي حصل؟

ردت عليه والدموع تغطي وجهها:

- أتى العمدة لكوخ جدي، إنه يحاول قتل كولين الآن.

نهض الكساندر من فورهِ، سار بأقصى سرعة لديه ناحية غرفة مكتبه، بينما لا تزال صوفي منهارة على الأرض، ارتجفت بموضعها فعاد لها الكساندر مجدداً، هذه المرة حاملاً البندقية

بيده، ضرب بعكازه بقوة أرضاً، تجاوزها واتجه ناحية الباب، كان على وشك الخروج عندما سمع صوت نتاليا خلفه:

- ما الذي يجري؟ ألكس ...

ثم لاحظت وجود صوفي على الأرض، فعادت ونظرت ناحية زوجها، رأت عينيه المتقدة غضباً، والبندقية بيده، ذلك لم يكن وجه زوجها الحنون الكساندر، بل هو وجه العقيد السابق

وهو بطريقة لمعركة ما، فسالت:

- ألكس لم صوفي هنا؟ واين هو كولين؟

لكنه لم يجيبها، وقال لـ صوفي قبل أن يغادر:

- صوفي، ابق هنا واهتمي بنتاليا، ولا تغادرا المكان مهما حدث.

خرج الكساندر مع بندقيته دون ان يحمل معه أي مصباح لينير طريقه في تلك الليلة، فقد كان ضوء القمر المكتمل كافياً بالنسبة له، قصد كوخ غريفن أولاً، شم رائحة الدخان الصادرة

من المخزن، لكنه تجاهله وتوجه إلى الباب المفتوح للكوخ، خطأ للداخل فوجد المسن غريفن منحنيًا على الأرض ينظر إلى ضمادة كولين هناك، فقال بعد أن انتبه لدخول الكساندر:

- أنا آسف لم أتمكن من فعل شيء.

- صوفي بمنزلنا إنها مع نتاليا، اذهب وابق معهما.

- ماذا عنك؟

لم يحصل على أي إجابة، التف المسن ناحية الكساندر، فوجد بأنه كان قد غادر الكوخ سلفاً.

اجتمع الكثير من رجال القرية في منزل العمدة، وعلت صيحاتهم، خاصة بعد أن حدثهم سميث والعمدة عن عين كولين، ومهاجمته لابنه ريس، كان ذلك كفيلاً بأن يدخل الرعب

بقلوبهم، فتحدث أحدهم:

- لنقتله الآن قبل أن يصبح أكثر قوة.

فأجابه رجل آخر:

- هل تعلم حتى كيف يمكننا قتله؟ لقد سمعت بأن تلك الوحوش لا تموت بالطرق العادية.

- إذا هل لدى أحدكم فكرة عن طريقة قتلهم؟

نظروا إلى بعضهم بعضا بحيرة، فقال شخص من بينهم:

- كيف سنعرف ذلك؟ نحن لم نعلم بأنها كانتات حقيقية قبل هذا اليوم.

في هذا الوقت داخل الإسطبل، أفاق كولين، فتح عيليه بتثاقل، وشعر بالألم بكامل جسده، أراد أن يتحرك، لكن ذلك كان مستحيلاً، فنظر من حوله، كان الظلام حالماً في هذا المكان،

ولولا رائحة الخيول النتنة لما عرف بأنه بداخل الإسطبل، نظر امامه فشهد خطأ مضيئاً يومض بالظلام، لم تكن رؤيته واضحة، فقد كان هنالك نوع من الغمامة على عينيه، ركز قليلاً

ناحية ذلك الخط، فوجد أنه شق الباب، وتلك الإضاءة ما هي إلا الشعلات التي يحملها الرجال خارجاً، كانت تتحرك ذهاباً وإياباً متجاوزة الشق، فعلم بأن هنالك من يحرس المكان خارجاً،

حاول تحرير يديه من خلف ظهره، لكن حتى تلك الحركة البسيطة آلمته لدرجة فضيعة، أراد أن يصرخ لكنه قاوم الفكرة، وفجأة بدأ يسمع بعض الأصوات التي تقترب، تلك هي نهايته

حتماً، فأغمض عينيه مستسلماً، وتمنى بان يكون الأمر سريعاً على الأقل.

- لينتهي كل شيء الآن، ربما كان ذلك للأفضل.

هدوء مريب.

ثم صرخات مستنفزة.

برز من بينها صوت مميز، كان صوت والده.

عند مدخل باب منزل الكساندر، حاول المسن غريفن منع نتاليا من الخروج ، وقف أمام الباب يتوسل إليها بأن تنتظر، لكنها رفضت لتصرخ به باكية:

- ابتعد علي ان اذهب.

بكت صوفي وهي متشبثة بفرستان نتاليا بكلتا يديها، وفجأة توقفت عن البكاء، وحدقت بعينين مذهولتين إلى الأرض، بينما توسلت نتاليا:

- ارجوك ابتع...

لم تتمكن نتاليا من إكمال جملتها، أمسكت بطنها وتأهت من الألم المفاجئ الذي باغتها، شعرت بان احشاءها ستنفجر، عندها أشارت صوفي للأرض تحت موطئ قدم نتاليا، فقد

كانت تنزف دون أن تعلم، فترك غريفن موقعه عند الباب، توجه ناحيتها، مد يده لها حتى يساعدها على الرجوع إلى غرفتها، لكنها صرخت بأعلى صوتها بعد أن ازداد الانقباض، وجثت على

الأرض متشعبة بالحائط بجانبها.

تقدم الكساندر بثبات ناحية الإسطبل، بالمقابل حاول بعض الرجال إيقافه متمسكين بالمجارف والفؤوس، أسلحة كتلك ما كانت لتخيف العقيد السابق، فسأل بحزم:

- اين هو ابني؟

ظهر العمدة من بينهم، وهو ممسك بيد ابنه ريس فقال أمراً:

- عد أدراجك يا ألكساندر، فذلك المسخ لم يعد ابنك، انظر ما الذي فعله بولدي، لقد هجم عليه وكاد يقتله.

نظر الكساندر إلى وجه ريس، أنف مكسور، وهناك آثار لنزيف يبدو أنه قد توقف الآن، فازداد غضبه اكثر ليقول:

- أنف مكسور! اتسمي هذه محاولة للقتل؟

ثم رفع البندقية بوجه العمدة ليقول مهدداً:

- لن أكرر سؤالي لأكثر من ذلك، اين هو ابني؟

لم يكثرث العمدة كثيراً لتهديد الكساندر، هو حتى لا يعلم ما الذي يعنيه هذا السلاح الموجه ناحيته كونه يراه للمرة الأولى، ومع هذا قال لأحد رجاله:

- أحضر الصبي، ربما يقتنع إن شاهده بنفسه.

- بالتأكيد.

احترار الكساندر، فما الذي يعنيه العمدة بأنه سيفتتح إن شاهده؟ وقبل ان يجد وقتاً للتفكير، تقدم سميث ببنيته الضخمة، خرج لتوه من الإسطنبول، وهو ممسك بـ كولين بيديه

الكبيرتين، جعله يركع على قدميه، أمسك بذقنه ووجهه ناحية الكساندر، ففتح الصغير عينيه بتثاقل، ونظر كالمخمور ناحية والده، التمعت عينه اليسرى بذلك الوميض الأحمر بكل وضوح،

فشهق معها الرجال الذين لم يروها من قبل، أما الكساندر فجمد في موضعه، وتذكر العينان من تلك الليلة، ذلك الكيان الذي انسل من النافذة حاملاً كولين بين يديه، فارتجفت شفتاه قبل

ان يطبق على أسنانه غيظاً، وأشعل فتيل البندقية التي بيده مهدداً:

- اتركه الآن.

ثم أطلق طائشة أصاب بها الجدار من خلفهم، تعمد فعل ذلك حتى يخيفهم، ثم عاد ووجه فوهة البندقية ناحية سميث الممسك بـ كولين، كان يعلم بأن عليه أن يعود لتلقيم

البندقية وإشعال فتيلها من جديد، لكنه لم يهتم لذلك، لأنه يعلم بأن لا أحد من الرجال حوله يعرف آلية عمل هذا السلاح، وكما توقع الكساندر، فقد تراجع الصياد سميث فزعا بينما وضع

كولين امامه كدرع بشري، فقد خشي أن يطلق الكساندر مجدداً، ثم صرخ بأعلى صوته مهدداً:

- إن أطلقت الآن فستصيب ابنك فقط.

ثم صاح أحد الرجال قائلاً:

- هذا ليس الكساندر، ربما يكون الصبي قد عضه أيضاً.

وافقه شخص آخر ليقول:

- معك حق ف الكس شخص طيب لا يؤذي أحداً، لا بد وأنه يتحول أيضاً، قد تلتمع عيناه بأي لحظة الآن.

اضطرب الرجال ورفعوا أسلحتهم عالياً، بينما كان العمدة مسروراً بما يراه من تصعيد للأحداث، فاستعار فاساً وأخذ يلوح بها ليقول بثقة:

- ما الذي ستفعله؟ تستطيع طلقتك أن تصيب شخصاً واحداً في كل مرة، انظر إلى عددنا من حولك يا الكس.

وجه الكساندر فوهة البندقية والصقها بجهة العمدة، بينما ارتجف جسده غيظاً، عندما سمع سميث ما قاله العمدة، ازدادت ثقته وألقى بكولين أرضاً، وداس على ظهره بقدمه قائلاً:

- لنحرقهما معاً، تماماً كما كانوا يحرقون الساحرات سابقاً، لا بد وان تنفع هذه الطريقة.

ثم هوى بكامل ثقله على جسد كولين، شعر الصغير بأنه يسحق بين قدم ذلك الرجل والأرض، والتصق وجهه بالأرض الترايبية، ضلوعه المحطمة تنغرس عميقاً في رنتيه وكأنها طعنات

سكاكين حادة، شعر بأنها نهايته، أراد رفع رأسه، واراد ان يرى والده حتى لو كان ذلك للمرة الأخيرة، إلى أن توقف الهواء عن الدخول لرنتيه، وبدأ يفقد وعيه تدريجياً، ومع هذا فتح فمه

وحاول مناداة والده بينما يستمع لجدالهم من بعيد، سمع فجأة صوت تلويح المعدن بالهواء.

هدوء ...

ثم طار شيء ما عالياً ليقع أرضاً على مسافة قريبة منه ...
تدحرج ذلك الشيء حتى أصبح أمام عيني كولين تماماً، فتوقف الزمن
والهواء وكل شيء آخر من حوله، ما تدحرج ليقف أمامه لم يكن إلا
رأس والده الكساندر، وجه يخلو من الحياة
والدماء تقطر منه مشكلة بركة حمراء أسفله، التمعت عينا كولين
وانحشر كل شيء بحلقه.

"هذا ما نسميه نحن القراصنة بالبوصلة"

"لا تقلق سنقوم بحمايتك"

"أنا هنا يا بني، والدك بجانبك تماماً"

تدافعت الصور الواحدة تلو الأخرى أمام عينيه، أراد الصراخ، أراد مناداة والده، لكن لا شيء من ذلك يأبى الخروج الآن، كانت غصة، شعر بها تقف هناك بمنتصف حلقة، تسد كل شيء آخر خلفها.

- ما الذي فعلته أيها العمدة؟

تكلم أحد الرجال ليثيق بذلك السكون الذي حصل بعد أن قطع العمدة رأس الكساندر وفصلها عن جسده، فرمى العمدة بالفأس التي كانت بيده أرضاً، وابتعد خطوتين للوراء، فنظر

سميث إلى جسد كولين تحت قدمه، كان ينتفض بموقعه وهو يحرق في رأس والده أمامه، ومن دون سابق إنذار صرخ الصبي بأعلى صوته، أطلقها دفعة واحدة، صرخة دلت على مدى قهره، وصل صداها لعنان السماء المقمرة.

في الوقت ذاته صرخت نتاليا وهي غارقة بدمائها، تعتصر يد غريفن، من دون أن تكون لها أدنى فكرة عما يجري . خارجاً، نادى عليه بياس:

- أليبيبيكس ...

انهمرت دموع كولين، لدرجة حجبت معها الرؤية أمامه، عندها هبت نسمة ريح أطفأت معها كل الفوانيس .

، والشعلات المتقدة دفعة واحدة، وسيطر الظلام على المكان بلمح البصر، فتدافع الرجال للخلف ينظرون حولهم بتوجس، لقد عاد السكون مجدداً.

على غفلة من جدها خرجت صوفي من المنزل، أرادت طلب المساعدة، فتحت الباب وجرت ناحية السور، ولم تتبعد لأكثر من ذلك بعد أن لاحظت اختفاء الأضواء من كل المنازل

المجاورة.

فوق تل قريب، توقف جيكوب عن المسير، وأخذ ينظر بقلق ناحية الأفق أمامهم، فتوقف ابنه جاك بجانبه مستفسراً:

- ما الأمر يا أبي؟ لم توقفت الآن؟

كان لا يزال ينظر أمامه عندما أشار جيكوب بيده مجيباً:

- كان علينا أن نرى أضواء القرية من هذا المكان الآن.

- ربما أخطأت بحساباتك فقط.

لم يخطئ جيكوب في حساباته من قبل، كانت القرية أمامهم بالفعل، لكن بسبب الظلام الذي غرقت به لم يتمكن أي منهما من رؤيتها، أو حتى تحديد موقعها، وفجأة سمعا صوتاً

قادماً من جهة اليسار، فأنزل جيكوب الحقائق التي يحملها وتسلسل خلف مجموعة من الشجيرات القريبة، نظر لتلك الناحية فلاحظ مجموعة من الخيالة المدججين بالسلاح، عندها تراجع قليلاً وقال لابنه:

- جاك إياك أن تصدر صوتاً.

أمام الإسطبل تلفت الرجال من حولهم بذهول، من بعيد تمكن احدهم من رصد شيء ما يقترب، وصوت غريب صاحب تحركه ناحيتهم، وإذا بها أسراب من خفافيش، قطعت الطريق

طيراناً من الجهة الشمالية للقرية، حلقت بينهم بشكل عبثي ودون ان ترتطم باي احد، ثم تجاوزتهم بسرعة فائقة، واختفت بعد ذلك بلمح البصر، عادوا مجدداً لينظروا بالاتجاه الذي أتت

منه الخفافيش، هنالك شيء آخر يقترب، لكنه لم يكن شيئاً طائراً، تقدم ناحيتهم سيراً على الأقدام، ظهر لهم ذلك الكيان بهيئته البشرية، وسار بخطى ثابتة حافي القدمين على الرمال

والحصى، بطوله المهيب كان يرتدي عباءة سوداء طويلة بقلنسوة تغطي رأسه، تمكن بعضهم من الهرب قبل أن يقترب أكثر، عندها فقد البقية فرصتهم، فلقد شلت اجسادهم بالكامل،

عندما أصبح ذلك المخلوق على بعد كاف، والتقى نور القمر المكتمل مع بشرته البيضاء الشاحبة، بانث ملامحه أكثر، كانت ملامح امرأة بغاية الجمال، عينان واسعتان بلون لوزي، يظللها

من الأعلى رموش كثيفة وطويلة أسفلهما أنف صغير دقيق، وتلا ذلك شفتان زهريتان ناعمتان، انزلقت القلنسوة من على رأسها، فانساب شعرها الأسود الطويل بنعومة، وانعكس ضوء القمر

على خصلاته الحريرية ليكمل تلك اللوحة الفنية، بدت ككائن أسطوري، ملاك من نوع ما نزل إليهم من السماء، كانت كذلك حتى اللحظة التي التمعت بها عيناها اللوزيتان، وتغير لونهما إلى الياقوت الأحمر، برقت كلتا عينيها بكل وضوح وسط كل هذا الظلام، فذب الرعب بقلوب الرجال العاجزين عن الحركة، انتفضوا في مواقعهم غير عالمين بمصيرهم، أما هي فقد اجتازتهم دون اكتراث، تجاهلت صيحاتهم ولم تنظر إلى اي احد منهم، واصلت مسيرها ناحية كولين، أو بالأحرى لذلك الرجل فوقه.

اطلت ماغي من نافذة غرفتها، بعد أن لاحظت اختفاء أضواء الفوانيس خارجاً وقد حل محلها ضوء القمر، كان بإمكانها الشعور بوجود خطب ما، وعلى غفلة منها، دخلت والدتها لتقول بار تباك:

- ماغي علينا أن نهرب.

اتجهت باتريسيا مضطربة ناحية النافذة، وأغلقت الستائر، ثم ضمت ابنتها إليها التقول:

- يا إلهي سنموت جميعاً، سنموت جميعاً.

في عيادته، بحث سايمون كالمجنون بإحدى الخزائن، أخرج ما يمكن إخراجه من المستلزمات الطبية، وأخذ يرمي بها داخل حقيبة جلدية بجالبه، بينما وقفت زوجته المرتعبة عند

اعتاب الباب تحديق به وهي تحمل أحد التوائم الثلاث، أما الاثنان الآخران فالتصقا بها وهما يشدان ثوبها خوفاً، فحثته بصوت مرتعب:

- اسرع يا سايمون.

في هذا الوقت، أمام الإسطل، كانت تلك المرأة تنظر إلى الرجل الضخم فوق كولين، كانا بالطول نفسه تقريباً، حدقت به بعينين ناعستين، أعطت شعوراً بعدم الاكتراث لمن هو

امامها، ثم أمالت رأسها، ونزلت ببصرها لذلك الجسد الصغير أسفل قدم
الرجل، فمدت يدها للأمام ولوحت بها بحركة سريعة، فتطايرت الدماء
على جدار الإسطبل، وسقط سميث الصياد

الضخم ينازع وهو ممسك بحلقه، ارتمى أرضاً بثلاثة خدوش غائرة
قطعت شرابين رقبتة، تدافعت الدماء من بين يديه دون توقف، حتى خفت
حركته تدريجياً واستقر جثة هامة على

الأرض بجانب كولين، فنظرت إليه باشمئزاز، وغطت أنفها وكان رائحته
لم تعجبها. صرخ البقية بهستيرية، محاولين الفرار عبثاً، بينما انحنت تلك
المرأة باتجاه كولين، الذي جفت الدموع

على خديه، وارتسمت نظرة خاوية على ملامحه، كان لا يزال ينظر إلى
رأس والده أمامه، وكان كل شيء حوله لم يعد مهماً عند تلك النقطة، فمدت
المرأة يدها التي تلطخت بدماء ذلك

الرجل، ومسدت شعره لتقول بصوت خافت:

- اخذت وقتاً طويلاً حتى تصرخ لطلب المساعدة.

ثم رفعت رأسها ونظرت للمكان من حولها لتضيف:

- أخبرتك بأنك لم تعد منهم.

ثم استقامت من موضعها، والتفتت ناحية البقية، هذه المرة، كان الشرر
يتطاير من عينيها، فتعالت أصواتهم أكثر من قبل، أما هي فقد تحركت
بسرعة البرق، غرست يدها عميقاً في

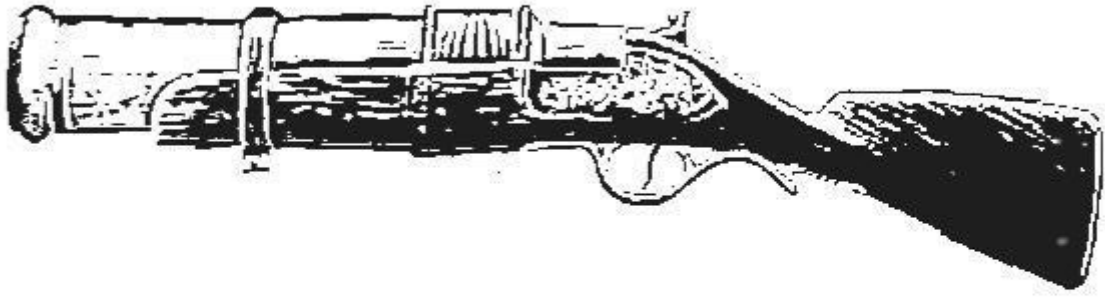
معدة أحدهم حتى اخترقتها للجهة الأخرى، ثم أخرجتها وأخرجت احشائه
معها، فانسابت كتلاً حمراء على الأرض، مدت يدها الملتخة ناحية فمها،
وفتحت شفثيها، قامت بلعق الدماء من

على أصبع سبابتها، فبانث لهم أنيابها الطويلة، عندها تحدثت باشمئزاز:

- دماء فاسدة، الا أجد بينكم من يروي عطشي؟

تحركت بسرعة للضحية التالية، هذه المرة، فصلت رأسه عن جسده
بحركة انسيابية دون أن تصدر معها أي صوت، فخر الرجل ساقطاً على
ركبتيه، والدماء تندفع من رقبته المبتورة
كالنافورة، و واحدا تلو الآخر قامت بتقطيع أجسادهم، وفصل أطرافهم،
ومع كل شخص :
تقتله شعرت بالسعادة تغمرها أكثر وأكثر، فابتسمت عيناها، وكان الأمر
أشبه بلعبة بالنسبة لها، أما
صراخهم وصيحاتهم، فكانت كالموسيقى التي تغنت بها أذناها، تحركت
برشاقة مبهرة بينهم، وبدت كمن
يرقص وسط حفل دموي بسعادة بالغة.
انتشرت الدماء كالبرك الصغيرة هنا وهناك، واختلطت مع التربة لتنتشر
رائحتها الصدئة وتمتزج بالهواء الثقيل من حولهم، وبعد مضي أقل من
ربع ساعة، عاد السكون من جديد، هذه
المرة كان قاتلاً.

قام الكساندر بتصميم بعض النماذج المطورة من السلاح الذي حصل عليه بعد المعركة التي شارك بها ضد القراصنة، ومن بين هذه التصاميم كان هنالك سلاح يطلق قذيفة شبيهة بالمدفع إلا أنه أصغر حجماً، يمتاز بخفة الوزن وسهل الحمل.



الفصل (5):

رائحة الموت.

تبقى على أول شروق للشمس القليل، يومان فقط، لهذا تغيرت ظلمة الليل، وبهت لمعان النجوم، حتى القمر المكتمل أعلن انسحابه تدريجياً، كان هذا الوقت المفضل لسكان قرية

إيستوود، فهم يخرجون بالعادة ويتأملون تغير لون السماء مستبشرين بأيام الشروق المقبلة، لكن الساعات مرت تباعاً دون أي حركة تذكر

وصلت قافلة يوجين إلى التلة القريبة من قرية إيستوود، عربات ثقيلة تجرها الخيول بصعوبة، وفرسان منهكون، بالمقابل كان يوجين سعيداً بعودته، ومفعماً بالطاقة، كونه عاد

محملاً بالمواد الأولية التي ستكفي لصناعة الأسلحة الجديدة، وأيضاً هو في غاية اللهفة للقاء صاحبه الكساندر مجدداً، رجاله المتعبون من المسير الطويل تنفسوا الصعداء بعد أن بانث لهم

القرية من بعيد، فراش وفير دافئ، وطعام شهوي هو أقصى ما كانوا يطمحون له الآن، لكن بعد أن وصلوا لأطراف القرية، وتخطوا الشارع الأول بها، انتابهم القلق لشدة الهدوء بهذا المكان،

فتحدث مساعد يوجين قائلاً:

- سيدي القائد، ألا تعتقد بأن هنالك خطباً ما بالمكان؟

تلقت يوجين من حوله قبل أن يرفع ساعده الأيمن موقفاً بذلك القافلة من خلفه أمراً:

- ليتوقف الجميع .

ثم وجه حديثه لمساعدة رايدر

- الا يمكنك أن تشتمها يا رايدر؟

نظر إليه مساعده بتوجس، بينما أكمل هو قائلاً:

- إنها رائحة الدماء.

وكز حصانه بعد ذلك، لينطلق للأمام مسرعاً، جرى به حتى منتصف
الساحة العامة حتى توقف الحصان فجأة، وارتد على قائمته الخلفيتين غير
راغب بالمُضي لأكثر من ذلك، فهداه

يوجين ومسح على رقبتة:

- اهدا يا صاحبي، ماذا دهاك؟

عندها بانث له الصورة المفزعة، فترجل من على حصانه، وسار
كالمخمور بين الأشلاء المترامية بكل مكان، شخص بمكانته العسكرية كان
ليعتاد على رؤية الجثث يومياً، لكن ليس

هكذا، فمن بين الأطراف المقطعة والجثث المشوهة كان هنالك أطفال
ونساء وعجائز، هذه صورة يراها للمرة الأولى، فوضع يده على فمه وقد
شعر برغبة بالاستفراغ لهول المنظر، كان

مساعدته رايدر قد لحق به لتوه، فتوقف حصانه هو الآخر ليقول فزعاً:

- يا إلهي، ما الذي حصل هنا؟

سار يوجين بين تلك الجثث والأشلاء كالمخمور، وبحث بينها عن وجه
محدد، شعر بالبرودة تسري بأوصاله، وبأنفاس مضطربة كان يأمل بأن لا
يجد ما يبحث عنه، بحث طويلاً،

ودخل عميقاً بين المنازل والأزقة، حتى ارتطمت ساقه بجثة ما، نظر
إليها، وإلى العكاز والبندقية بجانبها، كانت جثة من غير رأس غارقة
بدمائها الجافة، نظر إليها وقد شل عقله عن

التفكير، وصلى بأن يكون مخطئاً، فنزل على إحدى ركبتيه محاولاً
تفحصها، وهنا التقطت عيناه ذلك الرأس البعيد، شعر ذهبي مموج، فنزلت
دموعه بحسرة، لا يمكنه أن يخطئ بتمييز

صاحبه، وصل رايدر ووقف بجانب يوجين غير مصدق ما تراه عيناه:

- لا تقل لي بأن هذا هو العقيد الكساندر؟

هز يوجين رأسه، ومسح وجهه بساعده، عندها استقام من موقعه، وبصوت
أكثر صلابة، أمر مساعده:

- اطلب من الرجال بأن يبحثوا في ارجاء المكان، ابحثوا عن أي ناجين، لا بد أن يكون هنالك احد.

- امرك سيدي

ثم اصدر يوجين امراً آخر:

- ابعث لي بأحد الرجال إلى العاصمة، علينا أن ترسل خبراً عما جرى هنا.

- أترغب بأن اذهب بنفسي؟

- سيكون هذا أفضل.

جرى رايدر عائداً إلى حيث أوقفوا العربات، أعطى التعليمات لبقية الفرسان، ثم امتطى حصانه وانطلق مسرعاً للعاصمة، بينما توجه يوجين إلى منزل ألكساندر، وكل أمله معلق الآن

على إيجاد نتاليا وكولين، عندما وصل للسور المحيط بالمنزل، تمكن من رؤية الباب مفتوحاً من بعيد.

توجه الملك ثيودور للقاعة العامة، كان لديه اجتماع مع المجلس الأعلى لمناقشة الإجراءات المقترحة لإخماد غضب العامة، جلس على كرسيه على رأس طاولة الاجتماعات، بينما

توزع الوزراء والقادة العسكريين عن يمينه وشماله، وضعوا الأوراق أمامهم، فاستقام أحدهم من موضعه وكان على وشك البدء عندما دخل أحد الحراس الملكيين، توجه من فوره إلى الملك

وأسر له بشيء ما، فاتبعت عيناه والتفت ناحية الحارس غير مصدق لم سمعه للتو، نظر بقية الوزراء والقادة لذلك الحارس غير عالمين إن كان عليهم المواصلة أم انتظار أوامر الملك،

فنهض ثيودور من على كرسيه بعد أن دفعه للخلف بقوة ليقول أمراً:

- أكملوا الاجتماع من دوني، سأغيب بضعة أيام، وعندما أعود أتوقع أنكم قد وجدتم حلاً لتلك المظاهرات.

ثم غادر القاعة من فوره، تخطى الباب فاندفع حراسه ومساعدوه خلفه، توجه إلى جناحه الخاص، وطلب أن يتم إحضار لباسه العسكري، وبينما أحضرت الخادمت ملبسة دخلت

عليه زوجته الملكة غلوريا، سألته بارتباك:

- أخبروني بأن رايدر قد أتاك برسالة مستعجلة، ماذا حصل؟

اغلق ازرار قميصه، ثم وضعت الخادمة المعطف على كتفيه، ليقول:

- لم أفهم منه إلا القليل، عندما أعود سأخبرك بكل شيء بالتفصيل.

انتهى من تغيير ملبسه، وخرج برفقة خمسة من الحراس الملكيين، يتقدمهم رايدر، حملوا القليل من العتاد الذي سيكفيهم لمسافة الطريق، فهو لم يرغب بأن يلفت الانتباه، جرت

خيولهم بالسرعة القصوى، عبروا خلالها العاصمة، ومدينة أخرى قبل أن يصلوا إلى السهول الواسعة، ثم عبروا الوادي الأخير، كانت إيستوود تقبع هناك خلفه، وصل موكبه البسيط قبل

المشرق بقليل فكان لون السماء يميل إلى الأرجواني، وضياء الشمس يلوح هناك بالأفق معلنا عن وصولها بعد غياب طويل. سار الملك ثيودور بين الجثث والأشلاء المترامية، فوقعت عيناه

على ما بدا دموية خزفية، انحنى والتقطها، نفض التراب عنها، بوجهها المحطم حدقت به الدمية وكأنها تتاجيه بحزن، وهنا انبثق اول خيط ذهبي للشمس خلفه، فسار الضوء على الأرض

كاشفاً المشهد الدموي بكل تفاصيله، لمعت عيناه بأسى لما يراه امامه، ثم سال بعد أن سمع وقع خطوات خلفه:

- أين هو يا يوجين؟

تقدم يوجين حتى أصبح بقرب الملك، أدى تحيته، ثم أجاب وهو يشير إلى جسد مغطى عن يمينه:

- إنه هناك.

تحرك الملك وسار ناحيته، فأزال أحد الحراس الغطاء عن الجثة، نظر إليها بملامح جامدة دون أن يقول شيئاً، ففهم يوجين من فوره، وطلب من الحراس الابتعاد قليلاً، في اللحظة

التي غادروا بها مجال بصره، حتى خر ساقطاً على ركبتيه أمام جثة الكساندر، سقط ثيودور موحد المملكة منتحباً، وبعد فترة سال يوجين بنبرة يائسة:

- عائلته؟ نتاليا وكولين؟

هز يوجين رأسه نافياً، ثم نظر إلى الأشلاء من حوله ليقول:

- ذهبت إلى منزله، لا شيء غير برك الدماء التي تغطي الأرض بأكملها...

توقف يوجين واصطكت اسنانه ليتابع:

- عثرت أيضاً على قبر ابنه كولين، يبدو بأنه قد مات قبل حصول هذه المجزرة.

انحنى يوجين وغطى جثة الكساندر ثم قال:

- للأسف لم نعثر على أي ناجين حتى الآن.

استقام ثيودور، ومسح وجهه بكفي يده، ثم أخذ شهقة عميقة ليقول وهو يحدق بالمكان:

- هل عرفت من هو المسئول عن هذا؟

- لا اعتقد بأنهم قد تعرضوا لقطاع طرق أو مرتزقة، فهم كانوا سيأخذون الأطفال والنساء من أجل بيعهم لتجار العبيد، كما أن البيوت لم تُمس، كل أموالهم لا تزال بمكانها.

غضب الملك وقال:

- إذا من فعلها؟ أيعقل بأن تكون حيوانات ضارية؟

- بالتأكيد لن تكون كذلك، الفهود والأسود وحتى الذئاب لن تقتل إلا لتسد جوعها، أما هذا إن أردت رأيي، فهو قتل للمتعة فقط.

وفجأة قطع حوارهما صراخ أحد الفرسان، لوح لهم من بعيد، وجرى ناحيتهم، توقف ملتقطاً انفاسه ثم أشار لهما ناحية أحد الأزقة قائلاً:

- لقد عثرنا على بعض الناجين.

صرخ به يوجين سائلاً:

- أين؟

- في البئر القديمة بالقرب من أحد الأكواخ هناك.

جرى الملك ويوجين خلف الفارس الذي قادهما إلى المكان المطلوب، شاهداً مخزناً شبه محروق، وبئراً في حال سيئة، وبجانبه كان هنالك شخص بالغ، يحتضن صبياً يبكي بحرقة

بين ذراعيه، تقدم يوجين ناحيتهما وسأل:

- من انت يا سيد؟

فأجابه الرجل بصوت متعب:

- انا عمدة هذه القرية، وهذا ابني ريس.

تقدم الملك دون ان يعرف بنفسه، انحنى على إحدى ركبتيه ليسأل بدوره:

- ما الذي جرى ايها العمدة؟

تلقت العمدة حوله، ثم قال وهو يعتصر ابنه:

- هل ستصدقني إن قلت لك باننا تعرضنا لهجوم من تلك الوحوش؟

نظرة استفهام علت وجه الملك ثيودور ويوجين، فأضاف العمدة:

- إنها مخلوقات الليل يا سيدي.

شمالاً وعلى اطراف حدود الغابة السوداء، كانت هناك هضبة ملاصقة لها، بها الكثير من الممرات الصخرية والكهوف ذات الحجارة البركانية، صدح صوت طفل رضيع، وارتد صده

عالياً داخل أحد تلك الكهوف، حاولت سوزان إسكاته وهي تهزه بين ذراعيها:

- ششش، ارجوك ليس الآن.

ثم التفتت خلفها لتسأل:

- كيف حالها الآن؟

هز سايمون راسه بياس ليقول:

- ولدت قبل الموعد بشهر، كما أنها نزفت كثيراً، لا أدري إن كان بمقدورها الصمود.

كان يسند رأس نتاليا بإحدى الحقائق الجلدية الصغيرة، بينما افترشت الأرض الحجرية وهي فاقدة للوعي. في الجانب الآخر للكهف تجمع بعض الأطفال بجانب بعضهم بعضاً، ومن

بينهم كانت ماغي، صوفي، والتوائم الثلاثة، أما عند مدخل الكهف فوقف جاك السمين يراقب المكان بحذر حتى قال مشيراً بيده:

- لقد عاد أبي.

نهض المسن غريفن من مكانه لحظة دخول جيكوب فسأله:

- هل أضعناهم؟

أوما جيكوب إيجاباً ثم قال:

- في الوقت الحالي على الأقل، لكن علينا مواصلة المسير، لا يمكننا البقاء هنا طويلاً، أولئك المرتزقة سيسعون خلف الأطفال بكل تأكيد.

نظر جيكوب لداخل الكهف، نساء واطفال، والقليل من الرجال، جلسوا هناك بوجوه واجمة، عندها صلى الصياد شاكرراً لأنه تمكن من الوصول باللحظة المناسبة لإنقاذ بعض أهالي

القرية، حتى لو كان العدد قليلاً فهو أفضل من لا شيء.

بمكان ما عند أطراف الغابة السوداء، تحرك أحد المرتزقة ناحية قائدهم، شخص عريض الوجه، ذو بشرة حنطية حمرة، ولحية غير مشذبة، مفتول العضلات، يرتدي قميصاً بلا

أكمام، يظهر وشما على شكل ذئب بطول ساعده.

- أيها الزعيم، اعتقد بأننا قد أضعناهم.
- بصق ذلك الرجل الضخم بجانب موطئ قدميه ثم قال:
- ابحث عنهم جيداً، معهم الكثير من الأطفال لا يمكن أن يكونوا قد ابتعدوا كثيراً.
- ماذا عن القرية أيها الزعيم! لن تذهب لسرقة مقتنياتهم؟
- حرق ذلك الرجل ناحية قرية إيستوود ثم قال:
- انس امر القرية، تفوح منها رائحة الموت على أي حال، كما أنني قد لمحت بعض الحراس الملكيين، لا أربح بأن نصادفهم الآن.
- في القرية، تحرك الملك ثيودور ناحية حصانه، امتطاه وجلس على السرج محققاً بالمكان من حوله، ثم سحب اللجام قائلاً لـ يوجين:
- سنصطحب العمدة وابنه معنا، قم بحرق كل الجثث هنا، ولا تبق على أي شيء يا يوجين، هل فهمت؟
- كما تأمر جلالتك.
- انحنى يوجين لملكه والحسرة تلتهم قلبه، ثم استقام وأشار لرجالته بأن ينفذوا الأمر في الحال، فأمسك الفرسان بالشعلات وأضرموا النار بالجثث والمنازل، زحفت السنة اللهب وبدأت بالإتيان على كل شيء بطريقها.
- في هذا الوقت وفوق التلة القريبة استقرت عربة جاسبر، وقف الاثنان هناك غير مصدقين فظاعة المنظر، ولا هول الفاجعة حتى وصلت إليهم رائحة الجثث التي امتزجت بالدخان والهواء، وكان على رأسه الطير راقب جيريمي بصمت ما حل بالقرية، بينما ألفت انتباه جاسبر الحضور البارز للحراس الملكيين، نظر إليهم من بعيد قبل أن يلمح هيئة الملك ثيودور، وبنبرة جادة قال:
- إلى أي مدى يمكنك حفظ الأسرار يا فتى؟

التفت إليه جيريمي محتاراً:

- ما الذي تريد قوله؟

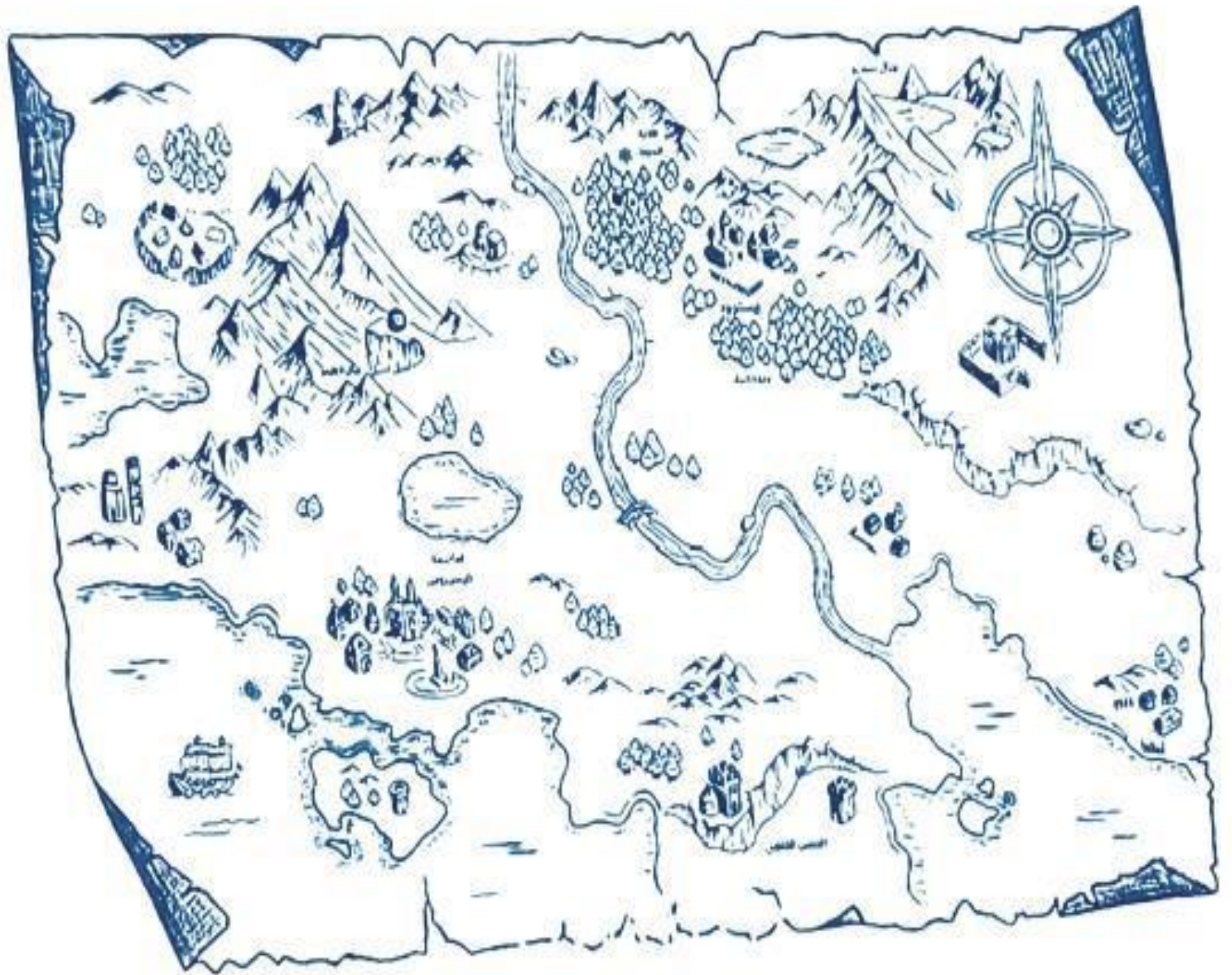
- علينا مغادرة المكان قبل أن يرانا أحد، سأخبرك في الطريق، الآن فقط تذكرت اين رأيت ذلك الرجل.

احرق فرسان الملك القرية بأكملها، ولم يبقوا على شيء من شأنه أن يشير إلى حقيقة ما حدث هناك، التهمت النيران المنازل تباعاً، ومن بينها منزل الكساندر، زحفت السنة اللهب لغرفه

الواحدة بعد الأخرى، ذاب زجاج نوافذه، وتطايرت صفحات كتب مكتبته فتبخرة بالهواء، أتت النيران على كل شيء بقرية إيستوود، وأخذت بذلك ذكرياتها ومن عاشوا بها إلى ما لا رجعة.



عندما حمل كولين البوصلة للمرة الأولى ظن بانها ساعة جيب معطلة،
واعتقد بأن والده يريد منه محاولة إصلاحها، فهو يحب العبث بالمعدات
المعطلة وفهم طريقة عملها، تلك كانت
إحدى الخصال التي ورثها عن والده الكساندر.



الفصل (6):

ابنة الشمس.

في حديقة القصر الخلفية، وعلى طاولة أسفل السقيفة الخشبية، والتي تتنافس سيقان النباتات المتسلقة صعوداً على أعمدتها البيضاء، جلس الاثنان يحتسيان الشاي، أضافت

الخادمة بعض شرائح الليمون الأصفر في فنجان كل واحد منهما، ووضعت طبقتين بهما قطعان من كعكة الفراولة بالكريمة أمامهما، ثم انحنت تحية لهما وعادت لتتركهما لوحدهما. الشمس

لا تزال في كبد السماء الزرقاء، والنسيم الصيفي العليل يلفح وجهيهما بكل لطافة، فانحنى الشاب باللباس العسكري، لتلتصق شاراته المثبتة على صدره، وهو يحرك الشوكة بطبقه عبثاً

ليقول:

- عيني لم تر فتاة بجمالك من قبل يا آنستي.

كانت قد أخرجت الشوكة لتوها من فمها، وقد ابتلعت لقمة من كعكة الفراولة، فحدقت ابنة الستة عشر ربيعاً به بوجنتين متوردتين دون أن تقول أي شيء بالمقابل، فأضاف قائلاً:

- لقد سمعت عنك الكثير، لكن لا شيء مما سمعته يقارن بما أراه الآن.

ثم قام بسحب يدها النحيلة، وقبلها ليقول:

- انا محظوظ لأحظى بشرف لقائك والجلوس معك هنا.

سحبت يدها وابتسمت بسداجة، ثم اقتربت أكثر منه، أدارت عينيها الخضراوين يميناً وشمالاً، ونزلت خصلة من شعرها الفضي على بشرتها القطنية قبل أن تهمس له بشيء ما.

في الأعلى وبشرفة بالطابق الثاني تحديداً، نظرت إليهما الأخت الوسطى ليندا باستخدام منظار ذهبي صغير، بينما سألتها والدتها بتوتر:

- أيمكنك معرفة ما يحصل بينهما؟

- اهدهي يا أماه، لا يمكنني التركيز هكذا.
- بينما هزت الأخت الكبرى نانسي طفلها بين ذراعيها، لتقول ساخرة وكأنها على علم بما سيحصل تاليا:
- في أي لحظة الآن.
- اتسعت عينا الشاب في الأسفل، وتدلّى فكه كالأبله، فأوما لها موافقاً، عندها ابتسمت الفتاة ومدت يدها لترفع فكه وتغلق له فمه، ثم سحبت الطبق من أمامه بحماسة لتقول:
- شكراً لك، اعتقدت بانني سأموت من الجوع.
- ثم شرعت تأكل قطعة الكعك الخاصة به بشراهة بعد أن فرغت من خاصتها، فنظر إليها بإحباط، هل كانت تستمع إليه حتى؟ أم أنها كانت مهتمة بالحلوى فقط؟ عندها قالت بغم ممتلئ:
- حرمتني والدتي من الطعام من أجل هذا اللقاء، كانت تخشى أن يزيد وزني.
- في الأعلى تنهدت أختها ووضعت المنظار على إطار الشرفة، فانترعته والدتها من فورها وراحت تراقب الثنائي في الأسفل، بينما قالت ليندا بياس:
- يبدو بأن الأمر قد انتهى قبل أن يبدأ حتى.
- فضحكت الأخت الكبرى نانسي وهي تداعب ابنها الصغير بين ذراعيها، ثم قالت وقد حدث ما توقعته تماماً:
- أخبرتكما بأنه لا فائدة ترجى من محاولاتكما، خمس دقائق فقط هو ما يحتاجه الرجال بالعادة ليعلموا بأن إليفور مجرد وجه جميل ولا أكثر من ذلك.
- وهنا قطعت حديثهم إحدى الخادמות، التي انحنت لتقول بتوتر ملحوظ:

- سيدتي، لقد وصل الكونت وهو يسأل عنك الآن.
- ابعدت الكونتيسة مار غريت المنظار والتفتت إلى الخادمة، قضمت أظافرها باضطراب، ثم رمت المنظار بحضن ابنتها ليندا لتتوجه للداخل وهي تحدث نفسها:
- يا إلهي، إن عرف بأن الينور قد أفسدت الأمر فسيقرب المكان على رؤوسنا جميعاً.
- توجه الكونت آردين إلى غرفة المكتب، جلس على كرسيه بوجه عابس، ومد يده نحو كومة الرسائل الخاصة به، فوقف الخادم بجانبه وهو يحمل إبريق الشاي، وقبل أن يسكب له شيئاً منه في فنجان، أشار له الكونت بيده حتى يتوقف ويتركه لوحده، ففعل ذلك باللحظة التي وصلت بها زوجته الكونتيسة مار غريت، ابتلعت ريقها وتقدمت على مهل حتى أصبحت أمام طاولة المكتب، بينما مرر هو سكين القطع الخاصة بالرسائل وفتح المغلف الأول، ثم سأل من دون أن يكلف نفسه عناء النظر إليها:
- هل افسدت الأمر مجدداً؟
- نزلت قطرة عرق من جبينها، فضحكت بارتباك لتجيب:
- مازال الاثنان هناك بالحديقة، ربما هما ...
- لم تكمل كلامها حتى رمقها بعينيها الحادثتين، كان غاضباً أكثر مما تتصور، فتراجعت خطوة واحدة لتقول:
- دعني أذهب لتفقدهما.
- وبصورة غير متوقعة، أسند الكونت ظهره على الكرسي، وارتخت ملامح وجهه ليقول بصوت أكثر هدوءاً:
- من الأفضل لها ألا تضيع فرصتها مع هنري، وإلا سأحطم لها رأسها الفارغ.
- بالتأكيد، سأحرص على أن تفهم الينور ذلك.

ثم تراجع مغادرة بذلك الغرفة، أما هو فقد عاد ليوجه تركيزه على الرسائل أمامه، فرد الأوراق المطوية بعد أن أخرجها من المظروف، أمسكها بين يديه، وشرع يقرأ باهتمام، وبعد

دقائق وضعها جانباً ليسحب الرسالة التالية، هذه المرة أثار اهتمامه الختم الشمعي، تلك الدائرة والشعار المميز بداخلها، هذا ختم لم يره منذ مدة طويلة، فتح المظروف، وأخذ يقرأ دون

توقف حتى وصل لذلك السطر:

"عندي دليل على أن الملك ثيودور قد تستر على مجزرة إيستوود قبل أحد عشر عاماً"

اتسعت عينا أردنين بلهفة، وأكمل قراءة ما تلا ذلك:

"انتبه يا أردنين، إنه يعلم"

طوى أردنين الرسالة، وقربها من الشمعدان على مكتبه، فاحترق طرفها ثم زحفت النار على مهل لبقية الورقة وهو لا يزال ممسكاً بها، حدق باللهب المتصاعد الذي انعكس على سطحي

حدقتيه الرماديتين وهو يحاول تخيل ما جرى في إيستوود، وقبل أن تصل النار ليده قام برمي ما تبقى من الرسالة بموقد المدفأة، راقبها وهي تتحول لرماد وتختلط مع بقايا الخشب

المتفحم هناك في الموقد المطفأ، وقبل أن يعود لكرسيه سمع صوت إحدى الخادومات والتي كانت تحاول إيقاف الشاب هنري:

- أرجوك سيدي دعني أبلغ الكونت أولاً ...

غادر الكونت أردنين مكتبه، ونظر إلى الفوضى في الممر خارجاً، إحدى الخادومات كانت تقف بطريق هنري المبلل بالكامل محاولة إيقافه، بينما كانت هناك خادمة أخرى تحمل منشفة

تحاول إحاطة جسد إينور بها، والتي كانت في وضع هنري نفسه، ومن بعيد لحقت بهم الكونتيسة تتذمر من الوضع دون أن يستمع إليها أحد.

- لورد أردنين.

نطق بها هنري بأسلوب رسمي، ثم قدم تحية عسكرية للكونت، بعدها اعتدل في وقفته مضيفاً:

- اعذرنى يا سيدي على فظاظتي، لكن علي ان أغادر الآن.

نظر إليه الكونت بملامح مرتخية، ثم ابتسم فانحنى شارباً الطويلان ليقول باحترام:

- أيمكنني أن أعرف ما الذي حصل يا بني، لم أنتما مبلان هكذا؟

ازدردت الكونتيسة مارغريت لعابها وهي تنظر إلى ابنتها، فقبل قليل عندما عادت لتفقد الوضع، كان هنري يحاول جاهداً تناسي ما حدث اسفل السقيفة وقت تناول الكعك، وقرر

القيام بجولة بالحديقة برفقة إينور، ظل يتحدث عن نفسه وكيف تمكن من الانضمام لصفوف الجيش بسن صغيرة، وما إن أصبحا بقرب البحيرة الصناعية بمنتصف الحديقة حتى جذب

انتباه الفتاة شيء ما على سطحها، فجرت مسرعة ناحيتها وهي تحمل طرفي فستانها تصيح بهلع:

- يا إلهي ستغرق.

صرخت مشيرة إلى ذلك الشيء بمياه البركة، فلاحق بها هنري محاولاً إيقافها، وفي لحظة غير متوقعة قفزت إينور للبحيرة جارة معها الشاب المسكين، غاصا عميقاً قبل أن يعودا

للسطح ثانية، أخرج هو رأسه محاولاً التقاط أنفاسه، فخرجت هي بجانبه، وهزت رأسها كما تفعل الكلاب المبتلة، نفضت الماء فتطاير مبللاً وجهه، عندها صرخ بها كردة فعل:

- هل جننت؟

أما هي فرفعت كفيها أمامه، وهي تريه ما التقطته لتقول مُبررة:

- كنت احاول إنقاذها من الغرق.

- انت تمزحين معي ! إنها .. بطة ...

قالها بحسرة وهو ينظر لفرخ بطة صغير، حملته إينور براحة يديها، فاصطكت اسنانه غضباً يعقل بانها لا تعلم بأن البط يمكنه العوم فوق الماء عندها اقتربت الكونتيسة منهما بهلع

وطلبت من الخادمت إحصار ما يمكن أن يستخدمه هذان الاثنان لتجفيف نفسيهما، ثم قالت لـ هنري الذي لا يزال مبللاً موضحة:

- اعتذر منك، قمنا بإحصار البطة وصغارها بالأمس فقط، اردت ان اجهز المكان لاستقبالك ولم يخطر على فكري بان إينور لم تر بطة بحياتها من قبل.

أخرجت إينور نفسها من البحيرة، بعد أن قفزت كولد صغير، تربعت أرضاً ووضعفت فرخ البطة بجانبها، ثم أخذت تعتصر طرف فستانها قائلة:

- جيد انني وصلت في الوقت المناسب لإنقاذه، لماذا قد ترمين طائراً في الماء يا أمي؟

نظر إليها الاثنان بإحباط، فقالت متعجبة:

- ما خطبكما؟ اقلت شيئاً خاطئاً؟

بعد أن سمع الكونت ما حدث، اعتذر بشدة من هنري، ثم طلب من ابنته بأن تفعل المثل بعد أن وضح لها خطأها، لكنها وقفت أمامه بوجه حائر لتقول:

- إن كانت هنالك طيور يمكنها السباحة، أيعني هذا بأنه توجد أسماك يمكنها الطيران؟

ضحكت ليندا دون توقف طوال الطريق إلى السوق، وهي تستذكر وجه والدها الدوق عندما كان يؤنب أختها إينور، فعبست الأخيرة بوجهها لتقول:

- هذا يكفي يا اختاه، سيعلق فكك من كثرة الضحك.

مسحت ليندا دموعها بظهر يدها وهي تحاول كتم ضحكاتهما لتجيب:

- أنا آسفة يا إيلي، لكنك قد أبدعت هذه المرة، حتى أبي لم يجد الكلمات المناسبة ليقولها.

تنهدت إينور لتقول محبطة:

- هل أنا غبية لتلك الدرجة يا ليندا؟

توقفت ليندا أخيراً عن الضحك، وابتسمت وهي تحقّق بالطريق المزدحمة أمامها مجيبة اختها:

- لست غبية يا إيلي، لكنك تتصرفين بعفوية دون التفكير بالعواقب و

...

وقبل أن تدرك كانت إينور قد اختفت من جانبها، التفتت ليندا من حولها بهلع، كان هنالك العديد من الناس يحومون بالأرجاء، ومن السهل أن تضيع اختها هنا، بحثت بعينها عنها،

فلمحتها أخيراً تقف عند كشك صغير يبيع الفطائر، ما كان منها إلا أن تبتسم مجدداً وهي تنظر إلى اختها تقف أمام الكشك كطفلة صغيرة وقد شدتها رائحة الفطائر الساخنة، فقالت محدثة نفسها:

- لا تعلمين إلى أي درجة أحسبك يا اختاه.

ثم نادت عليها وهي تجري نحوها إلى حيث كان الكشك.

- إيلي لا يمكنك أن تختفي هكذا دون أن تقولي شيئاً.

كانت إينور مسحورة بمنظر الفطائر الشهية لدرجة لم تتمكن من سماع صوت اختها، فوقفت ليندا بجانبها لتقول بتهكم:

- يا إلهي ألم تشبعي؟

هزت إينور رأسها وقد اتسعت حدقتا عينيها الخضراوين، فنظرت اختها ليندا لخصرها النحيل معلقة:

- لا أدري حتى كيف تتمتعين بخصر كهذا رغم شهيتك المفتوحة على الدوام، إلى أين يذهب الطعام تحديداً؟

قامت الأختان بشراء كيس كامل من تلك الفطائر، عجينة طرية وساخنة ذات سطح بني ولامع، تحوي بداخلها مزيجاً من الكاسترد ومربي توت العليق، انسابت الرائحة لداخل فتحات

انفها الصغير قبل أن تقضم القطعة الطرية بين يديها:
- إنها لذيذة عليك بتجربتها أيضاً.

قالت جملتها وهي تدفع بالكيس ليدي اختها، فرفضت الأخيرة مبررة:
- لا شكرا، سينفجر المشد أسفل ثوبي إن فعلت ذلك.
- انتِ تبالغين.

ضحكت الأختان وهما تسيران في منتصف الشارع بلا اكتراث، فلم تكن هنالك أي عربات أو خيول في هذا الجزء من المدينة، فالسوق القديمة عبارة عن شارع عريض، صفت ارضيته

بالحجارة بشكل هندسي بديع، وعلى الجانبين توزعت المحال التجارية القديمة، والكثير من المطاعم والحالات البسيطة، كان بإمكانهما استخدام العربة للذهاب إلى الجزء الراقى من

العاصمة، والذي يقصده النبلاء وأبنائهم في العادة، لكنهما تفضلان هذه السوق القديمة لإمكانية السير بحرية في هذه الأجواء الصافية بدل الجلوس داخل عربة صغيرة، كما أنهما ليستا

مضطرتين للتصرف كفتاتين أرستقراطيتين أمام الجميع.

- انظري يا إينور، إنه محل لبيع الحيوانات.

أشارت ليندا لأختها ناحية مكان يحوي بعض الأقفاص الخشبية، وبداخلها حيوانات مختلفة، قطط وكلاب، طيور بألوان غريبة، حتى أنها شاهدتا بعض السحالي الغريبة.

- ما هذا؟ أهو صغير تنين؟

سالت إينور فنظر إليها البائع الذي كان يكنس الأرض بحيرة، ثم أجاب مازحاً:

- نعم إنه كذلك، وسينفث النار بوجهك الآن يا أنسة.

ابتعدت إينور وجهها من الققص، فضحك البائع ليقول:

- فتاة غريبة، من سيصدق بوجود كائنات اسطورية كالتنانين.

- أيمكنك الجزم بأنها غير موجودة؟
- سألته بجدية ولا تزال تقف بعيدة عن قفص السحلية، فأجابها وهو يكنس الغبار ناحيتها واختها:
- إن لم ترغبا بشراء أي شيء فإخرجنا، لا وقت لدي لأضيعة بحوار غبي كهذا.
- سحبت ليندا شقيقتها من ذراعها لتقول غاضبة:
- لنخرج، هذا المكان سخيف على أي حال.
- بعد أن أصبحتا في الخارج، تدمرت ليندا بصوت عالي من طريقة كلام ذلك البائع، بينما استمعت إليها إلينور دون أن تقول شيئاً، وهنا تحديداً لفت انتباهها صوت غاضب لأحدهم في المحل المجاور، والذي كان حانة صغيرة، التفتت ناحيتها ثم شاهدت تلك الفتاة التي ركلها صاحب الحانة خارجاً، ورمى بعد ذلك بسطل خشبي بجانبها ليصرخ بها قائلاً:
- أتسمين هذا تنظيفاً؟ سنفتح الحانة بعد نصف ساعة ولا تزال الأوساخ تغطي الأرضيات من يوم أمس.
- ثم سار متخطياً الفتاة التي لا تزال على الأرض ليضيف:
- سأذهب لشراء بعض المستلزمات الضرورية، وعندما أعود أتوقع أن أرى الأرض تلمع، أكلامي واضح؟
- ابتعد صاحب الحانة، فرفعت الفتاة رأسها، كانت بشعر أشعث قصير كالأولاد، نحيلة ترتدي ملابس رثة، وعلى ظهر كف يدها حرق من نوع ما، سحبت السطل بإحدى يديها ثم نهضت من موقعها، كانت على وشك العودة للداخل عندما أوقفتها إلينور قائلة:
- مهلا .
- لكن اختها سحبتا جانبا لتقول هامسة:
- إيلي، ما الذي تفعلينه؟

التفتت تلك الفتاة ناحية الأختين، فجرت إينور ناحيتها بعد أن حررت نفسها من قبضة أختها، ثم قدمت كيس الفطائر للفتاة وهي تقول:

- لا تزال ساخنة، أتريدين تذوقها؟

رمقتها الفتاة بنظرة غاضبة دون أن تقول شيئاً، فسحبت إينور ذراعها ووضعت كيس الفطائر بيدها، ثم ابتعدت لتعود إلى جانب أختها التي قالت بصوت خافت وهي تحرق بالحرق

على يد الفتاة، والذي يشير إلى مالكتها:

- تعلمين بأنها مجرد عبدة، أليس كذلك؟

أومأت إينور رأسها ولم تفارق عيناها الحانة أمامها، أما تلك الفتاة فأنزلت رأسها، وأخذت نظرة خاطفة للكيس بيدها بعد أن شدتها رائحة الفطائر الطازجة، ثم عادت لداخل الحانة

بصمت، فقالت إينور:

- أخبرتني نانسي ذات مرة بأنه فيما مضى كانت تجارة العبيد شيئاً غير قانوني.

أومأت ليندا لتقول بنبرة بائسة:

- تجارة العبيد باسم القانون، كان هذا أحد الأمور التي دفعناها ثمناً مقابل إخماد المظاهرات التي حدثت منذ أكثر من عشرة أعوام.

عادت الأختان بعد ذلك للقصر، وعند المدخل الرئيسي صادفتا أختها الكبرى نانسي ومعها إحدى الخادمت تحمل ابنها الصغير، حيثهما ثم قالت وهي بطريقها ناحية العربية:

- علي ان اعود للمنزل الآن، لا تثيرا المشاكل فوالدنا غاضب بما فيه الكفاية بسبب ما حدث مع هنري.

- بالتأكيد.

أجابتها ليندا، بينما تجاوزتها إينور لتخطو للداخل وكأنها لم تسمعها، فالتفتت نانسي ناحية ليندا لتسال:

- أهي غاضبة؟

هزت ليندا رأسها نافية ثم أجابت:

- اعتقد بأنها متعبة فقط، ستبتهج بعد أن تتناول العشاء.

ابتسمت نانسي لتعلق:

- بالتأكيد ستفعل.

صمتت قليلاً ثم قالت بوجه جاد:

- تمكن ابي من إقناع هنري بالقدوم مجدداً، سنتناول العشاء معاً هذه المرة وبرفقة الجميع، حتى بيتر، والتر، وأرثر، وبالتأكيد زوجي ويليام سيحضر، أخبريها بذلك، هذه المرة لن يسامحها إن أخطأت.

تنهدت ليندا بانزعاج ثم قالت:

- ابي يبذل جهده هذه المرة.

- بالتأكيد سيفعل، هنري هو ابن الماركيز كريستفور والكر، سيفعل والدنا المستحيل ليربط هذين الاثنيين معاً، كوني شاكراً بانك تملكين خطيباً بالفعل وإلا كنت ستكونين الضحية هنا.

انقضى هذا اليوم وحل اليوم التالي، كان على الينور الاستعداد جيداً هذه المرة، ولم تنفك والدتها عن إلقاء النصائح عليها طوال اليوم، لدرجة شعرت الفتاة بان رأسها سينفجر باي

لحظة، ومع هذا فضلت الجلوس والاستماع لنصائح أمها على مواجهة غضب والدها الكونت، وبينما كانت الكونتيسة لا تزال تتحدث بلا انقطاع، أنت ليندا، طرقت الباب وسمحت لنفسها

بالدخول عنوة، ثم قالت:

- عن إذنك يا أماه، لكن علينا أن نذهب للتسوق، فأختي بحاجة لفستان جديد من اجل العشاء مع هنري.

تنهدت مارغريت بانزعاج، لكنها تعلم بأن ابنتها محقة، على الينور أن تبدو بأبهى حلة أمام ضيفهم، وخاصة بانه سيأتي هذه المرة برفقة والديه، فسمحت لهما بالذهاب:

- لا تتأخرا كثيراً.

- بالتأكيد، فستان واحد فقط لن نطيل في التسوق.
سحبت ليندا اختها من يدها، وودعت والدتهما، وبينما كانتا تسيران في الممر المؤدي للدرج الرئيسي قالت إينور:
- لكنني لا احتاج لفستان جديد، لدي الكثير بخزانتني، بعض منها لم أرته ولا مرة واحدة.
- غمزت لها أختها، ثم وضعت اصبع سبابتها على شفثيها لتقول بصوت خافت:
- شش ... أنا أعلم، الا ترغيبين بأخذ استراحة من مواعظ والدتي؟
ابتسمت إينور بعفوية، ثم أومأت براسها موافقة، فلا ضير من الابتعاد عن التوتر بهذا القصر لبعض الوقت، عندها جرت الأختان لتخرجا من القصر، ركبتا العربة وطلبتا من السائس
- ان يوصلهما لبداية السوق القديمة وينزلهما هناك، لكن وبينما كانتا تخبراناه بالوجهة المحددة ظهر اخوهما بيتر، الذي وضع يده على باب العربة قبل ان تنطلق ليقول:
- السوق القديمة ! هل يعلم والدي بوجهتكما؟
نظرنا إليه بارتباك، ثم استجمعت ليندا قوتها لتسال بحزم:
- ما الذي تريده يا بيتر؟
ابتسم بخبث، ثم أمال رأسه ليقول:
- ان تأخذاني معكما بالطبع.
- ابتسمت الأختان بارتياح، وأشارتا له بموافقتهما، عندها وثب لداخل العربة بكل رشاقة، لتتحرك الأحصنة بضربة من لجام السائس، وبعد عدة دقائق كان الثلاثة قد وصلوا لوجهتهم،
انفصل بيتر عن اختيه بعد أن انفقوا على الاجتماع في البقعة نفسها بعد ساعة من الآن.

سارت ليندا وهي تتحدث بلا توقف، متذمرة من الوضع برمته، بينما سرحت اختها وهي تنظر لرجل بجانبها يقوم بتعليق إعلان ما على اللوح الخشبي، كانت إينور هادئة على غير

العادة، عندها قالت الكبرى:

- انت لم تخبري احدا برايك إلى الآن يا إيلي، الا باس لديك من بالارتباط بـ هنري؟

أزاحت إينور خصلة من شعرها الفضي، ونظرت إلى الجانب البعيد من الشارع ثم قالت:

- هنري شاب جيد، لكن..

توقفت الكلمات بحلقها عند ذلك الحد، وعندما أرادت أن تكمل أوقفقتها صيحات الناس من بعيد، ركزت نظرها جيداً فرأت أنهم قد تجمعوا في تقاطع كبير بمنتصف السوق، فقالت ليندا

وقد آثار ضجيجهم اهتمامها:

- اتساءل ما الذي يحدث هناك؟

توجهت الشقيقتان إلى حيث تجمع الناس في ذلك التقاطع، كما فعل مثلهما الكثير من المتسوقين، حاولت إينور رفع نفسها بالوقوف على أطراف أصابعها، مع هذا لم تتمكن من رؤية

شيء، فسالت امرأة عجوزا تقف بجانبها:

- أتعلمين ما الذي يحدث هنا يا خالة؟

اجابتها العجوز من فورها:

- إنه أحد المالكين يفرض عقابه على عبد لديه.

- ما الذي يعنيه هذا؟

سالت إينور بغير فهم، فهي لم تشهد شيئاً كهذا من قبل، فأجابتها العجوز بوجه عابس:

- ملاك العبيد غالباً ما يقومون بعقابهم علناً في الشوارع حتى يكونوا عبرة لغيرهم.

اندفعت ليندا لتقول معترضة:

- لا يمكنهم فعل ذلك، ألا تستطيع إيقافهم؟

- القانون في صفهم يا صغيرتي، أخبريني ان كنت تملكين دجاجة وقررت قتلها وأكلها، فهل بإمكان أحد إيقافك؟

اخرسها كلام العجوز، فعادت لتتنظر ناحية التجمع امامها، وفجأة ومن بين تلك الجموع الغفيرة ظهر لهما بيتر، كان يجاهد ليخرج بنفسه سليماً من ذلك التجمع:

- اوه، انتما هنا!

سالته ليندا من فورها:

- هل رأيت ما يحصل بالمنتصف؟

- نعم إنه مالك الحانة التي كنت ذاهبا إليها، حظي سيئ بالفعل فلقد اغلق المكان وقرر أن يعاقب عبد ...

وقبل ان يكمل حديثه هزته إينور بفرع:

- لا تقل لي بأنها الفتاة ذات الشعر القصير.

صعق من ردة فعلها ورد عليها بارتباك:

- نعم إنها شقراء وذات شعر قصير بالفعل، قال بأنها سرقت بعض الطعام البارحة.

تصاعدت أنفاس إينور واخذت تنظر ناحية الجموع أمامها، أما بيتر فقد عدل من ثيابه التي تجعدت جراء هزات اخته واضاف قائلاً:

- حظها عاثر رغم انها ابنة الشمس.

كان معظم العبيد في تلك الفترة من أبناء الليل، أو ما يطلق عليهم أيضاً بأبناء القمر، فهم في الغالب أطفال تم سرقتهم من القرى النائية والتي ينعدم فيها التعليم بالغالب، لهذا كان

يعتقد بأن معظم مواليدهم من ابناء الليل، أما المتعلمون وأبناء الطبقات النبيلة فهم من كانوا يحرصون كل الحرص على إنجاب أبناء الشمس، لا يتعلق الأمر على يوم الولادة كما اعتقد أهل القرى، بل أيضاً بالوقت الذي تشكل به الجنين، فإن كان قد تكون في الأشهر الأولى للأيام المشرقة على سبيل المثال، فإن ولادته ستكون بوقت ما بمنتصف الليل الطويل، عندها

سيحظى بصفات ابن الشمس على الرغم من موعد ولادته، وهذا تحديداً ما غفل عنه أهل القرى الفقيرة باعتقاد حكماء تلك الفترة.

- لنذهب، فلا يوجد ما يمكننا عمله هنا.

هذا ما اقترحه بيتر قبل أن يمضي مبتعداً عن الحشود، سار معتقداً بأن اختيه ستلحقان به، لكنه توقف بعد سيره لعدة خطوات، التفت فشاهد ليندا لا تزال في موضعها، فقال:

- ما زلتما هناك ...

توقف فجأة وقد لاحظ اختفاء إيلينور:

- اين هي إيلي؟

رفعت ليندا رأسها، وتلفتت من حولها باحثة عن اختها:

- كانت هنا بقربي تماماً !

في منتصف التقاطع، جلست تلك الفتاة على ركبتها مطأطئة رأسها، فانسدلت غرتها مخفية عينيها الغائرتين، بينما كان صاحب الحانة يحوم خلفها وهو يحمل سوطاً بيده، وقف متفاخراً وهو يقول :

- ناكرة الجميل هذه قامت بسرقة الطعام البارحة، وكأنها تخبرني بأن ما أقدمه لها غير كاف.

ثم مد يده وقام بتمزيق ملابسها من الخلف كاشفاً الجزء العلوي من ظهرها، فقامت هي من فورها بضم ساعديها ناحية صدرها حتى لا يقع ما تبقى من ملابسها أرضاً، عندها ضرب

بالسوط عند موضع قدميه كمحاولة للإحماء قبل أن يبدأ:

- مئة جلدة ستفي بالعرض.

قالها باسم بصوت جهوري قبل أن يرفع يده ويلوح عاليا بالهواء،
حرك يده الممسكة بالسوط للأمام ناحيتها، لكنها توقفت بمنتصف
الطريق فجأة، وكان طرف السوط قد علق بشيء
ما، سمع صوت شهقات الناس من حوله، تخللتها بعض الهمسات،
عندها استدار خلفه، فتفاجأ برؤية تلك الفتاة التي تشبه الدمية بشكلها،
تنظر إليه بعينين ملتهبتين، وهي تمسك بقوة
بطرف سوطه، فصرخ بها:

- ما الذي تفعلينه؟ اتركي السوط وإلا جلدتك معها.

كان بيتر وليندا قد تمكنا من الوصول إلى الصفوف الأمامية عند تلك
النقطة، فوقاً مشدوهين ينظران إلى اختهما ولم يكادا يتعرفان عليها مع
تلك النظرات الغاضبة، فصرخت ليندا
بها:

- إيلي هل جننت؟ أفلتي السوط.

صراخ اختها زادها عزيمة وإصراراً فقط، فسحبت السوط ناحيتها بقوة
فاجأت بها الجميع، اندفع معها صاحب الحانة للأمام وسقط أرضاً، لكنه
ما لبث أن عاد ليثب على إحدى قدميه
واقفاً وقد انفجر غاضباً الآن، أراد الاندفاع والهجوم ناحية إيلينور،
فتلقى ضربة بحجر صغير على رأسه، التف ككلب مسعور محاولاً
تحديد مصدر الهجوم، فصاح به بيتر الذي التقط حجراً
آخر:

- إياك وأن تلمسها أيها القذر.

استدار صاحب الحانة بجسده ناحية بيتر، فصرخت ليندا بأختها:

- الآن يا إيلي، اهرب.

وبدل أن تهرب باتجاه أختها، اندفعت إينور ناحية الفتاة بسرعة فائقة، أمسكتها من يدها وجرت معها للأمام لتختلطا بين الحشود الغفيرة، انتبه صاحب الحانة لهروب الفتاتين،

فترك بيتر وجرى مهرولاً ناحيتهما، اراد الدخول بين المتفرجين كما فعلتا، لكن تم صدّه، أغلق الناس الفراغات بينهم وهتفوا مشجعين لـ إينور حتى تهرب مع تلك الفتاة، وفي وسط تلك

اللحظة هربت ليندا للخلف، بينما استدار بيتر شمالاً، فوجد صاحب الحانة نفسه مشتتاً بين ثلاث جهات مختلفة، عندها أطلق صرخة يائسة، ثم تربع ارضاً وهو يشتم متوعداً بأنه لن يمرر الأمر بتلك السهولة.

جرت إينور كالمجنونة وهي ممسكة بكل قوتها بيد الفتاة، تطاير الغبار أسفل قدميها كما لو كانت تجرف الأرض تحتها، قطعت مسافة لا بأس بها دون أن تعلم، عندها سمعت صوت الفتاة خلفها تقول لها لاهثة:

- هذا يكفي ...

وما إن توقفت حتى خرت تلك الفتاة أرضاً من شدة التعب، بينما تلفتت إينور حولها كالمسوعة لتسال بأنفاس متصاعدة:

- هل اضعناه؟

أومأت تلك الفتاة إيجاباً وهي تحاول التقاط أنفاسها، فقفزت إينور مهللة من شدة الفرح، لكنها ما لبثت أن عادت لصوابها، نظرت حولها بعينين متسعيتين، ثم فركت مؤخرة رأسها لتقول للفتاة بابتسامة محرجة:

- اعتقد بانني قد أضعت الطريق، لا أدري إن كان هذا الوقت المناسب لقول شيء كهذا، لكنني لست جيدة بتحديد الاتجاهات.

كان أخوها قد وصلاً منذ فترة إلى موضع العربية، ظلاً يراقبان المكان بتوتر شديد:

- أعتقدين بأنه قد أمسك بها؟

هزت ليندا رأسها معترضة وهي تقول:

- مستحيل، رأيت بنفسك كم كانت سريعة بالجري.

ثم أضافت مازحة:

الآن فقط بت اعرف إلى اين يذهب الطعام الذي تتناوله.

عاد بيتر ليراقب مدخل السوق بتوجس، وعدة أفكار بدأت تحوم برأسه، ما الذي سيفعلانه لو لم تظهر اختهما الآن؟ وعندها باننت لهما من بعيد، لوحت بسعادة وقد تمكنت أخيراً من

إيجاد نقطة الالتقاء التي اتفقوا عليها، أو بالأحرى كانت تلك الفتاة هي من دلتهما على الطريق بعد أن وصفت لها المكان.

- بيتر ... ليندا ...

- إيلي، جيد أنك بخير.

هزت إينور رأسها فرحة، ثم قالت:

- لنبتعد من هنا قبل أن نجدنا صاحب الحالة.

صعد الثلاثة إلى العربة، بينما وقفت تلك الفتاة حافية القدمين وبثياب ممزقة تنظر إلى السوق بوجه متعب، حتى انتبهت ليد إينور الممتدة ناحيتها:

- هيا، ستذهبين معنا.

كانت مترددة، وخاصة بعد أن لاحظت مدى فخامة العربة، فمدت ليندا يدها هي الأخرى ناحيتها:

- لا بأس، ستكونين بأمان معنا.

وعلى مهل صعدت للعربة، ما إن جلست حتى وضع بيتر سترته عليها ساترا ظهرها المكشوف دون ان يقول شيئاً من شأنه أن يشعرها بالحر، وهكذا مضت العربة بطريق العودة

للقصر، وخلالها تناقش الإخوة الثلاثة فيما عليهم قوله لدى وصولهم، بينما جلست تلك الفتاة بهدوء تراقب الطريق من خلال النافذة، وقبل وصولهم بقليل نطقت مقاطعة بذلك نقاشهم:

- يكفي ما فعلتموه حتى الآن، لا اريد ان اسبب لكم المزيد من المشاكل.

- أتملكين حتى مكاناً للذهاب إليه؟

سالتها ليندا، فأزلت الفتاة رأسها دون ان تملك أي إجابة، فقالت إينور:

- ما رأيك لو تقيمين معنا.

اعترض بيتر قائلاً:

- لن يكون الأمر بتلك السهولة، ما الذي سيقوله أبي؟ وخاصة إن عرف بما فعلناه.

ثم أشار لأخته بعينيها ناحية الومس على يد الفتاة، فلا يمكنهم إخفاء حقيقة كونها عبدة، وهي الآن عبدة هاربة أيضاً، وهنا اعترضت إينور لتقترح بصوت عال:

- سأخبره بانني اارغب تعيين مرافقة لي.

ثم سكتت وهي تتفحص ردة فعل أخويها، وعندما لم تجد الرد قالت بنبرة مشككة:

- لن يعترض على ذلك، الست محقة؟

ربت ليندا ذراعيها، وأسندت ظهرها على الكرسي، قلبت الفكرة قليلاً براسها ثم قالت:

- ربما ينجح ذلك، لكن دعيني أتولى الأمر، وبدل ابي، سنخبر أمي، لكن قبل كل شيء.

وتزامنا مع كلامها نظرت ليندا إلى يد الفتاة، ثم قالت لها:

- علينا ان نمحو أثر مالكك السابق.

وصل الأربعة إلى القصر، وبدل الدخول توجهوا إلى إسطنبول الخيول، تأكد بيتر من خلو المكان أولاً ثم أشار للبقية حتى يلحقوا به، بحث بين المعدات لبعض الوقت، بينما قصدت ليندا

غرفة الخادومات، أحضرت بعض الملابس النظيفة، وعند عودتها كان هو قد عثر على الغرض المطلوب، أخرج العصا الحديدية ذات الطرف المنحني، ونظر ناحية الفتاة ليقول:

- حسنا رأيت القائم على الإسطنبول وهو يستخدمها لوسم الخيول، سيؤلمك ذلك.

ازدرت الفتاة لعابها وهي تنظر إلى العصا بيده، ربما كان هذا طريق خلاصها بعد كل شيء، هذا ما فكرت به قبل أن تأخذ شهيقاً عميقاً ثم تومئ له برأسها بثقة، وبعد دقائق قليلة،

دوى صراخها عالياً، ووصل صدها للحديقة الخلفية، حيث كانت الكونتيسة مارغريت تستريح مستلقية على الكرسي أسفل السقيفة، وتضع شريحتي خيار على عينيها، فأزالتها وبحثت

حولها، وعندما لم تر أي شيئاً غير اعتيادي عادت ووضعت شريحتي الخيار على عينيها، وعدلت من وضعية استلقائها على الكرسي محدثة نفسها:

- ما الذي يجب أن يفعل المرء للحصول على القليل من الراحة في هذا المكان؟

- أهذا كل ما يهملك؟

انتفض جسدها بالكامل لدى سماعها لصوته، فأزالت شريحتي الخيار ووضعتهما في فمها من فورها، ابتلعتهما، ثم جلست معتدلة:

- عزيزي انت هنا!

نظر إليها باحتقار شديد، ثم رمى برسالة لحجرها كانت تحمل ختماً ملكياً، فأمسكتها بسرعة عندها قال:

- إنها من سمو الأميرة هيلينا.

فتحت المظروف بتوتر وهي تقول:

- احدث شيء ما بالقصر؟

هو لم يجيبها، وانتظر منها أن تقرأ الرسالة أولاً، وبعد لحظات سألت:

- ما الذي يعنيه هذا؟

- لست متأكداً حتى الآن، في الوقت الحالي سأخبر والتر وبيتر حتى يستعدا.

وضعت ليندا يدها على فم الفتاة حتى لا تصدر صوتاً، كما أمسكتها إينور بقوة، فنهض بيتر ورمى بالعصا الحديدية جانباً ليقول وهو يمسح العرق من على جبينه:

- لقد تم الأمر.

أفلتت الأختان الفتاة، فأمسكت بيدها بشدة وهي تعض على أسنانها من شدة الألم، بينما امتلأ المكان برائحة الجلد المحترق، وبعد مضي عدة دقائق كان ألم الحرق قد خف بشكل

كبير، فقامت ليندا بلف يدها، ووضعت الملابس التي أحضرتها أمام الفتاة، ثم طلبت منها ارتدائها حتى تتمكن من تقديمها لوالدتهم بشكل لائق، انتظر بيتر خارجاً بينما كانت تبدل ثيابها،

وعندما خرجت قال وهو يرفع إبهامه لها:

- حظاً موفقاً.

ذهبت الفتاة برفقة ليندا لمقابلة الكونتيسة، أما إينور فعادت للإسطبل، جمعت الثياب الممزقة من على الأرض من أجل التخلص منها، حملتها بشكل كومة وسارت بها، عندها لاحظت

شيئاً ما سقط منها، استدارت ونظرت خلفها فالتفت ذلك الشيء لها، انحنت لالتقاطه، رفعت لمستوى نظرها، كان عقداً فضياً لم تر مثله من قبل، في الوقت نفسه دخل بيتر وانتبه لما بين يدي اخته فقال:

- عقداً!

أومأت برأسها لتقول:

- لابد ان يكون لها.
- نظر إليه بحيرة، ثم تلمسه بأصابعه ليقول متسائلاً:
- ألا ترين انه من الغريب أن تمتلك عبدة مثلها عقداً كهذا؟
- حدقت إلي نور بالعقد ثم قالت:
- علينا أن نتوقف عن وصفها بالعبدة.
- معك حق، كان علينا أن نسألها عن اسمها على الأقل.
- مضى بعض الوقت بينما كانت إلي نور تنتظر في غرفتها، فلقد تأخرت أختها ليندا كثيراً، مرت أكثر من ساعة على ذهابها برفقة الفتاة لمقابلة والدتهم، وعندما نفذ صبرها أخيراً وكانت على وشك الذهاب بنفسها لتفقد الوضع، فتح الباب واطلت ليندا براسها لتقول:
- لقد تم الأمر، فقد وافقت أمي.
- ابتهجت إلي نور وقفزت في موضعها فرحاً، ثم اندفعت لخارج غرفتها، بحثت بعينيها عن تلك الفتاة ولم تجدها، فسالت:
- اين هي الآن؟
- أرسلتها أمي لكبيرة الخدم، قالت بأنها بحاجة لتعلمها بضعة أمور قبل أن تسمح لها بأن تكون مرافقة لك.
- في نهاية ذلك الأسبوع حل موعد العشاء المنتظر، وصلت عربية الماركيز كريستوفر ويرافقه كل من زوجته الماركيزة باربرا، وابنه هنري، وخرج الكونت آردين بنفسه لاستقبالهم،
- تلا ذلك القليل من المحادثات الرسمية بين الطرفين، وبالتأكيد دار حديث طويل عن أوضاع المملكة بين الرجال، جلس الجميع بعد ذلك على طاولة الطعام، والتي امتلأت عن آخرها بما لذ وطاب.
- تفضل يا هنري، عليك بالجلوس بقرب إلي نور.

حنته الكونتيسة وهي تشير له ناحية الكرسي الفارغ بجانب ابنتها، ففعل ذلك متناسياً ما حدث في الموعد السابق، أما إينور فكانت هادئة بشكل رهيب، هي حتى لم تلتفت ناحيته،

في المقابل كان الجميع يترقب أي نوع من التفاعل بين الاثنين، حل صمت مربك، ونظرات متبادلة بين بقية أفراد الأسرتين، حتى كسر الكونت هذا الهدوء قائلاً:

- لورد كريستوفر، هل وصلك خطاب سمو الأميرة؟
- بالتأكيد.

مسد الكونت شاربة الطويل ليقول:

- ما رايك بفكرتها إذا؟

ابتسم الماركيز وهو ينظر إلى ابنه هنري قائلاً:

- تناقشت أنا وابني هنري في هذا الأمر طوال هذا الأسبوع، ونحن الاثنان نرى بأنها فكرة جيدة، فالمملكة بحاجة لشيء كهذا الآن، ولولا عمله لكان قبل بالمشاركة، ماذا عن ابنائك أيها الكونت؟

تبادل والتر وبيتر النظرات فيما بينهما، فما الذي يتحدث عنه الماركيز تحديداً؟ عندها ضحك الكونت والتفت إلى ولديه قائلاً:

- في الحقيقة لم تسنح لي الفرصة إلى الآن بإخبارهما، كما يفاجئني بأنهما لم يشاهدا النشرات المعلقة بالشوارع ...

انتشرت الملصقات بشوارع العاصمة، ووزعت الخطابات على الكثير من العائلات النبيلة، سمو الأميرة هيلينا ابنة الملك ثيودور تقوم بإنشاء أكاديمية للفرسان، هدفها تجنيد الدماء

الشابة وتأهيلهم لخدمة المملكة بعيداً عن السلك العسكري بغض النظر عن مستواهم الاجتماعي، بشرط اجتيازهم لاختبار القبول والذي ستشرف عليه بنفسها. بعد أن شرح الكونت آردين

الموضوع للجميع، اعترض ابنه والتر قائلاً:

- ستسمح الأميرة لعامة الشعب بالمشاركة! ما هذا الهراء؟ إذا ما فائدة الألقاب والمراتب؟

أسند ظهره للكرسي ليضيف بوقاحة، ودون أن يضع اعتباراً للضيوف أمامه:

- لن أشارك بمهزلة كهذه.

تمالك الكونت نفسه حتى لا ينفجر الآن أمام الضيوف، فقال :

- ههه، ربما علينا الجلوس والحديث بهذا الشأن لاحقاً، فسبب اجتماعيا اليوم هو الاحتفال بهذا الثنائي الرائع.

قالها ببهجة مصطنعة، فقد كان يلقي بنظرات حارقة ناحية ابنته إينور وكله أمل ألا تفسد الأمر الآن، فأنزلت رأسها حتى لا تلتقي أعينهما، عندها ابتسم هنري وهو ينظر ناحيتها قائلاً:

- انا سعيد لأنني احض ...

قاطعت إينور حديثه، وهي تشد بقبضتيها على فستانها الحريري لتقول:
هنري ...

توجهت أنظار الجميع إليها وقد تغير الجو حولها تماماً، لتكمل بنبرة واثقة، وقد رفعت رأسها بشموخ الآن:

- هنري انت شاب جيد، وأي فتاة ستكون محظوظة بالارتباط بك ...
ثم التفتت ناحية والدها مضيئة:

- لكنني لا أريد الزواج الآن.

اتسعت عينا الكونت بدهشة، بينما انتفضت الكونتيسة بموضعها وقد أفسدت ابنتها الأمر الآن، لكن إينور لم تتوقف عند ذلك الحد، دفعت الكرسي لتنهض وهي لا تزال تنظر ناحية والدها:

- ابي، أريد أن أقدم على اختبار الأكاديمية أيضاً.

صمت الجميع بغير تصديق، أي جنون تنفوه به تلك الفتاة الخرقاء؟ لم يملك والدها الكلمات المناسبة للرد عليها، وفجأة ضحكت الماركيزة باربرا وهي تضع يديها أمام فمها، وبعد

لحظات قالت معلقة:

- لديك ابنة شجاعة أيها الكونت، هي لا تخشى قول ما يختلج بصدرها دون اكتراث لمن أمامها.

اعترض الكونت ليقول كابحاً غيظه قدر الإمكان:

- مع احترامي لك ليدي باربرا، لكنها مجرد فتاة لم تتجاوز السادسة عشر من عمرها، لهذا لا تشجعها على تلك الأفكار الغريبة.

رمقته الماركيزة بنظرة حادة لتقول:

- لكن سمو الأميرة لم تحدد أي شروط فيما يتعلق بالعمر أو الجنس.

ما كان بمقدور الكونت آردين مجارة الماركيزة لأكثر من ذلك دون أن يقلل من احترامه لها، لهذا توقف عند ذلك الحد، فقال الماركيز كريستوفر بنبرة إعجاب:

- دعها تجرب حظها أيها الكونت، أعتقد بأن هذا تحديداً ما تطمح إليه سمو الأميرة بإنشاء مثل هذه الأكاديمية.

أطلقت إينور تنهيدة دلت على ارتياحها، ثم وقعت بعفوية على كرسيها لتقول فرحة:

- شكرا لكما لورد و ليدي وكريستوفر، أتشرف بدمكمما لي.

ضحكت الماركيزة لترد عليها:

- أنا حقا اتطلع لرؤية ما لديك يا صغيرتي.

انتهى العشاء، وانقضى اليوم على خير، توقعت إينور بأن والدها الكونت سيغضب، وربما يقلب القصر رأساً على عقب بسبب فعلتها، لكن لا شيء من ذلك حصل، بل على العكس من

ذلك، فقد اتت والدتها في اليوم التالي لتخبرها بأن الكونت قد سمح لها بالتقديم للاختبار، وقالت لها أيضاً:

- هو لن يفتح موضوع الزواج الآن وسينتظر حتى تظهر نتائج الاختبار.
نظرت إينور إلى والدتها بتوجس ثم قالت:
- هل انت متأكدة بأنه لم يحدثك أثناء نومه، من المستحيل الا يكون غاضباً
أو لا يأتي على ذكر موضوع الزواج.
- كوني شاكرة فقط بان الماركيز وزوجته كانا موجودين أثناء العشاء، وإلا
كان قد فصل رأسك عن جسدك بطرفة عين.
- ابتلعت إينور ريقها وامسكت برقبتها، ثم ابتسمت بسداجة، فعلا كانت
محظوظة لوجود والدا هنري على العشاء، عندها غيرت والدتها الموضوع
لتقول:
- قبل ان انسى، تلك الفتاة التي حدثتني عنها اختك، إنها مستعدة لتبدأ العمل
اليوم.
- حقا!
- اتسعت عينا إينور فرحاً، فقالت الكونتيسة:
- يمكنك الدخول.
- طرقت الفتاة الباب، ثم دفعته على مهل، تقدمت وألقت التحية مع انحناءة
بسيطة، عندها استقامت الكونتيسة لتغادر الغرفة.
- وأخيراً.
- قالت إينور وهي تندفع ناحية الفتاة، ثم وقفت تنظر إليها ببهجة، بدت
مختلفة كل الاختلاف عن تلك العبدة الهزيلة التي رأتها لأول مرة بالسوق،
وفجأة تذكرت إينور أمراً ما،
- توجهت ناحية خزانتها، فتحتها واخرجت صندوقاً صغيراً، ثم جرت به
ناحية الفتاة وسلمته لها وهي تقول: هذا لك.
- مدت الفتاة يدها ناحية الصندوق بتردد، أمسكت به، ثم فتحتة وأخرجت
العقد الفضي، فقالت إينور:
- كان بين ثيابك، من الجيد التي انتبهت له قبل التخلص من الثياب.

رفعت الفتاة العقد وهدقت به بنظرة واجمة، ثم قالت بامتنان:

- شكرا لك أنستي.

هزت إينور رأسها ثم قالت:

- لا تخاطبيني بـ أنستي، انا أفضل ان تنادينني بـ إيلي، وماذا عنك ما هو اسمك؟

سار ذلك الشاب متخطياً حدود العاصمة، كان ملفتاً للنظر بسبب حجم جسمه وبروز عضلاته، حاملاً قوساً وبعض السهام، بالإضافة لذلك الخنجر المعقوف الذي يتدلى من خاصرته،

ولم يوقفه إلا لوح خشبي للإعلانات في أحد الشوارع المكتظة، مسح اللوح بعينيه وقرأ كل ورقة به، إلى أن شد انتباهه إعلان الأميرة هيلينا، مد يده وانتزع المنشور من اللوحة، فتحدثت

تلك الفتاة بجانبه، والتي ترتدي عباءة تُخفي سيفاً بخاصرتها، وعلى رأسها قلنسوة تحجب ملامحها:

- اتعتقد باننا سنجدها هنا؟

تلقت الشاب حوله، ونظر إلى وجوه الناس قائلاً:

- لست أدري، لكن علينا المحاولة، علينا إيجادها يا ماغي.

- كما تريد يا جاك، سنستمر بالبحث عن صوفي مهما كلف الأمر.

من جهة أخرى، اعتصرت تلك الفتاة العقد بين يديها، ثم أجابت إينور بصوت خافت:

- اسمي صوفي.

مدت إينور يديها الاثنتين وأمسكت بيد صوفي لتقول باسمه:

- سررت بالتعرف عليك يا صوفي.



عقد القمر الفضي الذي اشتراه كولين من البائع المتجول ، كان تعبيراً منه لوالدته بأنه قريب منها على الدوام، فهو ابن القمر بعد كل شيء.

الفصل (7) :

القواعد.

غرب العاصمة هيسبيروس والذي يعني الاسم نجمة المساء، مساحة شاسعة من الخضرة والغابات المتفرقة، وفي منتصف تلك المساحة بحيرة عملاقة ذات مياه صافية وراكدة، لها

القدرة على عكس أشعة الشمس في الأيام المشرقة، أو إضاءة القمر خلال الليل الطويل، من على التلال القريبة، أو فوق قمم سلسلة جبال كارفينو يمكن رؤيتها من بعيد كما لو كانت نجمة

متألئة وسط العتمة، ومن هنا جاءت التسمية.

في ذلك الأسبوع، وبعد أشهر طويلة قضاها الناس متمتعين بالأجواء الصيفية اللطيفة، حلت الغيوم السوداء الكثيفة كضيف ثقيل، هواء رطب وبارد في الوقت نفسه، بالإضافة لرائحة

المطر العالقة بالجو، ومع هذا لم تنزل قطرة واحدة إلى الآن. رفع لويس ابن الأربعة وعشرين عاماً رأسه، وهدق بتلك الغيوم طويلاً كأنه يتحداها، بينما سار حصانه على مهل بين المروج،

تبعه من الخلف أخويه، روي وجو، كان جو اصغرهم سناً، لم يبلغ الثانية عشر من عمره بعد، كما لم يكن بمهارة أخويه بركوب الخيل، لهذا ظل متأخراً عنهما، بعد أن قطع الثلاثة مسافة لا

بأس بها وصلوا لحافة البحيرة، والتي بدت باتعس حال ممكنة، كئيبة لم تجد مياهها من النور ما يكفي لتعكسه، توقف لويس وترجل من حصانه، ففعل أخواه المثل:

- سنكمل الطريق سيراً من هنا.

قالها مشيراً إلى بقعة مليئة بالأشجار الكثيفة غرباً، فأوماً له أخواه إيجاباً وحملاً حقيبتيهما، كما كان لدى كل واحد منهما سلاح خاص به، لـ روي القوس والسهم، بينما حمل جو

عصا خشبية مدببة الطرف، سار الثلاثة بين الحشائش الطويلة، إلى أن توقف لويس، مد يده للتربة وازاح بعض الحشائش الطويلة ليرى ما يوجد أسفلها، فعثر على آثار اقدم صغيرة تشير

لذهاب صاحبها غرباً، عندها عرف بأنهم على المسار الصحيح، فأكمل تقدمه متفائلاً وتبعه أخواه، وعندما وصل للأشجار، سمع صوتاً آتياً من مكان ما عميقاً هناك، تخلى عن حذره وسرع من

خطواته، فامتد رمح من خلف إحدى الأشجار ناحية عنقه على غفلة منه، وتحدث صاحب الرمح قائلاً:

- خطوة واحدة وسأقضى عليك أيها الشاب.

رفع لويس يديه، وصوب روي ناحية تلك الشجرة دون أن يتمكن من رؤية صاحب الصوت، أما جو فوقف مرتعباً بموضعه، متشبثاً بعصاه لا حول له ولا قوة، عندها ابتسم لويس،

وبحركة سريعة انزل يديه وأحكم قبضته على الرمح، سحبه ناحيته بكل ما أوتي من قوة جر معها ذلك الرجل من خلف الشجرة، كان روي على وشك إطلاق سهمه، لكنه توقف في اللحظة

الأخيرة ليقول بدهشة:

- عمي كيث!

ضحك كيث وقد انطلت خدعته على ابناء أخيه، ثم استعاد رمحه من لويس وثبته خلف ظهره ليقول:

- عليك أن تكون أكثر حذراً يا لويس، خاصة عندما تكون مع أخويك.

- الأمر ذاته ينطبق عليك يا عماء، لو كان العدو مكاني لما استطعت هزيمته بتلك الوضعية وخلف شجرة كهذه.

ضرب كيث براحة يده العريضة على جذع الشجرة، ثم رفع بصره إلى قمته قائلاً:

- رايتكم تأتون من بعيد، لو التي شاهدت عدواً ما كنت لأنزل من الشجرة، وفضلت اقتناصه من الأعلى.

- على أي حال هل رأيت الأثر؟
اشار لويس خلفه، إلى حيث شاهد آثار الأقدام بين الحشائش، فأوماً له عمه قائلاً:
- بالتأكيد رأيتها، لهذا كنت بانتظاركم حتى لكون معاً.
تحرك الجميع، توغلوا أكثر بين الأشجار، وعندما وصلوا لبقعة محددة، وضع كيث يده داخل حقيبته واستل شيئاً ما بداخلها قائلاً:
- وقعت الطريدة بالفخ.

اخرج وتداً خشبياً من حقيبته، ووجهه أمامه، اقترب أكثر وداس على
الدماء اللزجة أرضاً، تجاوز جيفة غزال متعفنة وتخطاها حتى وصل إلى
السلسلة المعدنية المثبتة على الأرض،

وبنهايتها فخ ذو أشواك معدنية، منطبق بإحكام على ساق فتاة تبلغ الثامنة
أو التاسعة من عمرها، نظرت إليهم بوجه باك، دموعها جفت منذ فترة
طويلة على خديها، بينما كانت ممسكة

بفكي الفخ المعدني بيدين دامتيتين، من الواضح بأنها حاولت فتحة عدة
مرات دون جدوى، نظر كيث إليها بحقد ليقول:

- أحد تلك المسوخ، مخلوقات الليل أو ما أطلق عليهم بمصاصي الدماء...
انتبه يا جو، لا تتدع بذلك المنظر البريء، فخلفه وحش لا يعرف
الرحمة.

عادت دموع الفتاة بالنزول، وأخذت تترجى المجموعة أمامها حتى
يساعدها لتتخلص من الفخ المعدني، لكنهم صوبوا أسلحتهم نحوها وقد
امتلات أعينهم بالعزيمة، فيما عدا جو،
الذي تراجع بضع خطوات وقال مرتجفاً:
- ماذا لو كانت مجرد فتاة عادية يا عماه؟

مد كيث يده وسحب ابن أخيه للمقدمة، وضعه في مواجهة مباشرة مع الفتاة
الصغيرة، والتي ازدادت توسلاتها مع بكائها فقط، فابعد جو رمحه الخشبي
واحتضنه متردداً، سؤال واحد

عصف براسه، من هو الوحش هنا تحديداً؟ فمد يده ناحيتها أراد مساعدتها
على النهوض، وتخليصها من عذابها، ويلمح البصر أطلقت الفتاة صيحة
مزمجرة، وقفزت ناحيته وقد التمعت

عينيها حمرة، كانت ستقطع عنقه بأظافرهما التي ازداد طولها بالتزامن مع
أنيابها، لكن لويس كان لها بالمرصاد، استل سيفه وطعنها بكتفها، فدخل
النصل وخرج من الجهة الأخرى ليدخل

بجذع الشجرة خلفها، كان جو قد سقط أرضاً من المفاجأة، ينظر ناحيتها
بدهشة، فعادت حدقتي عينيها للونهما الطبيعي، ومعها أنيابها وأظافرهما
لوضعهما السابق، نظرت إليهم بحقد قبل

أن تفقد وعيها وهي مثبتة بجذع الشجرة، فقال كيث:

- القاعدة الأولى يا جو، لا تذهب للصيد وحدك، وما الذي يلي ذلك؟ ما هي
القاعدة الثانية؟

سال كيث ابن أخيه، الذي عقد لسانه من شدة الصدمة، فعاد وطرح سؤاله
هذه المرة بنبرة أشد، فتأتأ الصبي مجيباً:

- لا .. لا تخفض سلاحك ...

- لا تخفض سلاحك أبداً، وإلا تحولت من كونك المطارد لتصبح الطريدة.
نزلت دموع جو من شدة الخوف، بينما التفت كيث إلى جيفة الغزال خلفهم
ليكمل قائلاً:

- القاعدة الثالثة، تتبع دائماً رائحة الدماء وأثرها، وابحث عن مصدرها.
كان يشير إلى جرحين عميقين بعنق الجيفة، والذي هو اثر انياب الفتاة، ثم
رفع أصبعه لأعلى ناحية السماء:

- تلك الوحوش لا يمكنها التعرض لأشعة الشمس بشكل مباشر، الليل
الطويل هو فرصتها الوحيدة للصيد، لكن أيام كالتي نمر بها هي فرصة
ذهبية لتلك الوحوش لتشبع عطشها بعد حرمان طويل،

مد كيث يده وساعد ابن أخيه على النهوض قائلاً:

- امسح دموعك تلك، فأنت تنتمي لعائلة صيادين.

ثم ذهب العم ناحية الفتاة المثبتة بالشجرة، وطعنها بالوتد الخشبي في القلب
تماماً، فأطلقت صرخة عالية وقد عادت أنيابها للظهور قبل أن يجف
جسدها بلحظات ويستحيل لحمها رماداً،

فيما عدا هيكلها العظمي، فتساقطت عظامها قطعاً منفصلة على الأرض
مع ملابسها، عندها قال كيث:

- القاعدة الأهم، لا تخطئ القلب، وإن كنت لا تملك سلاحاً خشبياً، فاستخدم نصل سكينك أو سيفك لقطع الرأس، هل فهمت؟

تقدم روي ناحية البقايا وجمع العظام بالحقيبة التي معه، بينما تكفل لويس بإعادة نصب الفخ من جديد ببقعة مغايرة، لعلهم يكونون محظوظين باصطياد طريدة أخرى، أما جو

فراقب أخويه محرراً كونه لم يتمكن من فعل أي شيء يذكر، حدق في الجمجمة الصغيرة والنايين الناتئين من فكها العلوي ليقول:

- سأثبت جدارتي في المرة المقبلة.

عاد الجميع للمنزل، وهو عبارة عن قصر متوسط الحجم بأحد الضواحي على حدود العاصمة، دخل كيث على أخيه الكونت رايموند الفارق بين صفحات الكتب بالمكتبة، والتي هي

عبارة عن غرفة كبيرة دائرية الشكل مكونة من طابقين، تصطف الكتب على جدرانها حتى تصل للسقف العلوي، طابقها الثاني لم يكن إلا ممراً ضيقاً مسوراً يطل على الطابق السفلي، وفي

منتصف السقف قبة زجاجية بنقوش ملونة. تقدم كيث ناحية لجسم الكرة الأرضية الدوار، وضع اصبعه على بقعة بها وادارها، فسأله أخوه ولم يزح عينيه عن الكتاب بيده:

- هل اثمر صيدكم عن شيء؟

- نعم، لكنها كانت بلا فائدة.

رفع الكونت رايموند عينيه، حدق بأخيه الذي اكمل قائلاً:

- لم تكن نقية، أو متحولة، كما أنها مجرد فتاة صغيرة.

عندما سمع رايموند رد أخيه، فهم لم قال له بأنها بلا فائدة، فطفلة صغيرة لن تفيدهم باستخلاص أي معلومات مهمة، أغلق رايموند الكتاب الذي بيده ووضعه على الطاولة الدائرية

بجانبه، ثم استقام وسحب غليونه من معطفه، حشاه بالتبغ الموجود بعلبة معدنية صغيرة على الطاولة نفسها، ثم اقترب من المدفئة المشتعلة، أخذ قنشة صغيرة وأشعل التبغ ثم نفت

الدخان ليقول:

- لقد كثرت مواليدهم بالفترة الأخيرة، ألم تلاحظ ذلك؟

وافقه كيث بإيماءة فقال:

- ربما يتبعون نهجاً جديداً، إنها واحدة من اصل اربعة اطفال امسكنا بهم هذا الأسبوع.

- إن زاد الأمر بتلك الطريقة الا تعتقد بأن الناس سيلاحظون وجودهم؟

تنهد كيث بانزعاج ثم أجاب:

- أصبحت مهمتنا أكثر صعوبة الآن وخاصة مع تناقص أعدادنا.

تصاعد الدخان من غليون رايموند، بينما سرحت عيناه البنيتان بعيداً، أعدادهم بتناقص بالفعل، بالمقابل فإن أعداءهم يزدادون بوتيرة مفرعة، لهذا كان كل عضو منهم مهماً، فسأل:

- كيف أبلى الأولاد؟

- لا خوف على لويس وروي، لكن جو ...

توقف كيث، ووزن كلماته قبل أن ينطق بها:

- جو يملك قلباً رقيقاً، لن يتمكن من أن يصبح صياداً إذا استمر على هذه الحال، حتى اخته روز اجدها اشد باساً منه.

عقد الكونت رايموند حاجبيه، وضغط على الغليون بيده غاضباً، لكنه فضل السكوت، سيتعامل مع ابنه بوقت لاحق، أما الآن فليدهم موضوع أكبر من ذلك، أشار رايموند بغليونه إلى

الرف فوق المدفأة لأخيه، كانت هنالك رسالة مفتوحة تنتظره هناك.

- رسالة من القصر الملكي؟

سال كيث بعد أن لاحظ الختم الشمعي الملكي، فالتقطها بينما قال رايموند:

- اعذرني يا أخي، لقد فتحتها رغم أنها كانت موجهة لك.

سأله اخوه بحيرة:

- الم تصلك واحدة؟

- بلى، وصلتني واحدة قبل أسبوع، كانت من سمو الأميرة هيلينا، تعلن فيها عن إنشاء أكاديمية للفرسان، تلقيتها لأنني أمتلك أربعة أبناء بإمكانهم التقديم على الاختبار، لهذا انتابني

الفضول، لم قد ترسل لك الأميرة وانت لا تمتلك اي أبناء، بل لست متزوجاً حتى.

قرأ كيث الرسالة باهتمام، ثم ابتسم بالوقت الذي تحدث به أخوه رايموند:-

أرى أنه من الأفضل أن توافق يا أخي.

هز كيث راسه إيجاباً، ثم قال:

- بالتأكيد سأوافق، لن أضيع فرصة كذلك.

كانت الرسالة الموجهة لـ كيث مختلفة عن تلك التي تلقاها أخوه الكونت رايوند، أو الكونت آردين.

جنوباً وعند الحدود، جرى المبعوث الملكي على الممر بأعلى الجدار الفاصل بين المملكتين، كان يبحث عن الجنرال يوجين، والذي تمركز مع فيلقه لحماية الحدود الجنوبية، وصل

الشاب أخيراً إلى هدفه، أخرج الرسالة من حقيبته وسلمها لصاحبها.

- إنها من سمو الأميرة!

قالها يوجين بدهشة، فسأله نائبه رايدر:

- ما الذي تحويه؟

فتح المغلف على عجالة، وقرأ الرسالة، تحركت عيناه يميناً وشمالاً متتبعاً الأسطر بالورقة إلى أن انزلها أخيراً، ثم جعدها ليقول غاضباً:

- ما هذا الهراء؟

- ما الخطب ايها الجنرال؟

رفع يوجين الرسالة المجددة، وقال مفسراً:

- ما الذي تفكر به سمو الأميرة؟ إنها تريدني ان اترك قيادة الفيلق هنا وأعود للعاصمة من أجل مشروع الأكاديمية الذي كانت تعمل عليه.

- أتذكر بأنها طرحت الفكرة منذ فترة، ولكن ما دخلك أنت بها؟

- ترغب بتعيين بعض المعلمين بالأكاديمية، وقد طلبت مني ان اكون احدهم، هي لا تسألني عن رأيي بل أصدرت أمراً لا يمكنني رفضه.

كان يوجين يرى بأن الأمر مجرد لعبة أطفال، كيف عساه يترك مهمته هنا ويمضي بمشروع؟ لهذا كان غاضباً. الرسالة التي تلقاها كيث كانت تحمل الطلب الموجه للجنرال

يوجين نفسه، لكنه وعلى عكس الأخير رحب بالفكرة، وذهب من فوره ليبعث بتأكيد على موافقته،

صعد جو الدرجات، وكان في طريقه لمقابلة والده، لكنه توقف عند اللوحة الضخمة الموضوعة بمنتصف الدرجات، هناك على الجدار رسمة زيتية لعائلته، محاطة بإطار ذهبي عريض،

والداه يجلسان بالمنتصف، وحولهما وقف إخوته الثلاثة، بينما كان هو بعمر السنتين يجلس بحجر والدته، نظر إليها، وإلى والدته تحديداً، عندها أجفله صوت وقع خطوات على السجاد

خلفه، فاستدار ليجد بأن والده قد سبقه لمقابلته، شابكاً ذراعيه خلف ظهره تحدث الكونت رايموند ليقول:

- جميلة وقوية، هذا ما كانت عليه والدتك يا جو.

عاد الصبي ليحديق باللوحة دون أن يقول شيئاً، فأكمل والده قائلاً وهو يقترب أكثر حتى أصبح بجانبه تماماً:

- هذه آخر لوحة تمكنا من رسمها قبل موتها.

توقف الكونت قليلاً ثم نظر إلى ابنه وسأل:

- هل أخبرتك من قبل كيف ماتت؟

هز جو راسه نفيماً، فأجابه والده وقد عاد ليحديق بوجه زوجته الراحلة:

- لقد كنت أنا السبب بموتها.

اتسعت عينا الصبي، وهدق بوالده بغير تصديق، عندها أكمل الكونت:

- حدث هذا عندما كنت أنت لا تزال في الثالثة من عمرك، وصلتنا يومها معلومات عن وكر قريب، وتزامن هذا مع حوادث اختفاء لأناس من العاصمة، لهذا كان علينا أن نتصرف

بسرعة، فخرجت مع والدتك.

ابتسامة حزينة ارتسمت على شفثيه وهو يقول:

- كانت كارولين شريكتي المثالية، خرجت للصيد برفقة الكثيرين من قبل، لكنني لم أثق بأحد كما وثقت بها ...
تنهد عندها واکمل سرد روايته:

- كان الوكر وعلى حسب المعلومات التي وردتنا بمنزل مهجور على التلة، دخلنا وفتشنا المكان بحرص شديد، ووجدنا بعض الجثث الملقاة بإهمال بكل مكان، من فعلها لم يكتف

بامتصاص دمائها فقط، بل قام بالتمثيل بالجثث أيضاً، كان منظرًا فظيماً بحق، بحثنا طويلاً حتى عثرنا بالنهاية على صبي ربما كان يمثل عمرك الآن أو ربما أصغر.

تذكر جو وجه الفتاة الصغيرة اليوم عندما أتى والده على ذكر الصبي.
- رايته انا أولاً، بطريقة ما شعرت بالأسى عليه، واعتقدت للحظة بأنه مجرد ضحية تم اختطافه كما حدث مع البقية، فأنزلت سلاحي، ومددت يدي ناحيته، أخبرته بأننا هنا

لمساعدته، وبذلك كنت قد كسرت إحدى القواعد.

- وما الذي فعلته أمي؟

ابتسم الكونت رايموند مجيباً:

- ما كانت الحيلة لتنتظلي على والدتك، فقد رأت هي ما عجزت أنا عن رؤيته، آثار لعضة قديمة على رقبة الصبي، كان أحد تلك الوحوش.

- وهل قام الصبي بمهاجمتكما؟

تذكر جو كيف هجمت عليه الفتاة الصغيرة بوحشية، وتخيل عقله المشهد مع والديه، لكن الكونت نفى ذلك قائلاً:

- كلا لم يفعل ذلك، لكن في اللحظة التي أرخيت بها دفاعي وتقدمت ناحيته، استغلت إحدى إناثهم الفرصة، وانقضت علي من السقف برشاقة، كانت أظافرها الحادة موجهة نحوي،

وقبل أن تصل لتشق عنقي، دفعتني والدتك بعيداً.

شعر جو بصعوبة الموقف على والده، كانت عينا الكونت تلتمعان بشدة، وكان ذلك اليوم قد حدث بالأمس فقط.

- تطايرت دماؤها الدافئة وغطتني، وعندما التفت ناحيتها كانت بين يدي تلك الـ ...

توقف رايموند وقد تحول وجهه الهادئ لشيء آخر، تجعد الجلد ما بين حاجبيه غيظاً فقال مكماً:

- ما زلت أتذكر وجهها الكريه، نظرت لي بابتسامة ساخرة، وكأنها تلهو معي فقط، تركتني أغادر المكان بعد ذلك دون أن تمسني لأنها تعرف بأن الموت سيكون راحة لي فقط.

وضع رايموند يده على كتف ابنه جو واكمل:

- لهذا لا تنخدع بمظهرهم يا بني، ولا تستمع لأي كلمة يقولونها، إنهم وحوش بمرتبة أدنى حتى من الحيوانات.

سار الكونت رايموند مبتعداً بعد ذلك، صعد الدرجات وتوجه لغرفته بالأعلى تاركاً ابنه جو امام اللوحة الكبيرة بمنتصف الدرج، ظل الصبي هناك لعدة دقائق ثم ذهب بعدها لغرفة

اخيه لويس، أراد أن يطلب منه تدريبه ليصبح أقوى، فشيء ما تغير بداخله بعد أن سمع بقصة موت والدته، هو لا يريد أن يكون الحلقة الأضعف في تلك العائلة. وصل عند باب غرفة أخيه،

ووجده مطرقاً قليلاً، اقترب أكثر وتسلل لأذنه صوت لويس ومعه شخص آخر، اطل براسه من خلال شق الباب فوجد اخته روز جالسة تستمع إلى سرد لويس لتفاصيل رحلة صيد اليوم:

- كان عليك أن تكوني معنا بدل جو.

قالها لويس بنبرة مستهزئة، بينما ضحكت روز وردت عليه:

- يا له من جبان، من الجيد أنه لم يفسد فرصتكم لاقتناص الطريدة.

تراجع جو عدة خطوات للخلف بعد الذي سمعه، تراجع يائساً ومقهوراً، إن كان هذا رأي إخوته به، فما الذي سيقوله عنه بقية الصيادين؟ هل عليه أن يقبل بأن يقال عنه كلام مثل

ذلك؟ كيف بإمكانه تغيير رأي الجميع من حوله؟ تساؤلات عديدة خطرت له وهو عائد لغرفته محبطاً، دفع الباب، وارتدى بجسده على السرير متعباً من كثرة التفكير، ثم أدار رأسه ونظر

إلى مكتبه بقرب النافذة، هناك حيث استقر كتاب دليل الصيادين فوقه، عندها فتح فمه قائلاً:

- القاعدة الأولى، لا تذهب للصيد لوحدك، القاعدة الثانية لا تخفض سلاحك

...

بدأ يسرد القواعد، فقد حفظها عن ظهر قلب، لكن هذا لم يفده بشيء، فتوقف واستقام من موضعه، ذهب ناحية مكتبه، وتناول الكتاب، قلب صفحاته بيد واحدة، ثم رفع بصره

للنافذة، كانت السماء لا تزال معتمة لكثرة الغيوم، ومن بعيد شاهد بضع صواعق تسري بشكل أفقي، تنير كتلا من تلك الغيوم السوداء، فالتمعت معها فكرة ما براسه، عندها أغلق الكتاب

بقوة، أخرج ورقة بيضاء والتقط قلماً امامه، بدأ بالكتابة وهو يعرض على شفثيه من شدة التركيز، وما أن انتهى حتى وضعها على الكتاب واتجه ناحية خزائنه.

في الأسفل كان الجميع في طريقهم لقاعة الطعام، جلس الإخوة الثلاثة يتبادلون الحوار بشأن الأكاديمية الجديدة، فوصل الكونت رايموند، جلس على كرسيه براس الطاولة وقال متسائلاً:

- أين هو جو؟

نظر أبناؤه الثلاثة إلى بعضهم بعضاً، فلم يملك أي منهم الإجابة، وعندها جرت إحدى الخادمت ناحيتهم بهلع، سلمت ورقة ما بيدها للكونت وهي تقول:

- لورد رايموند، عليك أن تقرأ هذه.

أخذ الورقة منها وقرأها من فوره، ما إن انتهى حتى دفع الكرسي فزعاً ليقول أمراً:

- اطلبني من السائس أن يجهز حصاني في الحال.

وفي طريق مغادرته لقاعة الطعام صادفه اخوه كيث فسأله:

- ما الذي يجري؟ إلى اين انت ذاهب؟

- عليك أن تأتي معي، لقد ذهب جو للصيد بمفرده.

ثم دفع بالورقة لأخيه، الذي قرأها على عجلة وهو يسير بمحاذاة أخيه ناحية الإسطبل.

كان جو قد وصل إلى تلك البقعة التي عثروا فيها على الفتاة الصغيرة اليوم، أراد أن يبحث في المكان جيداً لعله يجد أثراً قد يقوده إلى الوكر الذي أتت منه، هو بالتأكيد لم يرغب

بمواجهة أي من تلك المخلوقات بمفرده، لكنه فكر بطريقة يثبت من خلالها جدارته، بإمكانه أن يبحث عن الوكر الذي كانوا في أثره منذ فترة طويلة، إن تمكن من إيجاده فلن ينظر إليه

باستصغار، بحث بين الحشائش، ووجد آثار أقدامها التي كانت تقود للفخ بجانب الشجرة، كانت ملابسها لا تزال هناك مع رمادها، فقد أخذوا عظامها فقط، حمل ثوبها بين يديه تفحصه

بعناية، اشتمه وبحث بجيوبه، وفجأة سمع صوت وقع اقدم على الحشائش، أحد ما يقترب منه ، يساراً، فرمى بالثوب وأدخل يده لحقيبته وأمسك بالوتد الخشبي، التف على مهل ناحية

اليسار، فانفض جسده ما إن وقع نظره على ذلك الشخص، نظر القادم الغريب ناحية جو بعينين حمراوين تلتمعان غيظاً، فرفع الصبي الوتد بيديه الاثنتين ناحية ذلك الشخص، وصرخ به قائلاً:

- ان اقتربت فلن أتردد بقتلك.

توقف ذلك المخلوق عن الاقتراب ناحيته، عندها احس جو بأنه قوي ولأول مرة بحياته، وشعر معها بثقة بالنفس، إنه من عائلة صيادين، القوة والشجاعة تسري بدمائهم بشكل

طبيعي، ولكن الصبي ما زال يفتقر للخبرة، وهنا تحديداً تحدث صوت ما خلفه، صوت هادئ همس باذله قائلاً:

- هل انت من قتل تلك الفتاة؟

القاعدة الأولى، لا تذهب للصيد بمفردك، ما وضعت تلك القاعدة عبثاً، هذا ما فكر به الصبي عديم الخبرة وقد وجد نفسه محصوراً بين هذين الوحشين بمكان كهذا.



كانت هنالك سلسلة كاملة من عشر مجلدات تتبع كتاب قواعد الصيادين تسمى دليل الصيادين، حيث أن كل جيل جديد من العائلة قد وضع إضافته الخاصة في كل مرة تكتشف معلومة جديدة عن مخلوقات الليل، وعلى هذا الأساس يتم تعديل البنود بكتاب القواعد الأساسية إن اقتضى الأمر ذلك.

الفصل (8) :

ابن القمر.

ضحكت تلك السيدة السمينة، واهتزت بغير تكلف، للحظة نسيت مركزها الاجتماعي، وكونها تنتمي للطبقة المخملية في هذا المجتمع، وبعد أن امتلأت معدتها بالشراب، تركت مقعدها

على تلك الطاولة، وعادت إلى الساقى بما تبقى لديها من عقلها، جلست على الكرسي الدائري، والذي لم يكده يتحمل وزنها، ضربت على الطاولة بيدها فأصدرت ضجيجاً عالياً بسبب كل تلك

الخواتم التي ترتديها، طلبت من الساقى أن يحضر لها المزيد من الشراب، فرمقها بنظرة مشمئزة وبطريقة ما تمكنت من ملاحظتها فصرخت بوجهه:

- انت ايها الحقير، اتعتقد بأنني لن ألاحظ نظراتك لي؟

لم يجيبها، واستدار ليلتقط كوباً نظيفاً من الأرفف خلفه، وضعه على الطاولة، ثم أخرج زجاجة الشراب، فتحها وقام بسكب المشروب، بينما بدت هي في قمة السعادة، تنظر إلى كأسها

المملوءة وكأنها قد حققت إنجازاً من نوع ما، مدت يدها لتأخذه، لكنها توقفت بعد أن انتبهت إلى شيء آخر،

أحدهم ينظر إليها، شعرت بذلك، فالتفتت عن يسارها ورأته هناك، شاب ينظر

إليها بابتسامة لعوب، مسنداً ذقنه على ساعده الذي تثبته على طاولة الساقى، شعرت بالحرج لوهلة، واحمر وجهها السمين فأصبح كحبة بندورة ناضجة، فهي ليست من النوع الذي قد

يغري الرجال بالعادة، لهذا شعرت بالإطراء، من جهته لم يكتف ذلك الشاب بالنظرات فقط، واستقام من موضعه، فلم تتمكن هي من أن تشيح بنظرها بعد أن بدأ يسير نحوها متبخرأً، في

الحقيقة لم يكن طويلاً جداً، ولا مفتول العضلات حتى، وربما كان بنصف حجمها، لكن شيء ما به كان أسراً بالنسبة لها، سار ناحيتها وهو يعيد ارتداء معطفه الأسود ذو الياقة العالية، تحته

قميص أبيض أدخل أطرافه بينطاله الذي ثبته بحزام عريض، وحول رقبتة عقد وشاح حريري أحمر اللون، بينما ارتدى في قدميه جزمة جلدية طويلة لحد الركبة، بدا منظره كابن عائلة

نبيلة، بل كان أشبه بأمير من تلك القصص الخيالية، لولا شيء أفسد كل هذا، له شعر أسود يضاهي سواد الليل يتناقض كلياً مع بشرته البيضاء الشاحبة، وهو يرتدي أيضاً رقعة للعين غطت عينه اليسرى.

- أسمحين لي بالجلوس انستي؟

قالها بصوت هادئ عذب لم تتمكن معه من ان ترفض طلبه، فجلس بانسيابية بجانبها، وحقق بها بحدقته الزرقاء، ثم وضع يده اليسرى على الطاولة قريباً من موضع يدها، حرك اصابعه وهو يتلمس أناملها بخفة، فقالت:

- من النادر رؤية ابناء الليل بحانة كهذه، من أنت أيها الشاب؟

وبدل أن يجيبها مباشرة، أمسك بيدها ورفعها، ثم قبلها ليقول:

- يمكنني أن أكون ما تريدين يا أنستي.

ازداد احمرار وجهها، فسحبت يدها محاولة التظاهر بعدم الاكتراث لتسأله سؤالاً آخر:

- الست صغيراً على التواجد في مثل هذا المكان؟

نظر الشاب حوله قبل أن يعود للتحديق بها مجيباً:

- أنا هنا لأنني كنت أبحث عن شيء ما، لكنني لم اعتقد بانني ساجد ما هو افضل مما كنت اريد حتى.

مد يده اليمنى ناحية عنقها العريض والمحقون بسبب ذلك العقد الذهبي حوله، تلمسه برقة، ولا تزال تلك النظرة الشاعرية تفيض من عينه اليمنى، فنهض من جديد واقترب منها،

اصبح وجهه قريباً من عنقها، فأغلق عينه واشتم عطرها ليقول:

- رائحتك لطيفة، أي عطر ساحر هو ما تضعينه؟

تسمرت في موضعها، ونظرت لأصدقائها على الطاولة التي كانت تجلس عليها هناك، وفجأة شعرت بأن كل ذلك لم يعد مهماً، ليقل الجميع ما يريدون، حتى لو كان هذا الشاب بعمر

ابنها، أو ابنا للقمر، فإنها لن تسمح له بالإفلات الآن، فحافظته بذراعها، وقد امتلأت جراحة الآن، لكنه أوقفها ليهمس بأذنها قائلاً:

ليس هنا يا أنستي، فهناك الكثير من الأعين حولنا، للتقابل خارجاً بعد خمس دقائق بالزقاق الجانبي للحانة.

ثم ابتعد عنها وغمز لها مبتسماً قبل أن يلتفت مغادراً المكان، فعادت هي لطاولتها، أخذت حقيبتها، وشعرت بالارتياح كون أياً من أصدقائها لم ينتبه لها، فلنذهب تلك الدقائق الخمس

إلى الجحيم، هذا ما قالته بسرّها، إنها تريد رؤيته حالاً، لهذا غادرت الحانة، ولفحها الهواء الرطب، فنظرت للسماء الملبدة بالغيوم الركامية، من الأفضل الا تمطر الآن، أو ربما سيكون هذا

لصالحها؟ هي لا تعلم، فتركت الفكرة جانباً واتجهت للزقاق الجانبي، والذي بدا أكثر ظلمة من الشارع الرئيسي، وقبل أن تخطو للداخل، أجفلتها قطة سوداء جرت بين رجليها، بدت وكأنها

تحاول الهرب، فنظرت ناحية الزقاق، وشاهدت ظلاً أسود بنهايته، إنه ذلك الشاب بكل تأكيد، وعندما اقتربت أكثر انقسم الظل إلى اثنين، لم يكن ذلك الشاب هناك لوحده، بل كان برفقة

فتاة أخرى، وفجأة شعرت بالخيانة، سارت ناحيتهما حتى لم يعد يفصل بينهما إلا بضعة خطوات، وصرخت بالفتاة لتقول:

- ابتعدي عنه يا سارقة الرجال.

أجابتها الفتاة لتقول باشمئزاز:

- ومن انت؟ والدته؟

احمر وجهها غيظاً، وكانت على استعداد للدخول بعراك بالأيدي مع تلك الفتاة، فرمت بحقيبتها جانباً، وهمت تفرقع أصابع يديها عندما انتبهت فجأة لأمر ما، ما الذي جرى لخواتمها؟

عندها انتبهت للهواء الذي يلفح جلد رقبتها، اين هو الإحساس بالذهب الثقيل حوله؟ فمررت يديها على عنقها بهلع، لم يكن العقد بمكانه، نظرت للفتاة أمامها، ثم شاهدت ذلك الشاب من

خلفها يجري مبتعداً، فادركت كل شيء دفعة واحدة، وصرخت به:
- ايها اللص الحقيبيير.

دفعت الفتاة بكل قوتها، وجرت خلفه وهي تصرخ مستنجدة:

- ليوقف احدكم هذا اللص في الحال.

بعد عدة دقائق من المطاردة، بدا الشاب يجري بغير اكرات، فحتى لو قرر السير الآن، لن تستطيع تلك السيدة السمينة أن تلحق به، كان يتوقف عند المنعطفات ينظر إليها بابتسامة مستهزئة،

أما هي فكانت تلهث من شدة التعب، تتوقف لتلقط أنفاسها بين دقيقة وأخرى، وهي تشير ناحيتهم مستنجدة بالمارة، ومن سوء حظها لم يكن هنالك من هو مستعد لتقديم

المساعدة، فتوقف الشاب واقترب منها، انحنى قليلا والقي نظرة على وجهها متسائلاً:

- أنت لن تموتي الآن، اليس كذلك؟

كانت تلهث وهي ممسكة بصدرها بيد، وتلوح ناحيته بيدها الأخرى، لكنه تراجع بكل رشاقة، ثم دس يديه بجيبه سترته وأخرج مجوهراتها التي سرقتها بالحانة، لوح بها بالهواء ليقول

مستهزئاً:

- كان الأمر أسهل من سرقة حلوى من طفل.

وهنا سمع الاثنان صوت رجال الشرطة، والذين جروا ناحيتهم بقبعاتهم الطويلة، ولباسهم الرمادي الموحد، التف الشاب ناحيتهم وقبل أن يتمكن من الفرار انقض عليه خمسة رجال

دفعة واحدة، وطرحوه أرضاً بطرفة عين، عندها هللت تلك السيدة ولا تزال منقطعة الأنفس.

في بناء مركز الشرطة، والذي كان بمنتصف السوق تقريباً، جلس قائد الشرطة أمام ذلك الشاب ليقول:

- تلك السيدة تتهمك بسرقتها، هل هذا صحيح؟

أسند الشاب ظهره للكرسي، بينما كانت يداه مكبلتين للخلف، ومع هذا، وضع ساقا فوق الأخرى ليتحدث بكل ثقة وجرأة:

- إنها هي من حاولت التحرش بي، ولدي شهود على ذلك.

ارتبك قائد الشرطة ونظر بتمعن للشاب أمامه، نزل العرق من على جبينه، فهذا الشاب يبدو صغيراً بالسن فعلاً، وإن ثبت تحرش تلك السيدة الكبيرة به فسيقع بورطة، إنها تنتمي

لعائلة نبيلة ومعروفة بالأرجاء، كيف بإمكانه حل هذا الخلاف من دون التشهير بها؟ مسح العرق باستخدام منديله، بينما صرخت السيدة السمينة خلفه معترضة:

- هل ستصدق ما يقوله هذا اللص؟ الم يقبض عليه رجالك وهو ممسك بمجوهراتي؟

انحنى الشاب للأمام وهمس لقائد الشرطة قائلاً:

- استمررت برفض طلبها فلحقت بي بالأرجاء كالمجنونة، هي لم تياس وعرضت علي اخذ مجوهراتها بالمقابل.

جن جنون تلك السيدة بالفعل، واخذت تصرخ وتتوعد، أرادت الانقضاض على الشاب متجاهلة عناصر الشرطة، والذين وقفوا غير عالمين ما عليهم فعله، لكن قائد الشرطة أوقفها

وطلب منها أن تهدأ حتى يتمكن من حل الأمر بشكل ودي، وبدقائق قليلة كانت قد هدأت تماماً، تحدث معها القائد وطلب منها التنازل عن اتهام السرقة، وهو بدوره سيقنع الشاب بالتنازل

عن اتهام التحرش، كان كل شيء يسير كما أراد قائد الشرطة، فنهض من مكانه ووجه حديثه لأحد رجاله أمراً:

- فك قيد الشاب وخذه للغرفة المجاورة حتى اتحدث معه على الفراد وأقنعه بالتنازل أيضاً.

فعل الشرطي ما أمر به، فتح الأغلال، فأمسك الشاب بمعصميه ودلكهما قائلاً بنبرة مستهزئة:

- لقد كان ذلك العقد يصرخ مستنجدا لأخلصه من تلك الرقبة المشحمة.

وقبل أن يدرك أي منهم كانت تلك السيدة بطريقها ناحية الشاب، وقد انفجرت غضبا من جديد، ارتمت بجسدها الثقيل عليه، وحاولت ضربه، فأشار قائد الشرطة للرجال من حوله

حتى يفكوا الخلاف الحاصل، كانوا جميعاً على الأرض يتصارعون لإزاحة السيدة السمينة، وفي النهاية تمكن أحد رجال الشرطة من سحب الشاب بعيداً، فصرخ قائد الشرطة بالجميع، لقد

اكتفى من هذه المهزلة، طلب حبس الشاب، ريثما يتمكن من تهدئة السيدة السمينة من جديد.

اقتاد أحد عناصر الشرطة الشاب إلى إحدى الزنانات كما أمر قائد الشرطة، دفعه للداخل واغلق الباب ليقول غاضباً:

- لقد أفسدت الأمر على نفسك أيها الغبي.

ثم ابتعد الشرطي عن الزنزانة وهو يتمتم متذمراً:

- أبناء القمر لا يجلبون سوى المشاكل.

عاد بعدها الشرطي إلى حيث كانت السيدة السمينة تصرخ غاضبة، أما بالنسبة لذلك الشاب فجلس بهدوء داخل الزنزانة، رغم كونه أصبح بعيداً إلا أنه لا يزال بإمكانه سماع صوت

السيدة المزعج من هنا، فاخفت الابتسامة التي كانت مرتسمة على وجهه، وحل محلها نظرة أكثر جدية، مد يده إلى جيب سترته وأخرج سلسلة مفاتيح، رفعها عالياً ونظر إلى كل

المفاتيح المعلقة بها، فقبل قليل عندما أهان السيدة السمينة وانقضت عليه، واندفع معها رجال الشرطة لفك الخلاف، فاستغل هو الفرصة وسرق سلسلة المفاتيح من احد الرجال.

أغلق عينه اليمنى، وأنصت جيداً، وفي اللحظة التي تأكد من أن الجميع لا يزالون منشغلين هناك، فتح عينه، وسار ناحية الباب، وضع المفتاح بالقفل ودفع الباب فأصدر صريراً

لاحتكاك الحديد الصدى، أطل برأسه أولاً وتفقد الممر، ثم خرج وسار بين الزنازين، مر بجانب بعضها متجاهلاً من بها، حتى وصل إلى زنزانة معينة، وقف أمام قضبانها الحديدية، وطرق

على أحدها بالمفاتيح التي بيده، فتحرك جسد ما داخلها كان يجلس أرضاً، لكنه ما إن شاهد ذلك الشاب حتى تحرك بسرعة ناحيته، اقترب وأمسك بالقضبان الحديدية ليقول فرحاً:

- ليون! وأخيراً أتى أحدهم لإخراجي.

رمقه ليون بنظرة غاضبة ليقول:

- غيلبرت أيها المغفل، كان عليك أن تكون أكثر حذراً.

- هذا لا يهم، هيا أسرع وأخرجني من هنا.

علق ليون سلسلة المفاتيح بأصبع يده، ورفعها أمام عيني غيلبرت، ترنحت بالهواء كرقاص الساعة، وتحركت معها حدقتي غيلبرت العسليتين بلهفة، وفجأة سحب ليون السلسلة

واطبق عليها بيده محاولاً استفزاز صاحبه:

- سأخرجك بشرط واحد.

غضب غيلبرت ومد يده خارج القضبان، محاولاً الوصول للمفاتيح بيأس:

- ليون أيها السخيف، انت تضيع الوقت، قد يأتي احدهم الآن بأي لحظة.

وبعد عدة محاولات فاشلة، انزل غيلبرت يده مستسلماً ليقول حانقاً:

- حسناً حسناً، ما هو شرطك؟

ابتسم ليون بخبث، وأخبر غيلبرت بطلبه، ففتح الأخير فمه ليقول بدهشة:

- كنت اعتقد بأن نهايتي ستكون على يد البشر، لكن يبدو بأنها ستكون على يديك انت.

امال ليون رأسه وهو يشير إلى المفاتيح، فتهد غيلبرت قائلاً:

- لك ما أردت، والآن أسرع وأخرجني من هذا المكان القدر.

تمكن الاثنان من الخروج بكل سهولة من مركز الشرطة، فلم ينتبه أحد لهما وسط تلك الفوضى، سارا بالشوارع المزدهمة، كان غيلبرت متخلفاً ببضع خطوات عن صاحبه، يمتع عينيه

بالمناظر من حوله، فقد كان حبيساً لما يقارب الأسبوع حتى الآن، مدد ذراعيه، وملا رئتيه بالهواء النقي، ثم نادى:

- ليون ... ليون ...

لم يجبه ليون، واستمر يسير شاردا بالمقدمة، فعاد غيلبرت لينادي بصوت أعلى:

- توقف يا ليون تبا .. كولين.

توقف أخيراً بعد سماع اسمه، فتمتم غيلبرت محدثاً نفسه:

- حتى بعد كل هذه السنوات.

استدار ناحية غيلبرت وكأنه قد أفاق للتو من حلم ما ليسال:

- ما الذي تريده؟

جرى غيلبرت حتى أصبح بقربه وقال:

- ألا يمكنك ان تسير على مهل؟ ... أخبرني ما الذي جرى خلال غيابي؟

هل تمكنتم من إيجاد أي شيء؟

عاد ليون ومشى ليسبق صاحبه، ثم اجاب باقتضاب:

- ليس الكثير.

- ليس الكثير! هذا يعني بأنكم قد عثرتم على شيء ما.

بدا فرحاً وهو يقولها، وفجأة رمى ليون بشيء ما ناحيته، التمتع بالهواء قبل

أن يلتقطه غيلبرت بيديه الاثنتين، تفحصه بعناية وما لبثت أن اتسعت

حدقتاه العسليتان بدهشة، فبادر

ليون قائلاً:

- إنه خاتمها، أليس كذلك؟

احكم غيلبرت قبضته على الخاتم الذهبي، ثم سأل غاضباً:

- أين وجدته؟

- كان مع تلك السيدة السمينة.

عندما شاهد ليون السيدة السمينة في الحانة، أول ما لاحظته كان الخاتم

الصغير، والذي لم تكذ تتمكن من حشره بخنصر يدها، لهذا قام بالتقرب

منها ثم سرقه.

- كنت قد وصلت لطريق مسدودة بالحانة، وقررت أنه من الأفضل أن أجد

وسيلة لإخراجك، عندها فقط رايته بيدها مصادفة.

رمقه غيلبرت بنظرة جانبية، ليقول حانقاً:

- أيها النذل، إذا كان بإمكانك أن تخرجني باي وقت .. انتظر! أعني هذا بأن تلك السيدة وراء اختفاء دورثي؟
- لا أدري، هذا ما نحن على وشك اكتشافه الآن.
- قالها مبتسماً وهو يرفع رأسه ناحية منزل ضخم أمامهما:
- كنت قد سألت الساقى في الحانة عن تلك السيدة، إن كان يعرف من هي أو أين تسكن.
- وقف غيلبرت بجانب ليون، وحدث بالمنزل الضخم هو الآخر، ثم قال:
- إذا هي تسكن هنا.
- هز ليون رأسه نفيًا، ثم قال مفسراً:
- هذا أحد مساكنها الكثيرة، هي تعيش بقصر بمنتصف العاصمة، لكنها تأتي للمبيت هنا عندما تتردد للحانة حتى وقت متأخر.

رفع ليون رأسه أكثر ونظر للسماء القائمة ليقول:

- علينا أن نسرع قبل أن ينقشع الغيم.

انحسار الغيوم، أو عودة تلك السيدة، في كلا الحالتين عليهما الإسراع قدر الإمكان، عبرا السور العالي، وتسلا خلف المنزل بخفة، كانت هنالك نافذة مفتوحة، فدخلوا عبرها، من الوهلة

الأولى عرفا بأن المنزل فارغ تماماً حتى من الخدم، مظلم ولا حياة به، فأخذ غيلبرت يشتم المكان وكأنه كلب حراسة، دس أنفه بين الستائر والوسائد وقطع الأثاث، بحث عن رائحة دورثي بكل مكان، ثم تنهد بيأس ليقول:

- هنالك رائحة خفيفة لها، لا شك بأنها كانت هنا بوقت ما، لكنها ليست هنا الآن.

رفع رأسه ونظر حوله، لم يكن يعرف ما عليه البحث عنه تحديداً، أي دليل قد يقودهما إليها الآن؟ وهنا وقع نظره على ليون، كان يبحث بالأرجاء، لكنه بدا شارداً بعض الشيء فسأله:

- أصدقني القول يا ليون، هل تكترث حتى لأمر دورثي؟ أم أنك تفعلها فقط لأن السيدة طلبت منك ذلك؟

فتح ليون إحدى الخزائن، ثم قال مجيباً:

- ماذا عنك، اتهم أنت لأمرها؟

- لا تجب عن سؤالي بسؤال آخر، وبالطبع أكثرث لأمرها، فهي من العائلة.

تنهيدة ساخرة صدرت من ليون، الذي سحب زجاجة ما من الخزانة التي فتحها للتو:

- من العائلة! أي غريب اطوار انت يا غيلبرت؟ اقسم بأنك بشري أكثر من البشر أنفسهم.

- أتسخر مني؟

قالها حانقاً، فأجابه ليون وقد زالت ابتسامته تماماً:

- وهل يحق لي ان أسخر منك حتى؟

ثم فتح غطاء الزجاجاة التي أخرجها، وفجأة التمعت عينا غيلبرت، وبرزت أنيابه دون سابق إنذار، أدار ليون رأسه ناحيته، وقد أجفله تحول صاحبه المفاجئ، فنادى بتوجس:

- غيلبرت؟

وكان غمامة ما قد سيطرت عليه، تقدم غيلبرت ناحية ليون على مهل، فترك الأخير الزجاجاة المفتوحة على المنضدة بجانبه، واستدار بالكامل استعداداً للمواجهة إن استدعى الأمر:

- غيلبرت ... سيطر على نفسك.

لكن ما من استجابة، فتساءل ليون بين نفسه، ما الذي حفز غيلبرت فجأة؟ كانا يتحدثان كما يفعلان دائماً، ثم نظر ليديه، هل جرح نفسه دون أن يشعر؟ تفقد جسده أولاً قبل أن

تلتقط عينه اليمنى الزجاجاة المفتوحة بجانبه:

- أيعقل ان يكون ما في الزجاجاة؟

وعلى مهل أعاد الغطاء وحشره بفوهة القنينة، ضغط عليه بإحكام، وبالتزامن مع هذا عاد غيلبرت لرشده، وعاد اللون العسلي لعينييه، فقال وهو ممسك برأسه بغير فهم:

- ما الذي جرى لي للتو؟

- فقدت السيطرة على نفسك.

ثم رفع الزجاجاة مازحاً:

- أترغب بأن نعيد الكرة؟

- لا لا تفعل.

وثب غيلبرت للخلف، واختبأ خلف الكنبه كطفل صغير، فضحك ليون وهو يرج الزجاجة بين يديه قائلاً:

- اتعتقد بأنهم يستخدمون الدماء لصنعها الآن؟

رغم أنه قالها مازحاً، إلا أن الفكرة قد علقت برأسه، إلى أي مرحلة سيتدنى مستوى البشر؟ فنظر إلى غيلبرت وقال له بجدية:

- اتعلم، هذه فكرة ليست بمستحيلة.

غطى غيلبرت أنفه وفمه بيديه الاثنتين قائلاً:

- إياك أن تفتحها، أسمع؟ أنا لم أرتشف قطرة دم واحدة طوال الأسبوع الذي حبست به، لا أدري لأي مدى قد أخرج عن السيطرة الآن.

وفجأة سمع الاثنان صوت البوابة الرئيسية، تلاه صوت تذر أحدهم، إنها السيدة السمينه وقد عادت للمنزل للتو، كانت تتحدث عن الأهوال التي ذاقتها بالساعات الأخيرة بمركز

الشرطة، اقترب صوتها أكثر وأكثر، فقد كانت بطريقها إلى حيث كانا يتواجدان، فأشار ليون لـ غيلبرت ناحية النافذة التي تسلا منها.

- أريدك أن ترفع شكوى لمجلس البلدية، لا يمكنني أن أسكت عن الإهانة التي تعرضت لها بمركز الشرطة اليوم.

جلست السيدة على إحدى الكنبات، ومساعدتها يقف بجانبها يستمع لانتقاداتها، ولم يكن هو الشخص الوحيد، حيث أن كل من ليون و غيلبرت كانا يسترقان السمع من تحت إطار

النافذة، بينما أضافت قائلة:

- اي حظ عاثر هذا الذي أصابني مؤخراً؟ اللصوص ينجذبون لي كما ينجذب النحل حول خلية العسل، أولاً الأطفال، والآن ذلك الشاب المحتال.

- تنهدت وهي تنظر إلى يدها الخالية من المجوهرات، فقال مساعدتها:
- لكن يا سيدتي لا اعتقد بان الأطفال كانوا لصوصاً، فالطفلة الأخيرة التي تسالت للمنزل بدت ابنة عائلة ثرية، حتى إنها كانت ترتدي بعض الحلبي غالي الثمن، ربما كان من الخطأ اخذك لمجوهراتها ورميها هكذا.
- نظرت إليه بتوجس، ثم سألت:
- سامويل! لا تقل لي بأنك لم تنفذ ما أمرتك بفعله.
- ارتبك مساعدتها، ثم انحنى معذراً:
- آسف يا سيدتي، ما كان ينبغي بأن أؤدي رأيي بهذا الشكل، كوني على ثقة بانني قد فعلت كما أمرت، لقد القيت بها عند حدود السهول القريبة كما أردت.
- اسندت ظهرها بارتياح على الكنب، ثم قالت:
- أنا لست بشخص سيئ يا سامويل، فلو كنت كذلك لكنت تلك الفتاة ميتة هنا، أو حبيسة بزنازة ما، لكنني فضلت أن أعطيها فرصة أخيرة ليجدها تجار العبيد الذين يهيمنون بتلك المنطقة، فإن أصبحت عبدة عندها ستحظى بمكان مناسب للعيش ولن تضطر للسرقة مجدداً.
- حكيمة يا سيدتي، ما كنت لأفكر بتلك الطريقة العبقرية.
- لا بأس، لا بأس يا سامويل، والآن حضر لي حماماً ساخناً، أريد أن أغتسل بعد كل تلك الفوضى.
- اصطكت اسنان غيلبرت خارجاً، بينما أمسك ليون بذراعه بإحكام حتى لا ينقض على السيدة بالداخل، وقال له هامساً:
- تماالك نفسك، على الأقل نحن نعلم أين هي الآن.
- تمكن الاثنان من سرقة حصانين من إسطنبول قريب، وذهبا إلى حيث أشار مساعد السيدة السمينية، قطعا السهول الواسعة، يبحثان غير عالمين إن كانت دورثي ستكون في المكان

نفسه او ان احدا آخر قد وصل إليها قبلهما، أحكم غيلبرت قبضتيه على اللجام وقال:

- إن حصل لها أي شيء فانا السبب، لولا الجدل الذي حدث بيننا لما غادرت القصر بتلك الطريقة.

نظر إليه ليون دون ان يقول شيئاً، فأكمل مضيفاً:

- هذه المنطقة واسعة ومفتوحة، ما رأيك لو نبحت هناك عند تلك الأشجار.

أوماً له موافقاً، ثم وكز الاثنان فرسيهما وانطلقا ناحية الأشجار بعد البحيرة، ترجل غيلبرت أولاً من على حصانه واشتم الهواء الرطب، لعله يلتقط رائحة دورثي، كانت الرياح تتجه

من الشرق ناحية الغرب، أي عكس الاتجاه المطلوب، فحمل له الهواء شيئاً آخر، عبق لا يمكنه مقاومته مهما حاول، تلك كانت رائحة دماء ليون، فتذكر ردة فعله عندما فتح صاحبه الزجاجاة

قبل قليل فسأل:

- اتعتقد بأن رائحة ما بتلك الزجاجاة هو ما جذب دورثي لمنزل تلك السيدة؟

تمكن ليون من أخذ الزجاجاة معه، هي الآن مثبتة على سرج فرسه، فأمسك بها ليجيب:

- هذا ما أعتقده، كما أنه من الواضح بان دورثي لم تكن الوحيدة التي جذبتها هذه الرائحة، فالأطفال بالعادة لا يمكنهم المقاومة كما يفعل الكبار.

- كنا نتغذى على دماء الحيوانات فقط لفترة طويلة، لهذا بدت لي شهية لا تقاوم، هذه الزجاجاة تحمل دماء بشرية بلا شك.

ازدادت شدة الرياح، فالتمعت عينا غيلبرت مجدداً، وازدرد لعابة ليقول:

- ربما قطرة واحدة لن تضر.

أعاد ليون الزجاجاة لسرجه وثبتها بإحكام ثم قال معترضاً:

- إن كانت دماء بشرية فتلك مشكلة، لن أسمح لك بتذوقها يا غيلبرت.

لكن غيلبرت المتعطش بدا مصراً، لقد قاوم بما فيه الكفاية حتى الآن، اقترب أكثر من ليون، ولم تكن الزجاجة ما حفزه هذه المرة، أمسك ذراع صاحبه بقوة، وقال بعد أن بدأت انفاسه

بالتصاعد

- ماذا عنك أنت، إلا يمكن ان ...

كان خنجر ليون قد وصل لعنق غيلبرت حتى قبل أن يتمكن الأخير من إكمال جملة، فأجابه بهدوء فهدداً:

- افعلها وسأفصل راسك عن جسدك حتى قبل أن تدرك.

قطع النصل البارد الطبقة العلوية من جلد غيلبرت، وسالت قطرة دم منه بروية لتلطح ياقته البيضاء، فابتعد خطوة واحدة، وعاد للسيطرة على نفسه قائلاً:

- آسف، لنسرع قبل أن أفقد السيطرة مجدداً.

وافقه ليون، فعاد الاثنان للبحث مجدداً، وبعد ما يقارب سبع دقائق من السير المتواصل وجدا نفسيهما يقفان أمام تلك الشجرة، أسفلها فستان مرمي بإهمال، وحوله انتثر رماد

صاحبه، اقترب غيلبرت، وجثا على ركبته، حمل الثوب بين يديه، بينما مرغ ليون أصابع يده ببقعة الدماء الجافة والتي امتزجت بالترية، ثم قربها من أنفه، اشتمها ليقول:

- إنها لـ دورثي.

امسك غيلبرت الثوب وجعه بين يديه غاضباً، لقد تعرف عليه بالفعل، فقال:

- تباً لهم، كانت مجرد طفلة.

وفجأة انتبه ليون لصوت وقع خطوات يقترب من موقعهما، فأسرع ناحية غيلبرت وسحبه من ذراعه قائلاً:

- لنختبئ، هنالك من هو قادم ناحيتنا.

اسرع الاثنان بالاختباء خلف شجرتين مختلفتين، وبعد لحظات قليلة، وصل صاحب الصوت للموقع، تفقد المكان ثم توجه ناحية الثوب المرمي هناك، حمله وتفحصه، بحث بجيوبه،

عندها لم يتحمل غيلبرت الأمر لأكثر من ذلك، ترك مكانه خلف الشجرة، وأشعت عيناه غيظاً بينما يقترب من الصبي.

- إن اقتربت فلن أتردد بقتلك.

قالها جو وهو يصوب وتده الخشبي ناحية غيلبرت، فتوقف الأخير بعد أن شاهد ليون يترك موقعه ويتسلل خلف الصبي هامساً بأذنه:

- هل أنت من قتل تلك الفتاة؟

انتفض جو بموقعه، لقد تمت محاصرته، عليه التصرف בזكاء الآن، وإلا أصبح طعاماً لهذين الوحشين، فأنزل الود الخشبي على مهل ورماه أرضاً، لقد خالف بالفعل القاعدة الأولى،

لهذا لن يفيدته التشبث باي قاعدة أخرى الآن، ثم رفع يديه بالهواء مستسلماً، ازدد لعابه، ثم قال وهو ينظر ناحية الثوب:

- هل ستصدقان إن قلت بالنبي قد حاولت إنقاذها.

على بعد عدة أميال، جرى حصان الكونت رايموند بأقصى سرعة ممكنة، ولحقه أخوه كيث ممتطياً حصانه هو الآخر، كانا بطريقهما إلى جو بعد أن قرأ كلاهما الرسالة التي تركها في

غرفته ووجدتها الخادمة.

تصاعدت انفاس غيلبرت غيظاً بعد الذي سمعه للتو، أبحاول ذلك الصبي السخرية منهما؟ فاندفع مزجراً ناحية جو، الذي أغلق عينيه، ووضع ذراعيه بوضع متصالب أمام وجهه

مدافعاً، توقع ان تشقه مخالب مخلوق الليل المندفع باي لحظة الآن، ولكن لم يحدث أي شيء، أصبح المكان هادئاً فجأة، ففتح جو عينيه، وأزاح ذراعيه على مهل، فشاهد الشخص الذي

كان خلفه وقد أصبح أمامه الآن، تمكن من إيقاف صاحبه المندفع بحركة واحدة من يده، ثم تحدث قائلاً:

- دعنا نستمع إليه أولاً.

سقط جو أرضاً، لم يصدق بأن ما قاله قد اثر بأحدهما بالفعل، فالتفت لليون ناحيته، نظر إلى الوتد الخشبي المرمي أرضاً بجانبه أولاً، ثم رمق جو بنظرة حادة، انحنى واقترب أكثر حتى لم يعد يفصل بين وجهيهما سوى شبر واحد، ابتسم بطريقة محيرة ثم قال:

- إن لم يعجب كلامك صاحبي هناك، فلن أكلف نفسي عناء إيقافه مجدداً، إنه عطش لدرجة لن تتصورها، أتفهم ما أعنيه؟
وضع جو يده على عنقه، وازدرد لعابه ليومئ متأثراً:
- بال تأكيد د.

وصل رايموند إلى حدود الأشجار، وتمكن من رؤية فرس ابنه جو مربوطاً إلى جذع إحدى الأشجار، فترجل من على ظهر حصانه واندفع قائلاً:
إنه فرس جو.

كان كيث قد وصل للتو، دار حصانه في مكانه، بينما نظر هو للمكان من حوله، فقال وهو يترجل من على ظهر الحصان:
- كأنني قد لمحت بعض الخيول في ذلك الاتجاه.
- انس أمر الخيول، علينا أن نلحق بـ جو.

امسك غيلبرت جو من ياقته، شده ناحيته ثم رفعه لأعلى، وبمشقة تمكن الصبي من الوقوف على أطراف أصابعه:

- قلت بانك قد حاولت إنقاذها، هذا يعني بأنك تعرف هوية قاتلها.
امسك جو بيد غيلبرت، بينما حدق بـ ليون الواقف هناك، على الأرجح بأنه لن يفعل شيئاً للمساعدة إن قرر غيلبرت قتله الآن، ففتح فمه قائلاً:
- معك حق، انا اعرف هوية القاتل.

صرخ غيلبرت بوجهه، وبرزت انيايه الحادة ليسال:

- أخبرني من هو؟

أغمض جو عينيه مجيباً غيلبرت بالفعال:

- آسف لا يمكنني فعل ذلك، إن أخبرتك الآن فستذهب لقتله، قل لي ما الذي ستجنيه من هذا؟ ربما سيقتلونك أنت أيضاً، أو ربما سيستخدمونك للعثور على وكركم وعندها .. وعندها

نزلت دموع جو بحسرة، وهو يتذكر ما قاله والده عن الحادثة التي أدت لمقتل والدته، فتقدم ليون وأمسك بيد غيلبرت، انزل يديه على مهل، ونزل معها جو، شيء ما تحرك بداخله

عندما شاهد الصبي يبكي بحسرة، فقال وكأنه قد سلم بالأمر:

- أيمكننا على الأقل استرجاع عظامها.

زار غيلبرت بوجه ليون ليقول:

- ما الذي تقوله يا ليون؟ هل ستسمح له بالرحيل هكذا؟ أيكفي أن نسترجع عظامها فقط؟ أنا لن أقبل بهذا ...

ارتجف صوت غيلبرت، وخفت لون عينيه ليقول مضيفاً:

- أنت لا تهتم لأمرها كما توقعت، بل أنت لا تهتم لأي منا، مازلت حاقدا علينا أليس كذلك؟

نزل ليون أرضاً والتقط حقيبة جو، حشر الود الخشبي بها ليقول متجاهلاً غيلبرت:

- خذ حقيبتك وعد للمنزل أيها الصبي، إن كان بمقدورك إعادة عظامها، فضعها هنا عند هذه الشجرة وسنعود لأخذها.

توقفت دموع جو، وجمد بدهشة، نظر للشجرة فتذكر بكاء مصاصة الدماء التي قتلها عمه هناك، كيف كانت تبكي الما قبل وصولهم، والآن هذان الاثنان، أحدهما حزين لفقدانها،

والآخر يحاول حقن الدماء كما هو واضح، أي صورة عليه تصديقها؟ أهم فعلا وحوش متعطشة للدماء بلا أي مشاعر كما يقول والده وعمه؟

"انتبه يا جو، لا تتخدع بذلك المنظر البريء، فخلفه وحش لا يعرف الرحمة"

"لا تتخدع بمظهرهم يا بني، ولا تستمع لأي كلمة يقولونها، إنهم وحوش بمرتبة أدنى حتى من الحيوانات"

مسح جو دموعه، وأخذ الحقيبة من يد ليون، ثم استقام من موضعه، ولم يجرأ على قول اي شيء، بدأت السماء تبرق وتفرقع منذرة بهطول المطر أخيراً، فتوجه ليون ناحية فستان دورثي واخذه ليقول:

- كانت المهمة تقتضي إعادة دورثي، ولا شيء أكثر من ذلك ...

ثم نظر ناحية غيلبرت ليكمل:

- لنعد للمنزل فقط.

تحرك ليون ناحية غيلبرت ليحثه على المغادرة، وإذا به يستمع إلى اصوات تنادي من بعيد، كان رايموند وكيث يبحثان عن جو وهما يناديان باسمه باستمرار، فأدار جو راسه كاستجابة منه،

عندها علم ليون بأنهما في ورطة، تحفزت كل غرائزه دفعة واحدة، وبلحظة أصبح خلف جو، فهمس بأذنه قائلاً:

- إذا اسمك جو.

أوماً له جو دون أن يجرأ على الالتفاف والنظر إليه الآن، فقال ليون بالمقابل:

- علي ان اعتذر لك يا جو.

- ما الذي تعتد ...

ولم يكد الصبي من إكمال سؤاله حتى انهار بين يدي ليون، فقد ضربه الأخير بمؤخرة رأسه وافقده الوعي، ثم حمله ووضعته فوق بقعة الدماء هناك، بينما راقبه غيلبرت دون أن

يتدخل، أو يفهم لم تصرف بتلك الطريقة:

- ما الذي تفعله؟

أشار ليون إلى حقيبة جو ثم أجاب قائلاً:

- تلك المعدات تعني بأنه من عائلة صيادين.

حمل ليون ثوب دورثي وأضاف:

- علينا أن نسرع بالهرب، سيكسبنا هذا الصبي بعض الوقت.

جرى الاثنان مبتعدين عن موقع جو، بينما كان كيث ورايموند قد وصلا وشاهداه هناك، فاندفع رايموند ناحية ابنه، وكما أراد ليون فقد انخدع الكونت بمنظر ابنه وبقعة الدماء أسفله،

أخذ يهزه وهو يحاول معرفة ما حصل له، بينما كان كيث أكثر وعياً من أخيه، تلفت حوله بحرص، عندها وقعت عيناه على جسمين بدا كنقطتين بعيدتين تحاولان الهرب بعيداً، فأمسك

بقوسه، واستل سهماً من حقيبته خلف ظهره، ثبته على الخيط، وسحبه وهو يوجه رأسه الحاد ناحية أحد الهاربين، بينما كان الشخص الآخر بعيداً عن مجال الإطلاق، ضيق كيث جفن

عينه، وأخذ نفساً عميقاً ثم اطلق سهمه ناحية هدفه، طار السهم ليشق الهواء بسرعة فائقة، وبلحظة اخترق ظهر أحد الهاربين وأكمل حتى ظهر راسه ملطخاً بالدماء من الجهة الأخرى،

فتعثر غيلبرت من المفاجأة وسقط أرضاً، شعر وكان صاعقة كانت قد سرت بجسده، حاول النهوض وأمسك برأس السهم، أراد إخراجه لولا أن أوقفه ليون بانفعال:

- لا تفعل، ليس هنا.

ثم أمسك ليون غيلبرت من ذراعه وسحبه ليكملا طريقهما، أما كيث الذي عرف بأنه قد نجح بإصابة احدهما، أنزل قوسه وقال لأخيه:

- اهتم بـ جو، وسأذهب أنا خلفهما.

جرى بعدها بسرعة ناحية الطريقتين، بينما في الجهة الأخرى تمكن ليون غيلبرت من الوصول إلى موقع الحصانين، فساعد ليون صاحبه على الصعود أولاً، ثم امتطى هو حصانه

وانطلقا مبتعدين، بدأت بعدها زخات المطر بالانهمار، كانا قد قطعاً مسافة كبيرة دون أن يكون هنالك أثر لمطاردهما، وقبل أن يصبحا على بعد مسافة آمنة، ظهر كيث على ظهر حصانه من

بين الأشجار، كان قد تأخر قليلاً لأنه ذهب لإحضار حصانه من الجهة الأخرى، لكنه يعلم أن بمقدوره تعويض الوقت المهدور، وتقليل المسافة بينهم، اندفع كيث بسرعة في الطريق نفسها

التي قصدها ليون وغيلبرت، خاصة وأنه كان من السهل ملاحظة آثار حوافر الحصانين، كان ليون ينفق الطريق خلفهما بين دقيقة وأخرى، ليتأكد فقط، ولكنه لاحظ شيئاً آخر، بدأ غيلبرت

يخفف من سرعته تدريجياً حتى توقف حصانه تماماً، وبلحظة أوطأ غيلبرت رأسه وترنح بموضعه قليلاً، ثم مال لجهة اليسار، وسقط بعدها من على سرجه، فقفز ليون من على

حصانه وتوجه ناحيته فرعاً، أمسك به وهزه منادياً عليه:

- غيلبرت! غيلبرت ما الذي جرى؟

كان الوضع غريباً، تفقد ليون جرح غيلبرت، والسهم الذي لا يزال يخترق جسده، شيء سخيف كهذا ما كان ليقع مصاص دماء بالغ بتلك الطريقة، تصاعدت أنفاسه بتوتر، ونظر

للمنطقة من حوله، عليه التصرف بسرعة، عندها انتبه لوجود كوخ علف صغير على مسافة قريبة، ومن حسن حظهما بأن المكان مهجور، فحمل غيلبرت لداخل الكوخ، وضعه فوق كومة من

العلف الجاف، ثم جلس على ركبتيه بجانبه، فكر بسحب السهم عدة مرات الآن، لكنه إن فعل فسيزف غيلبرت بلا توقف، وهو كان بوضع سيئ حتى قبل إصابته، بإمكانه أن يضحى بأحد الحصانين بالخارج ليشبع عطش صاحبه، لكن هل سيجدي نفعاً أن فقد غيلبرت السيطرة على نفسه كلياً؟

مرت الدقائق وشحب معها لون صاحبه أكثر وأكثر، بينما برقت السماء خارجاً

بضراوة، واشتد تساقط المطر، عليه اتخاذ قراره الآن، وأخيراً أمسك بالسهم وسحبه خارجاً، تطايرت الدماء واندفعت بعيداً، صرخ غيلبرت معها الماء، فتصاعدت انفاسه، والتمعت عيناه،

برزت أنيابه وكأنها تبحث عما يسكت جوعه الآن، كوحش بلا وعي بحثت عيناه الحمر اوان يمينا وشمالا، وقبل أن تستقر، وجدت ذراع ليون وقد امتدت:

- ستتحقق أمنيتك اليوم.

كان ليون قد خلع معطفه، وسحب كم قميصه للخلف، مد ذراعه اليسرى أمام فم غيلبرت، الذي انقض بلا هوادة، أمسك بذراع ليون، وغرز أنيابه عميقاً، أخذ يتجرع الدماء بسرعة

فائقة دون توقف، بينما عض ليون على أسنانه مانعاً نفسه من الصراخ بصوت مسموع.

في الخارج وعلى بعد قريب، أوصلت آثار الحوافر كيث إلى كوخ العلف، كان قد شاهد اثر سقطة غيلبرت على الأرض، فعرف بأن سلاحه الجديد قد أعطى مفعوله، عندها ابتسم

برضا واكمل طريقه إلى الكوخ، تقدم بحذر وهو يعلم بأن طريدته لها المقدرة على شم دمه والتنبؤ بوصوله، خطى ناحية الباب وهو يصوب سهمه أمامه، لكنه لم يعثر على أحد هناك، كل

ما وجده هو آثار الدماء المتناثرة بارحاء المكان، فخرج مسرعاً، والتف خلف الكوخ، بحث عن الحصانين فلم يجدهما، فنظر إلى الأرض الموحلة وتمكن من رصد آثار الحوافر، لكن ما أربكه

هو أن الآثار قد انقسمت لطريقين متنافرين، أحدهما يتجه شرقاً، بينما الآخر قد ذهب غرباً، هل هذه خدعة ما؟ لم سينفصلان الآن؟ هو يعلم بأن أحدهما لن يكون بوضع جيد الآن ليهرب

لوحده، فانحني كيث ومد يده ناحية الآثار، مرر أصابعه عليها، عندها ابتسم ابتسامة المنتصر، فآثار الحوافر المتجهة غرباً أكثر عمقاً بالترربة من تلك المتجهة شرقاً، هذا يعني بأن حمولة

الحصان أكبر، ولن يحدث هذا إلا إذا كان الاثنان يركبان فوق حصان واحد، بينما أطلقا الحصان الآخر بالجهة المقابلة بهدف التضليل، فاستقام من موضعه وجرى ناحية حصانه، صعد فوقه ووكزه ليذهب خلف الآثار المتجهة غرباً.

أمسك ليون بجسد غيلبرت فاقد الوعي أمامه، بينما استخدم اليد الأخرى ليحكم قبضته على لجام الحصان، انطلق بأقصى سرعة ممكنة، وهو يأمل بأن تكون حيلته قد انطلت على

مطارده، وبعد مدة من الجري المتواصل، بدأت أمارات التعب تظهر على الحصان، أخذت خطواته تخف تدريجياً بسبب وزن الشابين والجري المتواصل تحت المطر، فسحب ليون اللجام وأوقفه، ثم استدار ينظر خلفه.

جرى حصان كيث خلف الآثار بسرعة كبيرة، وبعد فترة لاحظ تقارب آثار الحوافر من بعضها بعضاً، هذا يعني بأن حصانها بدأ يخفف من سرعته، إنه قريب جداً من طريدته الآن،

وبعد عدة دقائق تمكن كيث من رؤية الحصان الواقف هناك أمامه، اعتقد بأنه سيرقص فرحاً، لكنه شتم نفسه بصوت عال:

- تبأ يا لي من احمق.

بعد أن أراح ليون حصانه لبضع دقائق، وكزه وانطلق مجدداً وهو يعلم الآن بأن خطته قد نجحت، فقبل أن يهرب هو وغيلبرت، قام بوضع جرابين جلديين وجدهما في كوخ العلف

فوق ظهر الحصان الآخر، ثم قام بملئهما بالمعدات المعدنية المتروكة هناك، ولم يتوقف حتى تأكد من أن الحمولة ثقيلة بما فيه الكفاية، ثم ضرب الحصان على مؤخرته بقوة حتى يجري

فزحاً بالجانب المعاكس لطريقهما، بالتأكد سيكتشف مطاردهما الخدعة عاجلاً أم آجلاً، وسيعود لتتبع الأثر الآخر، لكن عندها سيكون الأوان قد فات، فالمطر يشتد غزارة مع كل دقيقة،

وعن قريب سيمسح أي أثر لحوافر حصانها.

خرج الكونت رومان من غرفته وهو يلوح بعصاه التي تحمل رأساً مطعماً بأحجار الياقوت، وبخطى سريعة قصد شرفة الطابق الرابع، والتي كانت تمتد على طول الواجهة الأمامية

لقصر ستوكر، بناء ضخم، مقسم لأربع مبان متصلة على شكل مربع مفرغ من الوسط، يرتفع لخمس طوابق، وفي منتصفه حديقة بمساحة شاسعة. أسند الكونت يده على درابزين الشرفة

ونظر للسماء، فداعت نسمات الهواء لحيته البنية المشذبة، كان ابنه أوليفر قد سبقه هناك فقال بنبرة بدت ساخرة:

- يبدو بأن الوقت قد أدركهم بالفعل.

لم يقل الكونت أي شيء بالمقابل، واستمر بمراقبة السماء، الغيوم السوداء
القت بحمولتها التي احتفظت بها لفترة دامت لأسبوعين حتى هذه اللحظة،
وهي الآن على وشك الانقشاع،

وأن للشمس بأن تعود لتلقي بأشعتها الدافئة على الأرض الرطبة.

- ينتابني الفضول، من الذي ستحزن السيدة على فقدانه أكثر؟

كان أوليفر يسند ذراعيه على الدرايزين الشرفة وهو يلقي بسؤاله اعتباطاً،
وكانه أراد استقزاز والده، لكن الكونت رومان كان اشد واقوى من أن
يستفز بتلك الطريقة، فاستدار وعاد

أدراجه ناحية باب الشرفة، ثم قال لابنه:

- اذهب وتفقّد بقية إخوتك، تأكد من دخولهم، يكفي ما فقدناه حتى الآن.

ابتسم أوليفر بحيوية وهو يجيب:

- بالتأكيد، سأذهب الآن.

جلست بعينين ناعستين أمام المرأة بغرفتها، بينما كانت الخادمة تقف خلفها
تمشط شعرها الطويل الحريري، تحركت اسنان المشط بانسيابية بين
خصلاته البيضاء، لا تزال بجمالها

نفسه، فلم يخفت ولو قليلاً، اطالت النظر لنفسها في المرأة حتى شعرت
بالانزعاج من أمر ما، فلم يعجبها انعكاس منظر السماء خلفها، انتهت
الخادمة لذلك، عندها انحنت لتقول:

- سأذهب لإغلاق الستائر يا سيدتي.

ولكن سيدتها اعترضت لتقول بصوت هادئ:

- لا تفعلي.

ارتبكت الخادمة وأمسكت بالمشط بكلتا يديها، وخاصة بعد أن شاهدت
سيدتها وقد استقامت من موضعها، توجهت لليدي كورفينا للنافذة بينما
أرادت خادمتها أن توقفها، لكنها لم

تجرأ على فعل شيء كهذا وسيدتها بهذا المزاج العكر، وفجأة سمعتها
تقول:

- غادري الغرفة، فلم أعد بحاجة إليك.

انحنت الخادمة لسيدتها، وغادرت الغرفة كما طلب منها، فبقيت كورفينا لوحدها، تحقق عبر زجاج نافذتها الضخمة، تراقب حركة الغيوم السريعة، وبعد برهة، قامت بفتح النافذة

بكلتا يديها، وأخذت تستنشق نسيم الهواء خارجاً، أغلقت عينيها، وركزت قليلاً، وما هي إلا لحظات حتى عادت وفتحتهما مجدداً، يمكنها اشتمام رائحته، بات قريباً جداً، فأغلقت النافذة،

وغادرت غرفتها.

وقف الكونت رومان يراقب من خلال نافذة غرفته المطلّة على الحديقة التي تتوسط القصر، عيناها على ابنه أوليفر الذي كان يهم بإبلاغ بقية إخوته، وخاصة الصغار منهم بالعودة

للداخل، لقد انتهى وقت اللعب بالفعل، وهنا تحديداً سمع صوت احد صبية الإسطنبول يصرخ مشيراً لمقدمة القصر:

- إنهم بالطريق، إنهم بالطريق ليفتح أحدكم البوابة.

سمعه الجميع، فجرت إحدى الخاديمات ناحية البوابة الرئيسية، بينما غادر الكونت غرفته وتوجه للبهو الرئيسي، وكذلك فعل أوليفر وبعض من إخوته.

جري الحصان مسابقاً الريح وهو يحمل الشابين فوقه، وكزه ليون بإصرار بينما وضع معطفه الأسود فوق غيلبرت وقد حاوطه بذراعه، كان يأمل بأن يصل قبل انقشاع الغيم بعيداً،

ولكن إن لم يحدث ذلك، عليه إيصال غيلبرت سليماً على الأقل. تطايرت حبات الرمال الرطبة والحصى تحت حوافر الحصان، فظهر أول شعاع للشمس قريباً منهما، تسلل عبر شق صغير

بين غيمتين تحاولان الافتراق، ازداد الفراغ وتوسعت معه بقعة الضوء، ثم برز شعاع ضوء آخر أمامهما، كان عليه التخفيف من سرعة الحصان ومحاولة المناورة بين بقع الضوء التي بدأت

بالظهور الواحدة تلو الأخرى.

- لن يصلا في الوقت.

قالها أوليفر وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة طفيفة، فردت عليه اخته جوديث التي وصلت لتوها:

- ولم أنت فرح هكذا؟

رفع أوليفر رأسه ونظر لدرج البهو الرئيسي، الليدي لولا تقف هناك بتوتر، أحكمت قبضتيها على طرفي ثوبها، ولم تجرأ على النزول والانتظار عند البوابة، فأطلق أوليفر نخرة ساخرة ليقول:

- لم لا أكون فرحاً؟

نظرت جوديث إلى أخيها باشمئزاز ثم تركته لتقف عند البوابة بجانب الخدم وصبي الإسطبل.

لم يبق إلا القليل، بإمكانه رؤية الأبواب الحديدية للسور المحيط بقصر ستوكر، تمكن من اجتيازها، ها هو المدخل الرئيسي للقصر، كان مظلاً فتمكن من الوقوف أسفله، لقد وصل

أخيراً، فاندفع الخدم ناحيته، أزاح معطفه فبان لهم غيلبرت، عندها تقدم الكونت رومان وقال أمراً بصوته الغليظ:

- لياخذه أحدكم إلى غرفته.

راقبهم ليون بعين غائرة بينما لا يزال على ظهر الحصان، تنفس الصعداء أخيراً، بينما تسابقت حبات العرق نزلاً على رقبتة، وبجسد مرتجف ترجل من على السرج، كان لا يزال يشعر

بالدوار، ف غيلبرت كان قد امتص الكثير من دمه قبل هروبهما من كوخ العلف، أمسك بالسرج واخذ نفساً عميقاً قبل أن يلتفت وتتقابل عينه بعيني الليدي لونا، اقتربت منه وسألته بصوت مرتجف:

- اين هي؟ اين دورثي يا ليون؟

كانت يده لا تزال متشبثة بسرج الحصان، فمدها لأعلى وأنزل ثوب دورثي، ثم سلمه لها دون أن يقول شيئاً، أخذت الثوب واشتمته جيداً، كان ملطخاً بخليط من الدماء، الرماد

والمطر، عندها علمت أن ابنتها قد فارقت الحياة بغير رجعة، فقالت مستنكرة:

- كانت مجرد طفلة! كيف لهم أن يفعلوا هذا بطفلة؟

اكفهر وجه الكونت رومان فقال لها:

- تمالكي نفسك يا امرأة، ما الذي تتوقعينه من جنس البشر؟ إنهم وحوش يعيثون فساداً في الأرض، فقتل طفلة من بني جنسنا هو بمثابة قتل حشرة صغيرة بالنسبة لهم.

نظرت إليه غاضبة، وهي لا تزال تضم الفستان لصدرها، فقالت:

- تريدني أن أتمالك نفسي يا رومان؟

وفجأة رمت الفستان بوجهه قائلة:

- اتعلم كم طفلاً قد فقدت حتى الآن؟

زفرت غاضبة بوجهه، ثم استدارت لتعود إلى غرفتها، كان الجميع سيفعلون الشيء ذاته لولا أن الكونت قد ضرب بعصاه الأرض بقوة، ثم رفعها ووضعها أمام ليون موقفاً إياه، ثم قال

وأمارات الغضب قد بانّت على وجهه:

- اسبوعان يا ليون، تغيب لمدة أسبوعين لتعود بعدها ببقايا دورثي، وغيلبرت على شفير الموت، بينما أنت ...

ثم أشار بعصاه إلى بقع الدم على كم قميص ليون ليكمل:

- بينما أنت لا تحمل سوى هذا الخدش.

كان بقية أبناء الكونت يراقبون الموقف وقد رصدت أنوفهم سلفاً رائحة الدماء الشهية من ذراع ليون، كانت شيئاً يتوقون له بشدة، لكنه كان كالتفاحة المحرمة بالنسبة لهم. رفع

الكونت عصاه، أراد تفريغ غضبه، حتى لو على ذلك إراقة الدماء، أو ما قد يحدثه ذلك من فوضى بسبب وجود أبنائه هنا، كانت عصاه قد وصلت لمنصف الطريق قبل أن تتوقف بكلمة

واحدة صدرت من بين شفثيها الزهريتين:

- توقف.

رفعوا رؤوسهم لأعلى، فشاهدوها تقف هناك عند بداية درج البهو الرئيسي، تنظر إليهم بعينين ناعستين، نزلت الدرجات وثوبها الأبيض الطويل يزحف خلفها، فقال الكونت رومان:

- كورفيينا! اعتقدت بأنك نائمة.

حركت خصلات شعرها الأبيض جانباً، وبصوت هادئ قالت له:

- سأذهب لرؤية غيلبرت.

ثم حولت بصرها ببطء ناحية ليون لتقول:

- اما انت، فتوجه لغرفتي في الحال.

تحرك ليون متجاوزاً الكونت، صعد الدرجات فاصبح بجانبها تماماً، وقبل أن يتجاوزها صعوداً قالت:

- أقفل الباب وانتظرنني.

راقبت عينه الزرقاء رقاص الساعة ينحرف يميناً وشمالاً، مما زاد من شدة دوار راسه فقط، مضى حتى الآن ما يقارب النصف ساعة، ولم تعد السيدة بعد، لهذا أخذ يفكر بما قاله

الكونت رومان قبل قليل، كيف ضيع الأسبوعين الماضيين، وكيف عاد بنتائج مخيبة، لم يتمكن من العثور على دورثي في الوقت المناسب، وبمشقة تمكن من إعادة غيلبرت، وهنا سمع

صوت وقع خطواتها، فتحرك وفتح قفل الباب لها، ولجت للغرفة دون أن تلتفت ناحيته، سارت بخطى ثابتة حتى وصلت لكرسيها بقرب المرأة، فجلست وانتظرت حتى يغلق الباب، عندها

قالت وهي تتفقد بشرتها البيضاء بالمرأة:

- أزل تلك النظرة عن وجهك، لست بحاجة للقلق بشأن غيلبرت سيكون على خير ما يرام.

ثم استقامت من موضعها وتقدمت ناحيته، حدقت بوجهه الشاحب ثم أزلت رقعة عينه اليسرى ورمتها بعيداً لتقول:

- أخبرتك عدة مرات بأن لا ترتدي هذا الشيء أمامي.

التمعت عينه اليسرى بوميض أحمر دموي، في المقابل كانت اليمنى لا تزال كما هي، لم يعجبها هذا المنظر، فقامت بالانحناء قليلاً، وقربت ناحيتها وأزاحت ياقة فستانها الأبيض

لتقول:

- سأكون كريمة معك، بإمكانك أن تمتص بالقدر الذي تريده يا ليون.

مرت دقيقة، فاثنتان، ثم الثالثة ولم يتحرك، عندها دفعته غاضبة، فتراجع عدة خطوات للخلف، تغير وجهها، وتجعد ما بين حاجبيها، فمدت يدها وقامت بسحب الربطة من حول

عنقه، فقط ليشعرها هذا بغضب أكبر بعد أن شاهدت وشما قد نقش فوق آثار أنيابها القديمة، فسألته:

- ما هذا؟ منذ متى وهذا الشيء هنا؟

غطاه بيده اليسرى ليجيبها بابتسامة أغطتها:

- قد يقع كلانا بالمشاكل إن شاهدنا أحد البشر عن طريق الخطأ.

جوابه هذا زادها غضباً فقط، فسحبت ذراعه اليسرى بعنف، وأبعدت كم قميصه كاشفة عن آثار أنياب غيلبرت لتقول معاتبة:

- اتملك تفسيراً لهذا أيضاً؟

امسكت معصمه بقوة دلت على شدة غضبها، اعتصرتة وكادت أن تهشم عظامه، ثم سحبتة أكثر ناحيتها، بينما أشارت لجسده بيدها الأخرى هامسة:

- ألم ننفق بأن لا شيء من هذا ملك لك يا ليون، أم أنك بدأت تشتاق لغرفتك القديمة؟

ابتسامة مرهقة ارتسمت على شفثيه، بينما كان يوطئ راسه مجيباً:
- افعلي ما شئت فلم أعد أكثرث.

وهنا انقضت على ذراعاه، غرزت أنيابها عميقاً، وضغطت بفكيها بقوة،
وكأنها أرادت أن تقطع جزءاً من لحمه، فسالت الدماء لتلطخ السجادة
أسفلهما، فأخذت كور فينا ترتشف دمائه

بنهم، متناسية بأن غيلبرت قد امتص الكثير بالفعل، ومع كل قطرة دخلت
جوفها كان سواد شعرها يعود تدريجياً، بدأ اللون يظهر من جذور فروة
رأسها، وسار نزولاً حتى نهاية أطرافه،

أحست بالقوة تسري مجدداً ببدنها وأطرافها، وازداد بريق عينيها، بالمقابل شعر ليون بأن وعيه اخذ ينفصل عن الواقع، كل شيء كان يطفو من حوله، وكان الجاذبية لم تعد تعني له أي

شيء، حتى الألم كان قد تلاشى عند تلك المرحلة، لقد تجاوزت الحد هذه المرة، هي تعلم ذلك جيداً، وقبل أن تقضي عليه تماماً توقفت، ابعدت فكها، كانت الدماء تلتخ طرفي شفاهها

بطريقة فوضوية، نظرت لوجهه، كانت عينه اليسرى قد فقدت بريقها وعادت للونها الطبيعي، فأفلتت ذراعه، وسقطت تحت قدميها يلهث من شدة الإعياء، فقالت بصوت عال:

- هل هناك أحد بالخارج؟

اجابتها إحدى الخادمت من خلف الباب:

- ما الذي تامر به سيدتي؟

تحركت كورفيينا ناحية المرأة، وقد بدت أكثر طولاً الآن، نظرت لانعكاس وجهها، وأخذت تمسح بقايا الدماء لتقول امرأة:

- ليأخذه احد الصبية لغرفته القديمة، لا رغبة لدي برؤيته لوقت طويل.

في هذا الوقت كان الكونت رومان يتفحص السهم الذي اصاب غيلبرت، والذي أحضره ليون معه بالإضافة إلى زجاجة الشراب، قلب الكونت السهم واشتم رأسه المعدني، عندها أبعدته وقد عكر وجهه باشمئزاز، فساله أوليفر:

- هل من خطب يا أبي؟

وضع الكونت السهم جالباً ثم قال مجيباً:

- البشر الأوغاد، رأس هذا السهم غمس بمسحوق الثوم.

تفاجأ أوليفر، والتقط السهم، ثم قام بشم رأسه، ليقول موافقاً:

- معك حق، يمكنني اشتمام رائحة الثوم بوضوح، لكن هذا غريب، من كان ليعتقد بأنه سيؤثر على أجسادنا بتلك الطريقة؟

- ربما كانت مجرد تجربة من قبلهم، لا أعتقد بأنهم كانوا يعلمون بمدى تأثيره، هم يعلمون فقط باننا لا نستطيع تناوله.

تنهد أوليفر بارتياح ليقول:

- من حسن حظنا بأن التجربة قد فشلت، والدليل أن غيلبرت مازال حيا. ضرب الكونت على الأرض بعصاه غضباً، وسار ناحية الموقد المطفاً ليقول:

- كان غيلبرت محظوظاً فقط، اعتقد بأنه كان ليموت لولا ليون، دماء ابن القمر انقذت أخاك يا أوليفر.

ضرب أوليفر بيديه على الطاولة وقد صعق مما يسمعه من والده الآن:

- اتقول بان غيلبرت قد .

لم يتمكن حتى من إكمال جملته، دماء ليون كانت محرمة عليهم جميعاً، هي تخص الليدي كورفينا وحدها، ومن يتجرأ على ملكيتها فسيتحول لرماد حتى لو كان أحد أبنائها أو الكونت رومان نفسه.

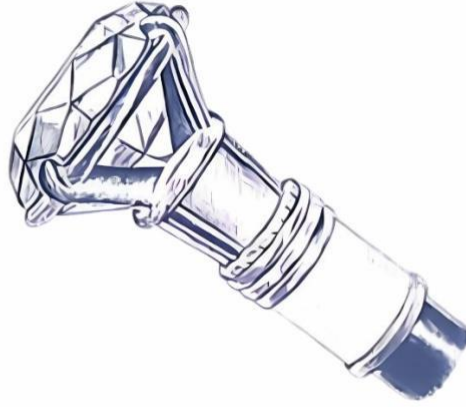
- لهذا هي غاضبة، حتى لو كان غيلبرت ابنها، لا أعتقد بأنها ستسامحه.

أصبح الكونت أكثر جدية ثم أكمل قائلاً:

- انتبه يا أوليفر، حذار أن يعلم أحد إخوتك بهذا الأمر، قد تعم الفوضى أن علموا بأن غيلبرت قد فعل شيئاً كهذا.

ابتسم أوليفر بخبث ليقول:

- بالتأكيد يا أبي، سيكون الأمر بيننا.



مراتب النبلاء الخمسة:

المرتبة الأولى: الدوق والدوقة ،

وهي الأعلى بين مراتب النبلاء الخمسة وغالبا ما يكون من سلالة ملكية ويخاطب بدوق إلا في حال كانت لديه رتبة عسكرية أو كان رجل دين فإن رتبته تسبق لقبه، أما زوجته فتلقب بالدوقة.

المرتبة الثانية: الماركيز و الماركيزة، يخاطبان بـ لورد وليدي.

المرتبة الثالثة: الإيرل أو الكونت والكونتيسة، يخاطبان بـ لورد و ليدي.

المرتبة الرابعة: الفيكونت والفيكونتيسة، هو لقب نائب الكونت أو الذي يحل محله، ويخاطب ب لورد وليس فيكونت.

المرتبة الخامسة: البارون والبارونة ، وهي أدنى مرتبة بين النبلاء ويخاطبان بلورد وليدي ويقصر استخدام الألقاب في الوثائق الرسمية والقانونية.

الفصل (9) :

تقاطع طرق.

حمل العمال قطع الطوب الكبيرة باستخدام عربات تجرها البغال ناحية الجزء الخلفي للبناء، لقد تم الانتهاء من الجزء الأكبر منه ولم يتبق إلا القليل، العمل يجري على قدم وساق من

أجل اللحاق بالتاريخ الذي حددته الأميرة لإقامة اختبار القبول، بينما في هذا الوقت كانت مساعدتها دولا مكلفة باستقبال الطلبات وفرزها، ولذلك اتخذت من إحدى الغرف بالبناء الرئيسي

شبه المكتمل مقراً لها، قد ملات أوراق طلبات الالتحاق الطاولة أمامها، وما زال هنالك طوابير طويلة ممن ينتظرون بحماسة خارجاً.

على بعد شارعين من تلك الفوضى، كان جاك و ماغي قد طردا لتوهما من أحد المتاجر، فلقد بالغا بالقاء كم هائل من الأسئلة على صاحب المحل، حتى ضجر منهما، وقام بطردهما

بنهاية الأمر، مضى على وجودهما فترة لا بأس بها بالعاصمة ولم يعثرا إلى الآن على أي دليل يقودهما إلى صوفي، كان جاك محبطاً بالفعل، فجلس على قارعة الرصيف يتأمل المباني

الشاهقة من حوله، فعلت ماغي المثل وجلست هي الأخرى بجانبه لتسأل:

- ما هي الخطوة التالية يا جاك؟

ثم أدخلت يدها بحقيبتها وأخرجت صرة المال خاصتهم، فتحتها والقت نظرة بداخلها، لم يبق معهما إلا قدر قليل من القروش، ولن يكفيهما هذا لأكثر من ثلاثة أيام كأفضل تقدير،

فتنهدت بانزعاج، بينما أصدرت معدة جاك صوتاً مضطرباً، فوضع يده على بطنه محرجاً، بينما قالت هي له:

- اتمرح معي؟ لقد تناولنا طعام الفطور للتو.

ضحك خجلاً، وهو يفرك معدته قائلاً:

- ما عساي أفعل، لا بد من تغذية هذا الجسد الكبير.

رمقته ماغي بنظرة جانبية، حتى بعد استبدال كل شحوم جسمه بعضلات قوية، فما زال جاك هو الشخص الشره نفسه، تلك حقيقة لا يمكن تغييرها.

- علينا أن نجد طريقة لجني المال يا ماغي، فمن الواضح بان إقامتنا هنا ستطول.

أومات له موافقة، وفي الوقت ذاته مرت عربية فخمة من أمامهما، وعلى جانبيها أربعة فرسان يمتطون الخيول البيضاء، تقدم أحدهم ناحية شباك العربية بعد أن أشارت له تلك الجالسة

بالداخل، فتوقف الموكب بلحظات، فتح الباب، مد ذلك الفارس يده لمساعدة سيده على النزول، فخطت لخارج العربية وهي تحاول عدم التعثر بفستانها الطويل، ثم أشارت له ناحية أحد

المتاجر، وهنا ترجل بقية الفرسان ليتجمعوا من حولها بهدف حمايتها.
- تبدو كشخص مهم.

علقت ماغي بانزعاج وهي تسند ذقنها بذراعيها، بينما اكتفى جاك بمراقبة ما يجري دون تعليق، عندها تجمع عدد لا بأس به من الناس حول المتجر الذي قصدته تلك الفتاة، جرت

طفلة صغيرة من أمام جاك وماغي، تشير لوالدتها وهي تقول بحماسة:

- إنها الأميرة، إنها في ذلك المحل يا أمي.

رفع جاك رأسه بترقب، وحقق بحماسة ناحية المحل الذي قصدته الأميرة ثم قال:

- الأميرة! أيعقل بأن تكون هي ذاتها الأميرة هيلينا؟

رבעت ماغي ذراعيها، ثم قالت بعدم اكتراث:

- لا بد أن تكون هي الأميرة المتباهية، فالأميرتان المتبقيتان إحداهما في آخر عقدها الثالث، والأخيرة تصغرنا ببضع سنوات.

بعد عدة دقائق، خرجت الأميرة هيلينا بابتسامة مشرقة من المحل، كان البائع يسير خلفها ولم يتوقف عن الانحناء وشكرها، وقبل أن تصعد للعربة، التفتت ناحيته لتقول:

- اعتمد عليك بإيصال الطلب اليوم.

اجابها بحماسة:

- بالتأكيد يا سمو الأميرة.

وقبل أن يقترب اكثر ابعده ذلك الفارس، فابتسم البائع وواصل انحناءاته،
بينما أعطت الأميرة الإذن بالانطلاق مجدداً، فصعد الفرسان على ظهور
خيولهم فيما عدا ذلك الفارس، نظر

حوله بارتياب، فسألته الأميرة التي كانت قد أصبحت داخل العربة:

- أمن خطب ما يا وايتمان؟

عاد واستدار ناحيتها وقد زالت نظرة الارتياب من على وجهه ليجيبها:

- اعتقدت لوهلة بأنني قد رأيت بعض الوجوه المثيرة للريبة، لكن يبدو
بأنني قد اخطأت.

- إذا دعنا لا نثير قلق الناس هنا.

ثم قامت بالتلويح للمتجمهرين من خلال شباك العربة، فحياها الناس
بدورهم بسعادة بالغة.

- ارايت إنها مجرد متباهية.

قالتها ماغي بنبرة ساخرة، بينما لم يزح جاك عينيه من على موكب
الأميرة، حتى تحدث قائلاً:

- ماغي، ربما لن تروق لك فكرتي.

- هات ما لديك، فبعد كل هذه السنوات اصبحت معتادة على أفكارك
الغريبة.

ابتسم لها بسذاجة ثم أخرج ورقة الإعلان التي احتفظ بها حتى الآن.
مضى على إينور الآن ما يقارب الساعتين، تحديق بالأوراق الفارغة على
مكتبها وقد جف الحبر منذ فترة من على رأس قلمها، وبعد تفكير طويل
اسندت ظهرها على الكرسي لتقول
بسذاجة:

- انا في ورطة يا اختاه،

- حقاً!!

أجابتها ليندا بسخرية واضحة، ثم أضافت:

- من حسن الحظ أن لدينا الوقت الكافي للتفكير بكيفية ملء هذه الاستمارة.
ثم اقتربت من المكتب، وهي تقلب أوراق بيانات التقديم، توقفت عند بند
معين ثم ابتسمت لتقول:

- دعينا نبدأ بشيء تجيده.

تحمست إينور وهدقت بأختها بعينيها الخضراوين الواسعتين، وهي تلح
عليها كطفلة صغيرة:

- ما هو؟ ما هو الشيء الذي أجيده؟

رفعت ليندا الورقة التي بيدها أمام وجه أختها وأشارت إلى البند المطلوب
لتقول:

- إنه الطعام يا اختاه، إنه الطعام.

تعكر وجه إينور وهي تحرق بالأوراق بيد اختها، فكرت قليلاً ثم قالت بكل جدية:

- هل علي كتابة كل ما يمكنني تناوله؟

ثم التفتت بذعر ناحية مكتبها، وقامت بإحصاء عدد الأوراق التي لديها فقالت:

- تبا سأحتاج إلى المزيد من الأوراق.

لم تتمكن ليندا من كتم ضحكاتهما، فلو كانت هذه منافسة لتناول الطعام فستفوز اختها من دون أي جهد، كانت إينور ستبدأ بالكتابة بعد أن غمست قلمها بزجاجة الحبر، لكن اختها اوقفتها لتقول:

- دعينا لذهب لـ بيتر، ربما يمكنه مساعدتنا.

فرقع جو اصابع يديه عدة مرات حتى الآن، كان يحوم في غرفته كنمر سجين بقفص، مضت بضعة أيام منذ ذلك اليوم الذي التقى فيه بمخلوقات الليل أسفل تلك الشجرة، كان والده

من أعاده إلى القصر، وعندما أفاق لم تتح له فرصة الحديث معه أو حتى مع عمه كيث، فكلاهما كانا مشغولين واضطرا لمغادرة القصر لفترة، واليوم فقط سيعود والده بعد غياب طويل،

شعر الصبي بتوتر بالغ، أي عقاب ينتظره الآن من الكونت رايموند؟ نظر للساعة للمرة المائة ربما، وعندها سمع صوتاً خارج غرفته، فانطلق ناحية الباب وفتحه، نظر عن يمينه وشماله وإذا

بوالده يقف هناك، بدا عابساً بعض الشيء، فانزل جو راسه واخذ يعتذر حتى قبل أن يقول الكونت أي شيء، حل بعد ذلك صمت مريب، جعل الصبي يتساءل إلى أي مدى يمكن ان يكون

والده غاضباً منه، وفجأة أصبح بين أحضانه، فرفع رأسه ووجد والده الكونت يحتضنه وهو يقول:

- اتعلم لأي درجة اقلقني أيها المتهور؟

التمعت عينا جو الذي انفجر قائلاً:

- أنا آسف يا أبي، أنا حقاً آسف، أردت فقط أن أثبت للجميع بأنني لست جباناً، وتجاهلت القواعد بكل غباء، يمكنك ان تعاقبني كما تريد، انا استحق ذلك.

ابعد رايموند ابنه، ثم احتضن وجهه الصغير بين يديه، فابتسم قائلاً:

- معك حق سنتم معاقبتك بالشكل الصحيح، عليك أن تستعد فالعقاب لن يكون سهلاً.

ازدرد جو لعابه وهو ينظر لوالده وقد بدأ عقله بتخيل الأسوأ الآن.

من جهة أخرى في منتصف السوق، وعلى قارعة رصيف الشارع، وقفت ماغي معترضة:

- ما هذا الهراء الذي تتفوه به يا جاك؟

- أخبرتك بأن الفكرة قد لا تروق لك.

أشارت له ناحية الطريق التي سلكتها عربة الأميرة قبل قليل، ثم قالت:

- أنت تريد منا أن تقدم على طلب خوض اختبار الاكاديمية فقط كوسيلة للتقرب من تلك الأميرة التافهة.

تنهد جيكوب ثم قال موضحاً:

- إنه كضرب عدة عصافير بحجر واحد.

اعتدل بوقفته أمامها، ثم ضم رؤوس أصابع يديه معاً مضيقاً:

- نحن لا نملك من المال إلا القليل الآن، إن اجتزنا الاختبار عندها سنحظى بمكان للسكن، ولن تقلق بشأن الطعام أيضاً، يمكننا بعدها عقد العديد من العلاقات التي قد نتوصل من خلالها لمكان صوفي.

توقف جاك قليلاً ونظر إلى أحد العبيد الذي كان يساعد صاحب المحل بنقل طلبية الأميرة، ثم قال بنظرة تعيسة:

- إن عثرنا على صوفي في النهاية يا ماغي، ألا تعتقد بأننا سنكون بحاجة لمساعدة الأميرة أو أي أحد بمنصبها لتخليصها من العبودية.

حدقت ماغي بذلك العبد هناك لتقول بنبرة شابها السخط:

- وهل نسيت أن والدها الملك هو من وقع بنفسه على قانون تجارة العبيد؟ ما الذي تتوقعه من ابنته يا جاك؟

أنزل جاك راسه محبطاً، كان يعلم بأنها محقة، ومع ذلك تمسك بأمل ضئيل:

- ربما تكونين محقة، لكن ...

وقبل ان يتسنى له إكمال جملته، قاطعته بنبرة عدم الاكتراث خاصتها لتقول:

- حسناً، أين علينا التقديم لهذا الاختبار؟

اتسعت عينا جاك بفرح، ثم فرد المنشور الذي بين يديه بحماسة ليجيبها:

- لقد كتب كل شيء هنا.

في باحة التدريب طار السيف من بين يدي إينور، وسقط ليغرس في الأرض على بعد قدم واحدة من أخيها بيتر، فوقع الأخير على مؤخرته فزعاً، لو أن السيف انحرف قليلاً لقتله

على الأرجح، فازدرد لعابه، ووسع ياقته ليقول مقترحاً:

- ربما من الأفضل أن نجرب شيئاً آخر.

على بعد أمن وقفت صوفي وبجانبتها ليندا التي تحمل بين يديها قائمة كانت قد كتبتها في وقت سابق، تتضمن بعض المهارات القتالية الخاصة بالفرسان، والتي من المرجح أن تكون

ضمن الاختبار الذي أعدته الأميرة بنفسها، في النهاية وجدت نفسها تقوم بالشطب على الكثير مما كتبه حتى الآن، فتنهدت بقلّة حيلة وهي تنظر إلى اختها عديمة المهارات لتقول:

- جربنا القوس والسهم، ركوب الخيل، المجاورة (7)، السيف، ماذا لدينا أيضاً؟

حكّت رأسها بقلق، بينما كان والدها الكونت ماراً بالباحة برفقة ابنه البكر آرثر، والذي انتبه لأخته فقال معلقاً:

- ما زلت غير مصدق بانك قد وافقت على مشاركتها يا أبي.

التفت الكونت ناحية إينور وقال:

- لو لم تكن الماركييزة حاضرة بذلك اليوم لما وافقت، فعلت ذلك فقط لأحفظ ماء وجهي أمامها، فهي عضو مهم بجمعية النساء تلك ...

وهنا ارتسمت نظرة خبيثة على محياه ليكمل:

- كما ان اختك مغفلة كبيرة، كل ما ستفعله هو إحراج نفسها أمام حشد كبير، في النهاية لن تجتاز الاختبار، وستدرك عندها بأن زواجها من هنري هو افضل قرار قد تتخذه بحياتها.

تنهد آرثر بأسى على حال اخته، ثم غير مجرى الحديث ليقول:

- لقد وصلتني هذه.

مد رسالة الأميرة لوالده وأخبره:

- إنها تعرض علي ان اكون أحد الأساتذة بالأكاديمية، ولقد قبلت طلبها.

- حسناً فعلت، دعنا نذهب إلى مكتبي، فهناك بضعة أمور أرغب باطلاعك عليها.

سار الكونت وابنه بطريقهما إلى غرفة المكتب، بينما في الطرف الآخر،
اختلست صوفي النظر إلى الورقة بيد ليندا، قرأت ما كتب بها سريعاً ثم
قالت:

- أيمكنني أن أقدم اقتراحاً ما؟

نظرت إليها ليندا بتعجب ثم قالت:

- يمكنك القراءة؟

أومأت لها إيجاباً ثم قالت:

- الجزء الأكبر من حياتي عشته كفتاة حرة، وخلالها تعلمت القراءة
وبضعة أمور مهمة ...

ثم نظرت ناحية إلينور وأضافت:

- الأنسة الصغيرة ربما لا تتمتع بمهارات قتالية، لكنها تملك شيئاً آخر.

أخذت ليندا تستمع إليها باهتمام، بينما كانت إلينور تحاول عبثاً مجارة
أخيها هناك بمنتصف باحة التدريب.

في هذا الوقت بغرفة جو، وضع الكونت رايموند الأوراق الخالية أمام
ابنه، ثم سحب كرسيّاً وجلس بجانبه على المكتب قائلاً:

- اعتقد بأنك قد سمعت عن اختبار أكاديمية الفرسان من إخوتك.

- نعم اخبرني روي و لويس عنه، علمت بأنهما قد فرغا من كتابة طلب
الالتحاق، حتى روز يبدو بأنها تفكر بالمشاركة.

ارتسمت ابتسامة طفيفة على شفتي والده الذي قال وهو يشير للأوراق:

- انت ايضا ستفعل المثل، في البداية لم أشأ ان اجعلك تشارك لصغر سنك،
أما الآن فأرى أنه ربما يكون من الأفضل أن تذهب مع إخوتك.

نهض الكونت رايموند، وشبك يديه خلف ظهره، سار بضع خطوات وهو
ينظر للمكتبة الصغيرة بجانب مكتب جو، لمح كتاب القواعد هناك على
أحد الرفوف، ثم قال:

- إنه عقابك يا جو على كسر القواعد، وفي الوقت نفسه فرصتك لتثبت جدارتك، ليس أمام إخوتك فقط، بل أيضاً أمام عمك كيث وبقية العائلة.

نظر جو للأوراق أمامه، ثم التقط أحد الأقلام ليقول:

- هذه المرة لن أخيب ظنك يا أبي.

ربت الكونت على رأس ابنه ليقول باسمًا:

- هذه المرة سألزمك بتنفيذ كلماتك أيها الشقي.

سارت الأميرة هيلينا بين العمال، تتشاهد عن كثب تقدم البناء، كان الرجال فرحين بوجودها بينهم، وكونها تشرف بنفسها على كل التفاصيل مهما كانت صغيرة، وهنا تحديداً أعلن أحد

الحراس عن وصول طلبية الأميرة، كان صاحب المحل قد أتى بنفسه مع بضع عربات محملة بالطعام، قام بإنزالها بمعاونة اثنين من العبيد حضرا معه، ثم ساعدهم بعض العمال بالموقع،

فقالَت الأميرة لأحد الفرسان الأربعة المرافقين لها:

- أخبر العمال بان هذا الطعام لهم ولعائلاتهم، لقد قمت بطلب ما يكفيهم لأسبوع كامل.

انحنى الفارس لها مجيباً:

- بالتأكيد سمو الأميرة، سأبلغهم في الحال.

ثم التفتت للفارسين الآخرين لتقول:

- اذهبا معه لمساعدته، يكفيني مرافق واحد هنا،

في هذا الوقت في قصر ستوكر، وتحديداً بغرفته، تقلب قليلاً بفراشه بعد أن شعر بالانزعاج، ثم فتح عينيه على مهل، نظر إلى زخارف السقف، من ثم للغرفة المظلمة، حتى حط

بصره على الستائر الثقيلة المغلقة، والتي تحجب أشعة الشمس من الدخول عبر زجاج النافذة، أمسك بحلقه بعد أن شعر بالعطش، عندها تساءل كم مضى عليه نائماً؟ بل كيف وصل إلى

هنا؟ لا يمكنه التذكر بوضوح ما حدث تحديداً، فظل يحدق بالسقف عدة دقائق حتى اندفعت الذكريات دفعة واحدة إلى عقله، نهض من فراشه فزعاً، وشعر بألم يخترق صدره، ففتح ازرار قميصه، نظر لصدره وشاهد اثر جرح السهم الذي اخترق جسده، تحسسه بأطراف اصابعه وهو يحدث نفسه فتسائلاً:

- كان مجرد سهما

وبعد لحظات فتح الباب ودخلت جوديث، فوجئت برؤيته وقد أفاق أخيراً، تحركت ناحية الطاولة بمنتصف الغرفة، وأشعلت شموع الشمعدان الكبير لتقول:

- لقد أخذت وقتك بالفعل، أهو أسلوب جديد للفت الانتباه؟

نظر إليها غيلبرت محتاراً فسأل:

- كم من الوقت كنت نائماً؟

رفعت جوديث أربعة أصابع من يدها لتقول:

- أربعة أيام كاملة.

ثم أشار لصدره مستفهماً:

وماذا عن هذه؟

امالت جوديث رأسها لترد عليه بحيرة:

- وكيف يفترض بي أن أعلم؟ أنت من عليه تفسير هذا يا غيلبرت.

فتح الباب مجدداً، فدخل أوليفر قائلاً:

- اعتقدت بانني قد سمعت صوتك، أنا ممتن لعودتك سالماً يا أخي.

نظرت إليه جوديث بطرف عينيها لتقول معلقة:

- كفاك تمثيلاً يا أوليفر، هذا لا يليق بك.

ابتسامة طفيفة علت وجهه النحيل ليقول:

- معك حق يا أخت التمثيل مرهق على أي حال.

سكت قليلاً ثم حول نظره إلى غيلبرت، وبالأخص إلى أثر جرح صدره
ليسأل:

- كيف تشعر وقد نجوت من هذا؟

وضع غيلبرت يده على صدره، علامات الحيرة كانت على وجهه بالفعل،
فاقترب منه أوليفر، حتى لم يعد يفصل بين وجهيهما إلا شبر واحد، فسأل
بنبرة ماكرة:

- أخبرني يا غيلبرت، كيف كان مذاقها؟

اتسعت عينا غيلبرت، وقد ازدادت حيرته أكثر الآن:

- ما الذي تتحدث عنه يا أوليفر؟

أشار أوليفر إلى صدر غيلبرت بأصبعه ثم قال ساخراً:

- ألا تعلم حتى ما أصبت به؟ وكيف تم إنقاذك.

اقتربت جوديث منهما ثم سألت:

- أوليفر! أنت على علم بشيء نجهله، ألسنت محقة؟

ابتعد أوليفر، وسار علي مهل في أرجاء الغرفة، سقطت ظلاله السوداء
على ورق الجدران القرمزي ذي النقوش الذهبية، وتراقصت مع لهيب
الشموع، ثم صدرت ضحكة خافتة منه ليقول بعدها:

- أوصاني ابي بأن لا أقول شيئاً، ولكن كيف أخفي أمراً كهذا؟

تبادل الاثنان الآخرا نطرات الحيرة، بينما أكمل هو:

- السهم الذي أصابك ربما يكون سلاحاً جديداً ابتكره الصيادون، فقد
غمست رأسه بمسحوق الثوم، اما ما الذي أنقذك منها يا غيلبرت فهي دماء
حيوان والدتك المدلل.

أمسك غيلبرت بحلقه، وتذكر عندما سأل ليون إن كان بمقدوره ارتشاف
القليل من دمائه.

"افعلها وسأفصل رأسك عن جسدك حتى قبل أن تدرك"

تنهد أوليفر، ثم قال بسخرية؛

- يا لها من خسارة، لا يمكنك حتى تذكر بانك قد فعلتها.

تحرك أوليفر ناحية الباب، أمسك بالمقبض ثم قال:

- سأذهب الآن، فهناك بعض الأمور التي علي ان أنجزها.

ثم وجه كلامه لـ جوديث:

- لا تخبري أحداً من إخوتنا عما قلته.

وغادر الغرفة بعد ذلك، فالتفتت جوديث ناحية غيلبرت بعد أن شعرت بحركته، كان قد غادر سريره بالفعل، واتجه ناحية الخزانة، فتح الباب وأخرج قطعاً من الملابس، فسألته:

- إلى اين انت ذاهب؟

- لابد وأن والدتي غاضبة الآن، علي الذهاب والحديث معها.

قاعة الجلوس الرئيسية بقصر ستوكر، ذات السقف العالي والذي بمنتصفه ثرية هائلة الحجم، يسري الزيت بعروقها الذهبية عن طريق أنابيب داخل الجدار، كان الخدم يحرصون

على إبقائها مشتعلة طوال الوقت، تنير المكان أسفلها بوهج دموي بسبب لون ورق الجدران، والأثاث الخشبي الداكن، انعكست الإنارة على كأس الكونت الزجاجية التي أدارها بيده،

فتحرتك الدماء بانسيابية مع حركته، حدق بكاسه قبل أن يرتشف منها، ثم وضعها جانباً وقال مخاطباً من تواجد من أبنائه حوله:

- إذا ما رأيكم؟

كان أحد أبنائه مستلقياً على المقعد الطويل بقرب المدفئة الضخمة، يضع أحد الكتب على وجهه، يحاول أخذ قيلولة لكنه أبعد الكتاب، رفعه بالهواء وهو ينظر إلى صفحاته، ليقول بصوت ناعس:

- سياستنا تقتضي بعدم التدخل أو الاحتكاك بالبشر على الدوام، لهذا أرى أنه من غير الحكمة المشاركة بشيء كهذا.

تحدثت ابنة أخرى لتقول:

- انا اتفق مع هايدن، حتى لو كان الاختبار سيبدأ مع بداية الليل الطويل، والبرنامج لن ينتهي إلا مع نهايته، أرى أن في الأمر مجازفة كبيرة، سنكون بين البشر لمدة طويلة، ماذا لو فقد احدنا السيطرة أمام الجميع؟

تحدث ثالث، والذي كان صغيراً بالسن:

- ولكن الخدم في قصرنا من البشر، ولحن لا نجد مشكلة في العيش معهم. نهض هايدن، ووضع الكتاب بجانبه على المقعد الطويل، تئأب بتعب، ثم قال:

- البشر الذين يعملون لدينا يتناولون بانتظام الأطعمة المناسبة لإفساد دمائهم، لهذا هي غير مغرية لنا.

- أنا أرغب بالمشاركة.

قالها أوليفر بنبرة واثقة وهو يسير للقاعة، مشى متجاوزاً إخوته، اقترب ناحية والده، ووقف أمامه ليعيد ما قاله:

- أرغب بالمشاركة يا أبي.

التقط الكونت كأسه مجدداً، حركه قليلاً، ثم قال:

- لن يكون الأمر سهلاً.

- اعلم، ومع هذا أرغب بالمشاركة.

تحدثت اخته اودري:

- لم أنت مصر هكذا؟

شقت ابتسامة صفراء وجهه على مهل قبل أن يجيب:

- حدسي يخبرني بأن أميرتنا المدللة تخطط لشيء ما.

توجه غيلبرت بعد أن غير ملبسه إلى بهو الدرج الرئيسي، ولحقته
جوديث، سعد بضع درجات قبل أن ينتبه له من في القاعة، فاستقام
الكونت رومان ونادي عليه:

غيلبرت!

التفت هو ناحية والده، ألقى التحية منحنيًا، ثم بحث بعينه بين الوجوه
الصامتة، فسأل والده:

- متى أفقت؟

- للتو فقط ...

صمت غيلبرت قليلاً، ثم عاد ليسأل بقلق:

- أين هو ليون؟ لا اجده باي مكان.

- حرك الكونت يديه بعدم معرفة ليقول:
- لست أدري، ربما أرسلته والدتك بمهمة ما كالعادة.
- أوما غيلبرت راسه تعبيراً عن فهمه لإجابة والده، لكن شعوراً داخلياً كان يصرخ به بغير اقتناع، فقال:
- سأذهب لرؤية والدتي والليدي لونا، عن إذنكم.
- صعد غيلبرت الدرجات، وتوجه لجناح الكونتيسة لونا أولاً، طرق على الباب، ولم يدخل حتى سمع صوتها الرقيق تأذن له بالقدوم، ولج لغرفتها بينما انتظرتة جوديث خارجاً، وبعد ما يقارب الخمس دقائق خرج منها محبطاً، فسألته جوديث:
- ما الذي قالتة؟
- اعتذرت منها لأننا لم نتمكن من إرجاع دورثي، لكنها لم تقل شيئاً، لا بد وأنها تلومني على ما حدث، فلولا شجاري مع دورثي لما تركت القصر بتلك الطريقة.
- لا تهتم للأمر كثيراً، ستنسى موت ابنتها مع الوقت وقد تحظى بطفل آخر بكل سهولة.
- أخذ غيلبرت شهيقاً عميقاً ثم قال:
- والآن المهمة الأصعب.
- كانت كورفينا مستلقية على سريرها، تحرق بالفراغ عندما سمعت خبطات غيلبرت على باب غرفتها، أذنت له بالدخول ولم تنزعج من مكانها، بينما تقدم هو حتى أصبح بمنتصف
- غرفتها، نظر إليها بتوجس، فقالت وهي ترمقه بطرف عينيها:
- تبدو بحال جيدة.

- نعم انا كذلك .
- اغلقت عينيها وقد اعتقدت بأنه سيغادر الآن، لكنه ظل بمكانه، فسألت بكسل:
- أهناك شيء آخر؟
- ازدرد غيلبرت لعابه قبل أن يسأل بتوتر:
- أين هو ليون؟ هل حقاً قمت بإرساله بهمهم ...
- وبلمح البصر، كانت قد أصبحت امامه حتى قبل أن يكمل طرح سؤاله، رمفته بعينيها المتوهجتين، ثم سأله بنبرة مهددة:
- لم تسأل عنه يا غيلبرت؟ أنت لم تفعل هذا من قبل.
- ارتجف بموضعه مجيباً:
- أنا، فقط ... اردت ...
- اقتربت منه اكثر، ثم همست بأذنه:
- لا تحشر أنفك بما لا يعنيك يا بني.
- تراجعت كور فينا، وقد عادت عيناها للونهما الطبيعي، سارت ناحية السرير ثم قالت:
- نعم قمت بإرساله بمهمة، والآن اخرج فأنا أشعر بالنعاس.

والدته غاضبة بالفعل، لهذا عليه الانسحاب، وإلا ستصب جام غضبها عليه الآن، لهذا غادر غرفتها دون أن يضيف حرفاً واحداً على ما قالتها، في الخارج كانت جوديث مستندة على

الجدار خلفها، مربعة ذراعيها، وعيناها على الباب، وما إن فتح حتى عرفت الإجابة من وجه غيلبرت:

- إذا، لم تحصل على شيء منها.

- لا، هي غاضبة مني، وربما زاد غضبها لأنني سألتها عن ليون.

- دعك منه سيظهر ما إن تنتهي مهمته، لطالما كان ليون هكذا، يختفي ليؤدي مهمة لوالدتك ثم يعود للظهور وكأن شيئاً لم يكن.

نظر غيلبرت للستائر المنسدلة على شبابيك الممر بجانبه، ثم قال:

- أي مهمة هذه والشمس لا تزال ساطعة بالخارج.

- بإمكانه ارتداء ما يقيه أشعتها، هذا لم يمنعه سابقاً، فما هو الشيء المختلف الآن؟

ركل غيلبرت الحائط بقدمه ليقول بنفاذ صبر:

- لا أعلم كيف أشرح لك هذا ولكن ...

نظرت إليه بغير فهم، ثم أضاف قائلاً:

- يمكنني الشعور به يا جوديث، ربما لأنني قمت بامتصاص دمائه! لست أدري، كل ما يمكنني قوله لك بانني أشعر بوجوده في هذا القصر.

- أي سخافة هذه يا غيلبرت، لو كان هنا لتمكنت من اشتمام رائحة دمه بالفعل، لا يمكنني أن أخطئ رائحته أبداً.

ثم أشارت له للأسفل لتغيير الموضوع:

- هنالك امر مثير للاهتمام أكثر من بحثك عن ليون، فوالدنا يقوم بأخذ رأي الجميع الآن بشأن حدث مهم.

نزل الاثنان لينظما إلى البقية، كان أوليفر وقتها هو الوحيد الذي اقترح المشاركة بالاختبار، بينما اعترض البقية على ذلك، وفي منتصف النقاش سال غيلبرت والده:

- ما هو آخر موعد للتقديم؟

رفع الكونت احد حاجبيه من ثم أجاب؟

- قبل بداية المهرجان، أما بالنسبة للاختبار فسيبدأ مع أول يوم للمهرجان وينتهي معه، ضوء الشمس سيكون خافتاً في الأفق، وميدان الاختبار ذو مدرجات عالية ستصد أشعتها المباشرة.

وما إن توقف الكونت عن الحديث حتى وقف غيلبرت ليقول:

- ربما سأشارك أنا أيضاً، أريد أن أفكر بالأمر قليلاً.

ثم استدار تاركاً القاعة بأكملها.

ذهب غيلبرت إلى غرفة ليون، كانت في الجناح المخصص للخدم، دفع الباب الذي أصدر صريراً خفيفاً ودخل إليها، لم يكن بها أي شيء مثير للاهتمام، جدران رمادية بلا أي نوافذ،

سرير عادي، مكتب صغير بالزاوية، وخزانة خشبية بقربه، فتح الخزانة وأخذ يبحث فيها، ثم انتقل للبحث في المكتب، فتح الأدراج الصغيرة الواحدة تلو الأخرى حتى عثر في النهاية على

بوصلة قديمة وضعت على مجموعة من الأوراق، حملها وتفقدتها، كان هنالك شرح بسطح زجاجها، ومع هذا لا تزال تعمل بالشكل السليم، إنه يتذكر رؤيتها مع ليون بعدة مناسبات حتى

الآن، ومع هذا لم يخطر له أن يسأل عن سبب احتفاظه بها أبداً، أعادها لمكانها ثم وجد شيئاً آخر، كانت رقعة العين الخاصة بليون هنا، هذا يعني بأن ما يفكر به صحيح، فليون لا يغادر

من دونها مهما حدث، التقطها وخبأها بجيب سترته ثم غادر الغرفة، وهو في طريقه للخروج من جناح الخدم، شاهد إحدى الخادمت آتية بطريقه، ولأنه لم يرغب بأن يلفت انتباه أحد،

عاد ودخل إلى إحدى الغرف خلفه، كانت مظلمة، لاحظ وجود العديد من الأرفف بها، وبعد دقيقة واحدة عرف بأنه مخزن للمؤن، حشر نفسه بين خزانة الأرفف وبعض البراميل الخشبية

الضخمة، انتظر هناك على أمل أن تبتعد تلك الخادمة، ولكنها فاجأته بدخولها للمخزن، كانت تحمل شمعدانا مضاء بيد، وصينية صغيرة باليد الأخرى، اعتقد في البداية بأنها قد سمعت صوته

ولحقت به، لكنها لم تستدر ناحيته، أكملت طريقها حتى وقفت أمام أحد الجدران، ضغطت على طوبة بارزة به، فتحرك جزء منه، بدا كباب سري صغير، انحنى قليلاً ثم عبرته للداخل،

وانغلق من خلفها، اتسعت عينا غيلبرت دهشة، وذهب سريعاً ناحية ذلك الجدار، تحسسه بيديه إلى أن تمكن من رصد الطوبة البارزة، شعر بالغرابة، إنها المرة الأولى التي يعلم بها بوجود

شيء كهذا بقصر ستوكر، أراد دفعها، لكنه قاوم رغبته، وقرر انتظار خروج تلك الخادمة أولاً، وبعد ما يقارب الدقيقتين فتح الباب وخرجت الخادمة وهي تحمل الشمعدان فقط، تأكدت من

إغلاق الباب ثم غادرت المخزن، فخرج غيلبرت من مخبئه، وتوجه ناحية الجدار، وقال محدثاً نفسه:

- لا بد أن يكون هنا.

ثم دفع الطوبة بيده، فتحرك الباب ليفتح له، خطا للداخل، كان الظلام شديداً، فحاول تحسس الجدران بيده بينما يندفع أكثر للداخل، فكر بأن المكان لن يكون كبيراً بما أن تلك

الخادمة لم تأخذ إلا دقيقتين لإيصال ما كانت تحمله، لهذا وقف بمكانه وأخذ ينادي بصوت خافت:

- ليون! هل انت هنا؟

ما من مجيب، فتحرك أكثر للأمام عندما تفاجأ بفراغ بالأرض، أو بالأحرى كانت بداية درجات تؤدي للأسفل، لا يمكنه المواصلة هكذا، فعاد أدراجه للمخزن، وبحث بين الأرفف لعله

يجد ما يضيء به دربه، في النهاية تمكن من العثور على شمعة وأعواد ثقاب، قام بإشعالها، ثم عاد للداخل مجدداً، ضوء الشمعة كشف له ما كان عاجزاً عن ملاحظته قبل قليل، فخلف الباب

السري كانت هنالك غرفة صغيرة، بثلاثة جدران حجرية، احدها به فراغ كان شبيهاً بنافذة ماء، لكنه ما إن وجه إضاءة الشمعة ناحيته حتى اكتشف بأنه فراغ بالجدار أشبه بعنق المدخنة، لم

يفهم الغرض منه فتجاهله ووجه الضوء للدرج، اخذ نظرة عليه قبل أن يقرر النزول، كان الدرج ملتفاً لذلك لم يتمكن من تحديد نهايته، نزل الدرجات على مهل، توقع أن يصل إلى نهايتها

بأي لحظة الآن، لكن تلك الدرجات اللعينة كانت أطول مما توقع، بدأ الجو يصبح خانقاً أكثر وأكثر، ولا يبدو بأن النهاية قريبة حتى، مرت الدقائق، وشعر بالتعب، هل ستصمد هذه الشمعة

الصغيرة؟ متى تنتهي هذه الدرجات؟ من المستحيل ان تكون الخادمة قبل قليل قد نزلت وعادت للصعود خلال دقيقتين فقط، عدة تساؤلات تحوم بعقله الآن، وبعد أكثر من نصف ساعة

من النزول الذي بدا أدياً، وصل إلى نهاية الدرج أخيراً، وجد نفسه يقف عند بداية قاعة كنيية، والتي امتلأ سقفها بالخفافيش المعلقة رأساً على عقب، بدت تلك المخلوقات العمياء وكأنها تحرق به بينما كان يستكشف المكان، في تلك القاعة وجد الكثير من التماثيل الحجرية التي تماثله بالطول، أسفل كل واحد منها هنالك نقوش لكتابات حفرت على منصة حجرية، كانت

اسماء قد مرت عليه من قبل، فترجع للخلف ونظر إليها وقد عرف بأنها قبور لأفراد العائلة، اصطفت أمامه بنظام مهيب، سار بينها حتى وصل في نهاية الأمر لوجوه يألّفها، أما التمثال

الأخير والقصير فوجد هيئته غير المكتملة تمثل دورتي، استطاع تمييزه على الرغم من أن اسمها لم ينقش عليه بعد، وعندما نزل ببصره لأسفل قدمي التمثال لاحظ افتقاده للمنصة

الحجرية التي من المفترض أن ينتصب فوقها، فعاد وحقق بوجهها، شعر بالمرارة وهو ينظر لوجهها الحجري غير المكتمل، عندها قرر المضي قدماً، فسار متخطياً القاعة بخطوات سريعة،

هذه المرة وجد نفسه يقف بمتاهة لممرات ضيقة، أربع خيارات مختلفة، أي جحيم هذا؟ هكذا فكر في نفسه وهو ينظر للظلام بنهاية تلك الممرات، لا يمكنه أن يتوه الآن، لهذا أخذ شهيقاً

عميقاً، وأغلق عينيه، هو متأكد من وجود ليون بهذا المكان، يمكنه الشعور به، مهلاً هل هو يشتم رائحته الآن؟ فتح غيلبرت عينيه، واختار الممر الثالث عن يساره، تسارعت خطواته، كما

اصبحت الرائحة أكثر وضوحاً له، وبعد لحظات وجد نفسه يسير بين الكثير من الزنازين الفارغة على جانبيه، مرر شمعته الصغيرة بينها، وألقت بنورها الخافت داخل كل زنزانة مر عليها،

ممر آخر، ومنعطف ثان وثالث، حتى وصل في النهاية إلى زنزانة منفردة، توقف وقد سمع صوت احتكاك الحجارة، اقترب أكثر وحشر الشمعة بين القضبان الحديدية، فبان له هناك، يجلس

بالزاوية وهو يحاول خدش الجدار بحجر صغير بيده، وقبل أن يبادر بقول أي شيء، سبقه ليون قائلاً:

- لم أنت هنا؟

كان لا يزال منهمكاً بخدش الجدار، ولم يكلف نفسه حتى عناء الالتفاف ناحية غيلبرت، بينما أجابه الأخير بتهكم:

- وما الذي قد أفعله هنا برأيك؟ كنت أتنزه بالجوار عندما قررت أن أحضر لشرب كأس من الدماء معك.
توقف غيلبرت، ثم عاد ليكمل بنبرة جادة:
- اسمع يا ليون، أنا أعلم بأن ...
وقبل أن يكمل رمى ليون الحجر بعيداً، ثم ضم ركبتيه لصدره، دفن راسه بينهما ليقول:
- غادر في الحال، فلا أريد سماع ما لديك.

- هل انت طفل في الخامسة؟

قالها غيلبرت حانقاً، ثم أضاف:

- ستسمعي حتى النهاية، فمن الواضح بأنك لا تملك خياراً آخر.

امسك غيلبرت بأحد القضبان وقرب وجهه أكثر ليقول:

- أنا أسف.

رفع ليون رأسه ونظر ناحية غيلبرت، الذي أعاد ما قاله؛

- أنا أسف على كل ما قلته لك.

كان اعتذاراً صادقاً من غيلبرت، أدلى به وهو يتذكر كلماته التي رماها بوجه صاحبه قبل عدة أيام.

"أنت لا تهتم لأمرها كما توقعت، بل أنت لا تهتم لأي منا،

مازلت حاقدا علينا أليس كذلك؟"

اشار خلفه ليقول:

- القبور في تلك القاعة، لهذا أردت استعادة عظام دورثي، يمكنني أن أفهم الأمر الآن.

رفع غيلبرت راسه ونظر للمكان مكماً:

- بعد رؤية هذا المكان، أرى أنه من حقك أن تحقد علينا جميعاً بلا استثناء يا ليون.

كان ليون لا يزال صامتاً، ينظر لـ غيلبرت بعينين متعبتين، فانزل الأخير راسه ليسال:

- لم أنقذتني يا ليون؟ لم لم تتركني هناك؟ كانت تلك فرصتك للانتقام من والدتي.

ابتسامة طفيفة علت وجه ليون قبل أن يشيح بوجهه بعيداً، قال بعدها ساخراً:

- يا له من انتقام.

- لا بأس، اسخر مني بقدر ما تشاء إن كان هذا سيشعرك بالراحة.

التف غيلبرت حوله، ومرر الشمعة على الجدران القريبة من الزنزانة، كان يبحث عن شيء ما، وما هي إلا ثوان قليلة حتى وجد ما يريد، مد يده والتقط سلسلة المفاتيح المعلقة على

الجدار البعيد، اقترب من القضبان الحديدية، وضع الشمعة أرضاً، وبدأ يدخل المفاتيح الواحد تلو الآخر بالقفل، فسأله ليون:

- ما الذي تفعله أيها الأحمق؟

- وما الذي يبدو بأنني أفعله؟ أحاول إخراجك من هنا بالطبع.

قالها وهو يقلب المفاتيح تباعاً، بينما أسند ليون ذقنه على ركبتيه ليقول بعدم اكتراث:

- لا تتعب نفسك.

وهنا تحديداً صدر صوت فتح القفل الحديدي، هلل غيلبرت فرحاً ورمى بالمفاتيح بعيداً، دفع الباب ودخل متجهاً ناحية ليون، سحبه من عضده ليقول:

- هيا بنا، لن أغادر المكان من دونك.

لم يتزحزح ليون من مكانه، وعضاً عن ذلك رفع يديه أمامه، فتدلت سلسلة حديدية مثبتة الأصفاد في معصميه، عندها قال بتهكم:

اخبرتك بأن لا تتعب نفسك، مفاتيح هذه عند والدتك، وأمر آخر ...

ثم أشار بيده ناحية الباب الذي كان على وشك الانفلاق مجدداً ليقول:

- يبدو بأنك لن تذهب لأي مكان باي وقت قريب.

- هاااا!

الدفع غيلبرت محاولاً إيقاف الباب، لكنه لم يصل في الوقت المناسب، عندها ضحك بحماقة قائلاً:

- إنه غير مقفل، أليس كذلك؟

- حتى لو كان غير مقفل، هذا الباب لا مقبض له، ستحتاج إلى المفتاح الذي رميته بعيداً لفتحه ...

توقف ليون ثم ابتسم ساخراً:

- هل اخبرت احداً بقدمك إلى هنا؟

جلس غيلبرت أرضاً، أمسك بقضيبين وحشر راسه بينهما، حدق بالمفتاح الذي رماه بعيداً ثم قال بحسرة:

- لا، لم افعل.

سارت كور فينا بمحاذاة التحف الأثرية بغرفة الكونت رومان، كانت تنقر على إحدى الزهريات القيمة دون ادنى اهتمام، بينما جلس الكونت على كرسيه ليقول معترضاً:

- تلك فكرة سيئة.

- أنت من طلب رأيي يا رومان،

أطلق نخرة استهزاء ثم قال:

- انت لن تغيري رأيك فيما بعد، أليس كذلك؟

وفجأة توقفت كور فينا عما تفعله، تغير مزاجها فجأة، وأخذت تحرق بالفراغ متجاهلة وجود الكونت.

صرخ غيلبرت بأعلى صوته وهو لا يزال ممسكاً بالقضيبين، بينما أغلق ليون أذنه المواجهة لـ غيلبرت قائلاً:

- توقف عن الصراخ فلن يسمعك احد.

ادار غيلبرت رأسه ناحيته ليقول بالدفاع:

- وما أدراك؟ علينا أن نحاول ...

وهنا التقطت عينا غيلبرت شيئاً ما، فصمت وأدرك كم كان مغفلاً، الحائط خلف ليون ممثلي بالخدوش، هذا ما كان يفعله صاحبه قبل أن يأتي هو ويقاطعه، لقد انتبه لها الآن فقط، أي غبي سيعلم بأنها حصر لعدد الأيام التي قضاها ليون هنا في هذا المكان، عندها تساءل بينه وبين نفسه، خلال الأحد عشر عاماً الماضية، كم مرة صرخ بها ليون هنا دون أن يسمعه أي أحد منهم؟

- ما خطبك لم توقفت الآن؟

سأل ليون، فاستدار غيلبرت وقال بإحباط:

- معك حق، لن يسمعنا أحد، ربما من الأفضل الانتظار حتى تأتي إحدى الخادمت أو اي شخص.

وقبل ان يدرك كان رد ليون حاضراً:

- لن يأتي احد.
- ماذا!! ماذا عن الطعام؟ الا تأتي به الخادمة أو ...
- اشار ليون إلى الجدار المقابل امامه، وتحديداً إلى ما كان أشبه بنافذة صغيرة مظلمة، ثم قال موضحاً:
- إنه يصل عن طريق هذه.
- اندفع غيلبرت ناحيتها، تفحصها فوجدها تشبه تلك النافذة التي شاهدها قبل نزول الدرجات، وكانت الصينية التي تحملها الخادمة موضوعة برف يتدلى بحبل من الأعلى، عندها فهم
- كيف لم يأخذ الأمر منها إلا بضع دقائق لإيصال الطعام، تنهد بإحباط، فقال له ليون:
- بإمكانك أن تأخذ ما بها، فأنا أحتاجها فقط لمعرفة الوقت وحساب الأيام، فكما ترى لا توجد ساعة هنا.
- كان غيلبرت لا يزال يحدق في تلك النافذة عندما سال:
- ما هي أطول مدة قضيتها هنا يا ليون؟
- فرك ليون معصمه، ثم قال مجيباً:
- خمسة شهور متواصلة.
- ثم ضحك ليكمل:
- هه كانت والدتك غاضبة بحق في ذلك الوقت.
- أسند ليون ظهره للحائط ليقول بارتياح:
- لا تقلق كثيراً، فعلى العكس مني سيلاحظون غيابك، وسيبحثون عنك، لذلك لا تجهد نفسك.
- سار غيلبرت ناحية ليون، ثم جلس بقربه قائلاً:
- لم لم نقل شيئاً طوال تلك السنوات؟

انزل ليون رأسه، وحقق بالكدمات التي بدأت بالظهور حول معصميه، عندها استرجع ذكريات والده الكساندر، وخاصة عندما سأله عن كدمات مماثلة بعد هروبه الأول:

"كولين أرجوك أخبرنا بما حصل، من الذي أخذك تلك الليلة؟"

"ما الذي حدث خلال تلك الأشهر؟ ما الذي فعلوه بك؟"

"أين كنت تحديداً؟"

"تباً يا كولين، أخبرني من الذي فعل بك هذا؟"

صمت مريبك حل بالمكان، ولو هلة اعتلت نظرة جادة وجه ليون، حدق بعيني غيلبرت لثوان قبل أن يقول:

- لست أدري، ربما لأن لا احد منكم قد سألني.

اشاح غيلبرت بوجهه محرراً، طوال الأحد عشر عاما الماضية لم يفكر بالسؤال ولا لمرة واحدة، رغم أن كل شيء كان واضحاً أمامه، ابتسم ليون وربع ساقية قائلاً:

- استرخ يا غيلبرت، فلا دخل لك باي شيء من هذا، لا أنت ولا إخوتك، وخاصة الصغار منهم.

- ألهذا أردت إعادة دورتي؟ أو عظامها على الأقل.

نظر ليون ناحية القضبان، وفكر في تلك القاعة هناك قائلاً:

- لم أشأ ان تحظى الليدي لونا بقبر فارغ لابنتها، هذا كل ما في الأمر.

وفجأة نهض غيلبرت من موضعه، عاد وجلس على ركبتيه، واجه ليون ليقول بأسلوب رزين:

- ليون، انا مدين لك بحياتي، ربما لا يمكنني تذكر ذلك، لكن تم إخباري بأنك قد أعطيتني من دمك و ...

- ولا تحلم بالمزيد، فهذا لن يتكرر، وإن فكرت بذلك ولو قليلاً سأفصل راسك عن جسدك، أنا جاد بذلك.

كان يشير ناحيته وهو يلقي بتهديداته التي عرف غيلبرت بأنها مجرد كلام فارغ، فابتسم الأخير ليقول مقاطعاً:

- نعم نعم بإمكانك قتلي كما ترغب، ما أردت قوله بأنني في صفك مهما حدث، لهذا لا تتردد بإخباري عن أي شيء، لن أقبل بعد اليوم بأن تحمل الأعباء لوحديك، أهذا واضح؟ كما عليك ان تنسى أمر ذلك الوعد السخيف.

وكز ليون صدر غيلبرت ليقول بابتسامة ماهرة:

- انت ملزم به، لا تحاول التهرب الآن.

- ولكنه استغلال لوضعي عندما كنت مسجوناً من قبل الشرطة، هذا غير عادل.

وفجأة تحمس غيلبرت ليقول وقد تذكر أمراً ما:

- آه بالمناسبة، هنالك امر اردت إخبارك به، سمعته عن طريق الصدفة عندما كنت مسجوناً هناك، أتذكر ...

وقبل ان يكمل غيلبرت، استقام ليون بشكل مفاجئ، نظر ناحية القضبان الحديدية، وتسارعت انفاسه ليقول:

- تباً

ادار غيلبرت رأسه، ونظر للناحية نفسها متسائلاً، فبان الجواب أمامه سريعاً، ظهرت كورفينا عند بداية الممر، حدقت بهما بنظرة حادة وقد التمعت عيناها بوسط الظلام، اقتربت على

مهل، فاستقام غيلبرت من موضعه فزعا، راقبها وهي تنحني لتلتقط سلسلة المفاتيح التي رماها قبل قليل، ثم سارت ناحية الباب وفتحته، لم تقل شيئاً فقد كانت عيناها كافية ليعرف ما

ترغب بقوله، وعلى مهل غادر الزنزانه، أراد أن يتخطاها، لكنها مدت يدها موقفة إياه، مررت أظافرها الحادة ناحية رقبتة قائلة:

- ما الذي تفعله هنا يا غيلبرت؟ ألم يكن تهديدي واضحاً لك؟

جمد غيلبرت بمكانه، وازدرد لعابه، بينما الغرس طرف ظفرها بجلده، فاندفع ليون ناحية الباب، وتوقف عند أبعد نقطة سمحت له السلسلة الحديدية بذلك، تصاعدت أنفاسه أكثر،

والتمعت عينه اليسرى بشدة قائلاً:

- توقفي في الحال.

نظرت إليه وقد ارتسمت ابتسامة واثقة على محياها، ثم كررت ما قاله ساخرة:

- توقفي!

سالت قطرة دم من على رقبة غيلبرت، فقالت:

- إنه ابني ولي الحق بفعل ما أرغب به، وإن أردت تحويله لرماد فهذا شأننا أنا وحدي، من تكون أيها الوضع حتى تأمرني بالتوقف؟

هذا ليون، وتراجع خطوتين للوراء، عندها قال بهدوء:

- معك حق، من أنا لأمرك بشيء كهذا؟ لكن إن قمت بقتله، عندها سأهرب من هنا كما فعلت عدة مرات سابقاً، لكن هذه المرة بدل الهرب والاختباء، سأنتهي حياتي بكل بساطة.

نظر إليها بتحد، فأزاحت يدها، وأبعدتها عن عنق غيلبرت، الذي خر على ركبتيه، عندها قالت بصوت عال:

- لقد سمعته بنفسك ...

ومن الخلف سمع غيلبرت وليون صوت وقع خطوات، اقترب ذلك الشخص حتى أصبح في مجال نور الشمعة التي تكاد تنتهي، وإذا به الكونت رومان، سار حتى أصبح بالقرب من كورفيينا التي أضافت:

- أخبرتك بأنه مستعد للتضحية بنفسه لحماية غيلبرت، رغم أنه لا يمكنني الجزم بأنه سيفعل المثل لـ أوليفر.

أنزل الكونت رأسه لينظر ناحية غيلبرت، ثم قال:
- لقد أخبرتني بأنك تفكر بالمشاركة بالاختبار.

أوماً غيلبرت برأسه دون أن ينطق بحرف واحد، فقال الكونت:
- إذا ستذهب أنت وأوليفر.

ثم التفت ناحية الزنزانة، ووجه حديثه لليون قائلاً:

- انت ايضا ستذهب معهما، سأثق بانك ستفعل المستحيل لحمايتهما، هذه المرة لن أقبل باي اخطاء يا ليون.

قلبت الأميرة هيلينا الأوراق أمامها، بينما مساعدتها دونا وقفت بجانبها تحاول ترتيب طلبات تقديم الاختبار بطريقة معينة، وبعد لحظات أرخت الأميرة كتفيها وأسندت ظهرها على

الكرسي، كانت تجلس هناك لساعات طوال لهذا شعرت بأنها منهكة الآن، فقالت:

- أيمكنك أن تحضري لي بعض الشاي يا دونا.

- امرك سيدتي

خرجت دونا مسرعة لتلبية طلب سيدتها، حدق بها ذلك الفارس عند الباب، وبعد أن تأكد من ابتعادها دفع الباب وخطا للدخل دون أن ينتبه إليه أحد.

جلست إينور بغرفتها تحديق عبر زجاج نافذتها ناحية الأفق، وبين يديها أوراق الطلب جاهزة، شعرت بالسعادة كونها تمكنت أخيراً من إكمالها، فالتفت ناحية صوفي وقالت:

- شكراً لك يا صوفي، لولاك لما تمكنت من الانتهاء منها.

- ربما من الأفضل أن نرسلها الآن.

فرك جو رأسه، ثم جعد الورقة ورماها خلفه، سحب ورقة جديدة، عض على شفته السفلى وشرع بالكتابة مجدداً، لم يكن محبطاً أو مكتئباً، على الرغم من أن المشاركة باختبار الأكاديمية هو العقاب الذي اختاره والده له،

- إلا أنه كان سعيداً بهذا، وبعد عدة ساعات من المحاولة تمكن أخيراً من الانتهاء، رفع الأوراق أمامه، حدق بها، ثم جرى مسرعاً لمكتب والده.
- تبادل جاك وماغي النظرات فيما بينهما، جلسا بغرفة النزل الصغيرة بينما كانا يحاولان التفكير بصوت عال:
- هذا أمر لم أفكر به، نحن لا نملك أوراق إثبات الشخصية.
 - يمكننا أن نقوم بالتزوير ان اردت.
 - وضعت ساقا فوق الأخرى ثم أضافت:
 - بهذه الطريقة يمكننا أن ندخل الاختبار بأسماء مستعارة، سيكون هذا أفضل حتى.
 - فتح ليون درج مكتبه وأخرج البوصلة، تأملها قليلا قبل ان يشعر بقدم غيلبرت، فأعادها لمكانها والتف ناحية الباب، دخل غيلبرت وهو يحمل أوراقه فقال:
 - لقد انتهيت ، ماذا عنك؟
 - أوما له بأنه قد فعل، ثم أسند ذراعه على ظهر الكرسي وقد تذكر أمراً ما:
 - غيلبرت، ما الذي كنت ترغب بقوله قبل ظهور والدتك؟
 - آه كدت أن أنسى ...
 - بعد ان اصبحت الأميرة هيلينا وحيدة بالغرفة، اقترب ذلك الفارس منها حتى أصبح خلفها تماماً، ثم انحنى ناحيتها قائلاً:
 - بإمكان أي أحد التسلل خلسة والقضاء عليك بكل سهولة، سموك.
 - اقترب غيلبرت وجلس على السرير، بينما التفت ليون الجالس على كرسي مكتبه ناحيته، فقال الأول:
 - بينما كنت بسجن مركز الشرطة سمعت بعضهم يتحدث عن أحد مرافقي الأميرة، فارس لا يفارقها قالوا بأن اسمه وايتمان ..

دفعت الأميرة هيلينا الكرسي على مهل، استقامت من موضعها، ثم استدارت لتواجه الفارس، حدقت به لثوان قبل أن ترتسم ابتسامة رقيقة على شفثيها الزهريتين، حاوطته

بذراعيها، ثم قامت بشبك اصابع يديها معا لتقول:

- انا لا أرخي بدفاعي إلا عندما تكون بالجوار يا وايتمان.

ابتسم الفارس وضمها ناحيته ليقول بعينين أسرتين:

- ما بالك والألقاب يا هيلينا؟ نحن بمفردنا.

دفع ليون الكرسي بصدمة بعد سماعه للاسم الذي ذكره غيلبرت، اتسعت عيناه بغير تصديق، ثم ارتجف جسده غيظاً بعد ذلك، اصطكت أسنانه قبل ان يسأل:

- هل انت متأكد يا غيلبرت؟

أوماً غيلبرت راسه ثم قال مجدداً:

- انا واثق، كان الاسم وايتمان، ريس وايتمان، اليس هذا الاسم الذي طلبت مني البحث عنه قبل عدة سنوات؟

ابتسمت الأميرة وأمالت رأسها، ولم تتمكن من أن تشيح بنظرها عنه بينما تنطق باسمه:

- ريس، هل انت راض الآن؟

مرر أصابع يديه على خصلات شعرها الذهبي ليجيبها:

- بالتأكيد أنا راض.

ابن العمدة، ريس والذي كان أحد القلة الذين نجوا من مجزرة قرية
إيستوود، هو الآن أحد الفرسان المقربين من الأميرة هيلينا.
وللقصة تنمة ...

يستخدم الخدم بقصر ستوكر نبتة الجيوان بكثرة لأنها تكسب دماءهم
طعما ورائحة لاذعة .



- (1) **الترقوف**: شجرة من نسج خيال المؤلف، تشبه شجرة الصنوبر لكنها أقصر وأعرض بقليل.
- (2) **فأر الخردل**: هو فأر من نسج خيال المؤلف، شديد الصغر، ويميل لونه للاصفرار، وغالباً ما يعيش ضمن مجموعات صغيرة.
- (3) **ثور رمادي**: حيوان من وحي خيال المؤلف، ذو وجه عريض، وقرون موجهة لأعلى، يمكن أن يصل ارتفاعه لمترين تقريباً.
- (4) **الجوان**: نبتة من نسج خيال المؤلف، لها جذور حمراء اللون وذات طعم لاذع كالفلل، بالعادة يتم تجفيفها ثم طحنها لتستخدم في الطهي، أما إذا تم غليها فإنها تفقد خواصها الحارقة وتعمل على تلوين الماء فقط، لكنها ستحتفظ برائحتها النفاذة
- (5) **عظمة الترقوة**: يخلف عظم الترقوة في تشريح جسم الإنسان كأحد العظام الطويلة، وهي تعمل كدعامة بين لوح الكتف في الظهر وعظم القص في منتصف الصدر
- (6) **الغزلان المرقطة**: نوع من الغزلان من نسج خيال المؤلف .
- (7) **المجاولة وتسمى أيضا المثاقفة**، وهي منافسة بين فارسين فرق جواديهما، يحمل كل واحد منهما رمحاً طويلاً يسعى لكسره على درع خصمه أو إسقاطه عن جواده

FAJER

Email: darkangel_fw@hotmail.com

Instagram :dark.ange.286

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أنهار



https://t.me/osn_osn



Scan me!

مخلوقات
الليل

فجر سليمان

مكتبة إيلينا
Elena book

